نديم نايف حمزه

التنوخيون

أجداد الموحدين (الدروز) ودورهم في جبل لبنان

دار النهار للنشر

التنوخيون

أجداد الموحدين (الدروز) ودورهم في جبل لبنان

نديم نايف حمزة

التنوخيون

أجداد الموحدين (الدروز) ودورهم في جبل لبنان

دار النهار للنشر

الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م

الإهداء

إلى روح أخي الأصغر رشيد حمزه
الذي استُشهد دفاعاً عن عروبة جبل العرب،
وتراثه الإسلامي، ومسلكيّته التوحيديّة.

المقدمة

كانت الاطراف الغربية من بلاد الشام قبل الاسلام منطقة صراع بين قوى متعددة . وذلك لأهمية المنطقة الستراتيجي كمركز أساسي في التجارة العالمية في ذلك الوقت . وقد تجلى هذا الصراع بشكل أوسع مع الفتح الاسلامي الذي سبقه وصاحبه هجرة من الجزيرة العربية الى بلاد الشام .

كان التنوخيون احد الاحلاف القبلية العربيــة القديمــة . وساهموا مساهمة فعّالة في قيام مملكة الحيرة في العراق في القرن الثالث للميلاد . وكان لهم وجود في بلاد الشام قبل الاسلام . وساهموا مع غيرهم من القبائل العربية في تعريب بعض اقسام من الشام والعراق قبل الفتح الاسلامي .

وعندما برزت حاجة الدولة الاسلامية وبشكل خاص في مطلع العصر العباسي الى تأمين مهمات الدفاع عن السواحل الشامية فــي وجــه غارات الروم البيزنطيين ، قامت الدولة بتوجيه عشائر من التنوخيين الى السواحل والجبال المشرفة عليها . فكان استقرارهم في المنطقة الممتــدة مــن مدينــة اللاذقية وجبالها شمالا حتى مدينة عكا جنوبا . اما استقرارهم الكثيف فكان في الاشواف المشرفة على مدينتي بيروت وصيدا . بحيث قامت للتنوخيين منذ النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) امارتين وراثيتين حظيتا باعتراف خلفاء الدولة العباسية الاولى في مدينة اللاذقية ، والثانية في الاشواف التي تعرف حاليا بــ « جبل لبنان » (١) . منذ ذلك التاريخ قــام

(١) ان عبارة جبل لبنان كانت تطلق اصلا على المناطق التي كــان يسكنها الموارنة النصارى في أقصى الشمال من لبنان الحالي ، وهي جبة بشري وبلاد البترون وجبيــل ، امــا المنطقة الواقعة الى الجنوب من جبل كسروان فكانت تعرف بالاشواف ثم عرفت بجبل الدروز ولــم تكتسب اسم « جبل لبنان » الا في القرن التاسع عشر وفي اواخر عهد الامارة الشهابية .

التنوخيون بدور مهم في رسم تاريخ المنطقة وتسطير احداثها على مدى ثمانية قرون .

كان اختيار التنوخيين موضوعا لدراسة علمية لان المؤرخين اللبنانيين قد اغفلوا دراسة هذا الموضوع كما اغفلوا دراسة المنطقة التي تشكّل منها الكيان اللبناني خلال العصور الاسلامية وحتى العهد العثماني على الرغم من اهمية هذه الحقبة ، والتي تشكل الاساس الذي لا يستغنى عنه في فهم تاريخ لبنان الحديث والمعاصر ، وبالتالي في فهم تكوين لبنان الحالي .

وقد يتبادر الى الذهن سؤال عن اسباب هذا الاغفال ،اذ لا يمكننا ان نرد اسبابه لصعوبة الكتابة عن هذه الفترة او الى قلة المعلومات في المصادر والاصول التاريخية . وهنا لا بد ان نستثني دراسة الدكتور محمد علي مكي في كتابه : « لبنان من الفتح العربي الى الفتح الاسلامي » دار النهار للنشر عام ١٩٧٧ ودراسة الدكتور كمال الصليبي في كتابه : « منطلق تاريخ لبنان » منشورات كارقان ، نيويورك ١٩٧٩

عند البحث والاطلاع على ما كُتِب عن التنوخيين . وجدت مخطوطا بعنوان « تاريخ الامراء آل تنوخ » لامين آل ناصر الدين بحوزة الامير نديم آل ناصر الدين نشر في مجلة « اوراق لبنانية » عامي ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ بعد ان قام الامير نديم بتنسيق مادته . ان اهمية هذا المخطوط هي في التعريف ببعض فروع التنوخيين كآل امين الدين وآل القاضي وبصورة خاصة آل ناصر الدين ودورهم . اذ يمكن اعتبار هذا المخطوط تاريخا لآل ناصر الدين المتفرعين من التنوخيين اكثر منه تاريخا لآل تنوخ .

كما ان هنالك مؤلفا للاستاذ يوسف ابراهيم يزبك بعنوان « ولي من لبنان ، سيرة العارف بالله الامير جمال الدين عبدالله التنوخي» ضمّنه المؤلف نبذة عن أسلاف السيد الامير معتبرا انهم تلبننوا في اواخر القرن الحادي عشر للميلاد . كذلك يوجد مؤلف آخر للاستاذ عجاج نويهض بعنوان « التنوخي ، الامير جمال الدين عبدالله والشيخ محمد ابو هلال المعروف بالشيخ الفاضل » أورد صاحبه نبذة بأخبار الامراء التنوخيين من آل بحتر معتبرا انهم يلتقون مع الاسرة الارسلانية في الانتساب الى الارومة اللخمية . ان هذين المؤلفين حصرا البحث في الامير جمال الدين عبدالله التنوخي الشهير بالسيّد الامير

(٨٢٠-٨٨٤هـ / ١٤١٧-١٤٧٩م) ولم يعطيانا صورة واضحة عن دور اسلافه التنوخيين .

وقد اعد الاستاذ نواف ملاعب ، رسالة لنيل شهادة الكفاءة للتعليم الثانوي في كلية التربية ـ الجامعة اللبنانية عام ١٩٧١ ، بعنوان « آل بحتر التنوخيين في العهد الصليبي » مستندا في ارائه حول علاقة آل بحتر بأمراء فرنجة صيدا وبيروت وخلال الوجود الفرنجي في المشرق الاسلامي على مقال للاب هنري لامنس بعنوان : « الحياة في بيروت على عهد الصليبيين » في مجلة « المشرق » المجلد الحادي والثلاثين (عام ١٩٣٠) مما أوقعه في مغالطات بهذا الشأن .

هذا وقد كتب الدكتور كمال الصليبي مقالا بعنوان :

«The Buhturids of the Garb, Medieval lords of Beirut and Southern Lebanon»

في مجلة : ARABICA العدد الثامن (كانون الثاني ١٩٦١) .

وكانت هذه الدراسات خير معين في وضع الاطار العام للدراسة .

ومن حيث المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها فكثيرة ومتنوعة فكان : « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر » لابن خلدون ، و « مروج الذهب ومعادن الجوهر » للمسعودي ، و « تاريخ الامم والملوك » للطبري و «الكامل في التاريخ» لابن الاثير، و «معجم البلدان» لياقوت الحموي ، الذين حفظوا روايات منقولة عن ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي الذي الّف كتابين عن الحيرة . كذلك كتب الانساب وابرزها « نهاية الارب في معرفة انساب العرب » للقلقشندي ، بالاضافة الى « المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي الذي استند الى المصادر البيزنطية ونتائج الدراسات الاثرية . كانت هذه الكتب اهم المصادر التي اعتمدنا عليها في التعرّف بأصول التنوخيين ودورهم قبل الاسلام في العراق وبلاد الشام .

اما المصادر التي استندنا اليها لمعرفة تحرّك التنوخيين نحو الاطراف الغربية من بلاد الشام ، فبعض كتب الجغرافيين العرب ، فكان « كتاب البلدان » لابن واضح اليعقوبي ، و « صفة جزيرة العرب » للهمذاني ، اهم

مصادرنا بالاضافة الى كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري و « تاريخ اليعقوبي » لابن واضح اليعقوبي .

وحول دور التنوخيين في الاشراف المشرفة على بيروت كان مصدرنا الرئيسي « السجل الارسلاني » المخطوط الذي نشر الامير شكيب ارسلان قسما منه في ذيل ديوان اخيه الامير نسيب ارسلان « روض الشقيق في الجزل الرقيق » و « كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان » للشدياق على حداثته اذ يخبرنا صاحبه انه نقل اخباره من السجل المذكور ومن تواريخ اخرى لم تصلنا .

وفي العهد الفاطمي تعتبر المصادر التوحيدية (الدرزية) المخطوطة ، الاهم في التعرّف بالتنوخيين لان القسم الاعظم من العشائر التنوخية قد اعتنقت الدعوة التوحيدية . كما استندنا الى « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسي حيث يورد ذكر التنوخيين مع « ولاة الاطراف » من بلاد الشام .

اما في العهد الزنكي والايوبي والمملوكي فالمصدر الرئيسي لتاريخ التنوخيين هو كتاب « تاريخ بيروت » لصالح بن يحي ، الذي خصص لذكر اخبار التنوخيين من آل بحتر . و « تاريخ ابن سباط » لحمزه بن شهاب الدين احمد الفقيه العاليهي المعروف بابن سباط . الذي ترك تاريخا حوليا لم يصلنا سوى الجزء الثاني منه . وقد اورد فيه حواشي بأخبار آل بحتر منقولة عن تاريخ صالح بن يحي حتى توقف الاخير عن كتابة اخباره في النصف الاول من القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد) باستثناء ما يتعلق بأخبار الاسرة التي توّلت نيابة القضاء فيما عرف بـ « امارة الغرب التنوخية » . وبذلك يمكن اعتبار المصدرين مكملين بعضهما لبعض وبخاصة ان تاريخ ابن سباط يعتبر المصدر الرئيسي لدور التنوخيين خلال القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر . اذ ان ابن سباط توقف عن كتابة اخباره عام ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م . كما استندنا في هذه الفترة الى « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزي الذي يشير الى التنوخيين باسم « عشائر الشام » وترك ترجمة مقتضبه لاحد امرائهم الحسين بن خضر في وفيات عام ٧٥١ هـ. كما اعتمدنا ابن حجر العسقلاني في كتابه «الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة » .

هذا وقد ترك تلامذة السيد الامير جمال الدين عبدالله التنوخي

مصنفات في سيرة معلمهم تلقي ضوءا على التنوخيين ودورهم في اواخر العصر المملوكي منها « كتاب درة التاج وسلّم المعراج في ذكر الامير جمال الدين عبدالله التنوخي » للشيخ علم الدين سليمان بن حسين ابن نصر . و « سيرة الامير جمال الدين عبدالله التنوخي » للشيخ ابي علي مرعي .

كما استندنا الى ما كتبه CHARLES CHURCHIL عن التنوخيين على الرغم من تأخره اذ انه حفظ ما هو متواتر عنهم في ايامه في كتابه :
Mount Lebanon, A Ten years Residence from 1842 - 1852 .

واعتمدنا لمعرفة دور التنوخيين في العهد العثماني على « تاريخ الازمنة » للبطريرك اسطفان الدويهي ، و « الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان » للامير حيدر الشهابي و « كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان » للشدياق ، و « كتاب تاريخ الامير فخر الدين المعني » لاحمد بن محمد الخالدي الصفدي.

هذا بالاضافة الى مصادر ومراجع ومقالات اخرى . كما كان للمقابلات الشخصية مع بعض رجال الدين الموحدين (الدروز) ، وشخصيات من أسر تحدرت من السلالة التنوخية وزيارة الامكنة الاثرية التنوخية وقراءة النصوص الموجودة عليها فائدة مرجوة لموضوع الدراسة .

خلال عملية البحث واجهت الدراسة صعوبات متعددة ابرزها عملية الاحاطة بالحقبة التاريخية الطويلة نسبيا التي امتد عبرها دور التنوخيين ، ولتداخلها وارتباطها مع احداث بلاد الشام من جهة ، واهمال المصادر التاريخية ليس للتنوخيين فحسب بل للاطراف الغربية من بلاد الشام .

تبعا للمعلومات التي توافرت قسمنا الدراسة الى ستة فصول ،عالجنا في الفصل الاول اصل التنوخيين وقدومهم الى الجبال الغربية من بلاد الشام، واستقرارهم المكثف في الاشواف المطلة على مدينتي بيروت وصيدا .

وتناولنا في الفصل الثاني دور التنوخيين في الدفاع عن الثغور في وجه هجمات الروم البيزنطيين ، ومساهمتهم في تركيز دعائم الحكم الفاطمي في بلاد الشام ، واعتناقهم الدعوة التوحيدية .

وتناولنا في الفصل الثالث دور التنوخيين خلال قدوم حملات الغزو الاوروبي واحتلالهم للمشرق الاسلامي وتشدد التنوخيين في مناهضتهم للفرنجة ، وقدرتهم على المحافظة على المنطقة الجبلية من امارتهم بعيدا [illegible]

السواحل بيد الفرنجة ، بعيدة عن خطر الفرنجة والتي عرفت بـ « جبل المغرب » . وارتباط التنوخيين بالدول التي تعاقبت على حكم دمشق (الاتابكية والزنكية والايوبية) .

وتناولنا في الفصل الرابع دور التنوخيين السياسي والعسكري في العصر المملوكي ، حيث تمكنوا من الاحتفاظ باقطاعاتهم الوراثية في مناطقهم بالرغم من تعارض ذلك مع مفهوم الاقطاع المملوكي ، وشكلت امارة آل بحتر التنوخية النواة الاولى لامارة اقطاعية مركزية .

اما الفصل الخامس فكان محاولة لاعطاء صورة عن بعض مظاهر الحياة الاقتصادية والعمرانية والفكرية في الامارة التنوخية .

والفصل السادس والاخير فكان تتبعا لدور التنوخيين في العهد العثماني .

أعدت هذه الدراسات عام ١٩٨١ كرسالة ماجستير ، قدمت لقسم التاريخ في الجامعة اللبنانية . وأجري عليها تعديلات جزئية وطفيفة على ضوء بعض المخطوطات والدراسات ، التي لم تسمح الظروف اذ ذاك من الاطلاع عليها .

يرجى ان تكون هذه الدراسة قد حققت بعض ما هدفت اليه ، خاصة ما يتعلق بتاريخ المنطقة الوسطى والجنوبية من جبل لبنان خلال العصور الاسلامية ، وابراز صورة علمية وواضحة بالقدر المستطاع عن الدور الذي قام به التنوخيون في المنطقة .

ويرحب كاتب هذه الدراسة بالملاحظات الموضوعية حول ما اثير في الدراسة من موضوعات وافكار ، قد تساعد في توضيح أو تعديل بعض جوانب هذا الموضوع .

واخيرا لا يسع الكاتب الا ان يتقدم بجزيل الشكر والتقدير الى كل من ساعد في هذه الدراسة بأية صورة من الصور، حتى خرجت بالشكل الذي تجدونه بين أيديكم .

نديم نايف حمزه

الفصل الأول

التنّوخيُّون

أصْلهم وقدومهم إلى جبل لبْنان

١ – أصل التنوخيين .

٢ – الوجود التنوخي في بلاد الشام .

٣ – سجل النسب الارسلاني .

٤ – القدوم التنوخي إلى جبل لبنان .

أصل التنوخيين

تنوخ حلف عربي قبلي قدم . يُعتبر خير مثال لاحلاف القبائل التي اقتضت مصالحها التكتل والتحالف . وتفيد المصادر بأن جماعة من القبائل العربية وبصورة خاصة من القبائل اليمنية من الأزد وقضاعة وكهلان وغيرهم، اجتمعت في البحرين (الاحساء الحالية) وتحالفت وتعاقدت على التساعد والتناصر والتآزر فصارت يدا واحدة . وانضم اليها في البحرين بطون من قبيلة نمارة بن لخم وضمهم اسم تنوخ بمعنى الاقامة (١) .

اخذت هذه القبائل التي تألّف منها الحلف التنوخي في البحرين تتطلع الى الاستقرار في مشارف العراق . ذلك ان اطراف العراق والشام كانت مفتوحة لهجرات عرب اليمن منذ القدم بدافع التجارة . وكان عرب الجنوب منذ ايام مملكتي معين وسبأ قد أقاموا محطات تجارية في اعالي الحجاز واطراف الشام والعراق (٢) .

عندما هاجرت تنوخ من البحرين استقرت في المنطقة الواقعة غربي الفرات ما بين الحيرة والانبار (٣) في عصر ملوك الطوائف ، اي في اواخر عصر الدولة البارثية مستغلين فرصة الحرب الاهلية الدائرة في بلاد فارس والتي على اثرها قامت الدولة الساسانية بقيادة اردشير بابك (٢٢٦ـ٢٤١م) (٤) .

وفي الروايات التي اوردتها المصادر العربية تفاصيل هذه الهجرة التنوخية في روايات اشبه بالقصص التي تختلط فيها الحقيقة بالخيال . ولا تخلو هذه الروايات على ما هي عليه من طابع اسطوري من تفصيلات مضطربة ومتناقضة ومعظم هذه الروايات منقولة من روايات ابن الكلبي (٥) .

وتفيد المصادر ان تنوخ في العراق اقامت لها دولة كان اول ملوكها مالك

بن فهم الازدي ، وخلفه اخوه عمرو بن فهم في رواية (٦) وجذيمة بن مالك بن فهم التنوخي في رواية اخرى (٧) الذي تسمَّى بجذيمة الوضاح وبالتنوخي والذي تحيط الروايات اخباره بكثير من الاساطير وعند موته انتقل الملك الى ابن اخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعه بن لخم، حيث تعتبره المصادر اول ملوك الحيرة من آل نصر او لخم (٨) .

وما يؤكد روايات المصادر حول وجود تنوخ المبكر هو ان اسم تنوخ كقبيلة ورد في جغرافية بطليموس من جملة قبائل العرب التي ذكرها(٩) وكذلك العثور على نص حميري يفيد « ان قوات الملك شمر يهرعش غزت ارض تنوخ التي تخص الفرس والتي كانت تحت حكم مملكتين احداهما قطو (القطيف) والاخر كوك (الاحساء) . كما ورد اسم جذيمة في نص نبطي عثر عليه في ام الجمال يرجع الى عام ٢٧٠م ، جاء فيه : « هذا موضع فهر بن شلي مربي جديمت ملك تنوخ » ويعتبر جواد علي ان للنص اهمية بالغة ليس لانه يؤكد حقيقة وجود جذيمة فحسب بل لانه يشير الى الصلة التي كانت تربط بين الاسرة الحاكمة في الحيرة وعرب الشام (١٠) .

كانت الاحلاف القبلية ظاهرة طبيعية بالنسبة للعرب قبل الاسلام لان الغزوات كانت تدفع القبائل الى تكوين الاحلاف للمحافظة على امنها والدفاع عن مصالحها المشتركة كما تفعل الدول في يومنا هذا . وقد استعمل العرب كلمة الجِمَاع بمعنى الانصهار للدلالة على قبائل تكونت من عشائر ذات اصول نسبية مختلفة ، فأديم خولان جِمَاع تحالفوا وكتبوا حلفهم في أديم احمر فسمّوا بالاديم (١١) . فاذا دام الحلف أمدا وبقيت الرابطة التي جمعت شمل القبائل قوية تتحوَّل بطول الزمان الى نسب يشعر أفراد الحلف انهم من أسرة واحدة تسلسلت من جد واحد (١٢) ويدل على مدى قوة الحلف التنوخي وطول عمره ما ذكرته المصادر عن القبائل المنظمة اليه انهم « صاروا يدا واحدة في الناس وضمَّهم اسم تنوخ فكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من العمائر وقبيلة من القبائل » (١٣) ، وما اجمع عليه النسابون ان قبائل العرب راجعة الى اب واحد سوى ثلاث : « العتق وغسان وتنوخ فان كل قبيلة مجتمعة من عدة بطون » (١٤) .

وما يجدر التوقف عنده ما رآه النسَّابون من جواز النسبة الى عدة

طبقات في القبيلة المقسمة الى عمائر وبطون وافخاذ وفصائل وكذلك كانت النسبة في الاحلاف بحيث كانت الى القبيلة الام والقبيلة الحليفة معا ، وعلى سبيل المثال : كان يجوز لبني هاشم ان ينتسبوا الى هاشم أو قريش أو مضر أو عدنان ، وقد ينضم الرجل الى قبيلة بالحلف أو الموالاة ، وعند انضمامه الى القبيلة جاز له ان ينتسب الى قبيلته الاولى (الام) والثانية (الحليفة) معا (١٥) ، وما رآه ابن خلدون من ان الرئاسة على اهل العصبية لا تكون في غير نسبهم « لان الرئاسة انما تكون بالغلب ، والغلب انما يكون بالعصبية ، ولا بد في الرئاسة على القوم ان تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة ، لان كل عصبية منهم اذا احست بغلب عصبية الرئيس أقروا بالاذعان والاتباع » (١٦) ، ولما تجمع المصادر ان قوة تنوخ هي مصدر العصبية لملكة الحيرة ، يحملنا على التساؤل عن صحة الرواية التي نسجت حول زواج رقاش اخت جذيمة من عدي بن نصر اللخمي ، وهل ما اذا كان يربط ولده عمرو بن عدي بتنوخ علاقة الرحم لامه فقط (١٧) حيث يورد ابن الاثير اسمه « عمرو بن عدي بن تنوخية اللخمي » (١٨) ام ان عدي ورهطه كانوا من البطون اللخمية التي ناخت في البحرين مع ميلنا الى هذا الاعتقاد .

ارتبطت مملكة الحيرة التنوخية بالفرس بعد قيام الدولة الساسانية ، ومن اهم ملوكها امرؤ القيس بن عمرو بن عدي المتوفى عام ٣٢٨م. والذي عُثِر على قبره في خرائب النمَّارة (سوريا) وعليه كتابة بالخط الصفوي وما جاء فيه : « هذا هو قبر امرىء القيس بن عمرو ملك جميع العرب ، ذلك الذي اخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكها . هذا الذي شتت شمل مدحج حتى يومنا، ذلك كلل بالتاج . . . الذي ولَّى اولاده على القبائل وندبهم لدى الفرس والروم ، ولم يصل ملك الى مجده حتى يومنا هذا » (١٩) .

ويرى رينيه ديسو ان قبره في النمّارة يؤكد امتداد سلطانه ليس على عرب الحيرة فحسب بل على القبائل المقيمة على تخوم الشام . وقبره والرثاء الموجود عليه في اقليم روماني يكفيان لتأكيد اعتراف الرومان بسلطانه (٢٠) ومن ملوك الحيرة المشهورين المنذر بن امرىء القيس بن النعمان ٥٠٨ ـ ٥٥٤ م ، الذي عرف بابن ماء السماء لقب امه ماويه او ماريه ، وقد ذكرته المصادر البيزيطية لانه قضى فترة حكمه في صراع مع الروم معاصرا الامبراطور جستينانوس (٥٢٧ـ٥٦٥م) . الذي ارسل اليه وفدا لمصالحته بعد أسره

لقائدين بيزنطيين في احدى حروبه . هـذا وقد صُرع المنذر بعيدا عن الحيرة بالقرب من قنسرين (٢١) .

ومن ملوك الحيرة الذين لهم صلة بدراستنا النعمان بـن المنذر الملقب بأبي قابوس (٥٨٣ ــ ٦٠٥ م) ممدوح النابغة الدبياني وحاتم الطائي . والذي قتل على يد كسرى ابرويز (٢٢) وتنسب المصادر الـى النعمـان بداية دخول النصرانية الى العراق (٢٣) . وبعد مقتله انتقل الحكم في مملكة الحيرة الـى اياس بن قبيصه الطائي ، فاثناء تولي قبيصة حكم الحيرة وقعت معركة ذي قار الشهيرة بين العرب والفرس. اما آخر ملوك الحيرة فكان المنذر بن النعمان الذي لقبته العرب بالمغرور وقُتل علـى يـد العلاء بـن الحضرمي في جواثا بالبحرين خلال حركة الرده (٢٤) .

ومع عدم ذكر المصادر لنسبة الملوك اللخميين الـى الحلف التنوخي . فانها عندما تذكر كتائب النعمان بن امرىء القيس (٣٩٠ ــ ٤١٨م.) العسكرية التي كان يغزو بها بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب مشيرة الى اهمها وهي الشهباء لفارس ودوسر لتنوخ بحيث ضرب بدوسر المثل ، فقالوا : « أبطش من دوسر » (٢٥) .

فقيام مملكة الحيرة ارتبط باسم تنوخ ، وان التنوخيين كـانوا اعظـم احيائها ، وان كان هناك تقسيما لسكان مملكة الحيرة يجعلهـم حسب بعض الروايات ثلاثة اصناف : تنوخ وينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والانبار، وكانوا اصحاب المظال وبيوت الشعر ، والعبّاد وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا بها ، والاحلاف وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ممن لم يكن من تنوخ الوبر ولا من العبّاد (٢٦) . لكن تظهر على هذا التقسيم اثـر الصنعة اذ ان الاحلاف قد يكونون من تنوخ ، كما قد يكون العبّاد من تنوخ وبطون قبـائل اخرى وما لقبهم هذا الا لتمييزهم بسبب تنصرهم (٢٧) . وهناك بعض المصادر الحديثة تجعل من تنوخ اسما خُصَّت به قبيلة النعمان بن المنذر لشرفهـا وامريتها على بقية القبائل (٢٨) .

الوجود التنوخي في بلاد الشام

حول الوجود التنوخي في بلاد الشام تذكر المصادر انه عند انتقال من ناخوا في البحرين الى العراق سار قسم ممن انضم الى الحلف من قبيلة قضاعة الى الشام . « ثم لما استولى اردشير بابك على ملك فارس، وقهر ملوك الطوائف وقتل أردوان » (أرتبانوس الخامس آخر ملوك الاسرة البرثية ٢١٥ ـ ٢٢٦م) وعمل على ما يبدو لضبط بلاد العراق وقهر من كان له مناوئا فيها ، واخذ يضيّق على عرب الحيرة ودان له جذيمة بن مالك أو عمرو بن عدي « كره كثير من تنوخ ان يدينوا للفرس فهاجروا الى الشام وانضموا الى من هنالك من قضاعة « (٢٩) هذا وقد هاجرت مجموعات من تنوخ نحو بلاد الشام بعد مقتل النعمان بن المنذر ، وعلى الارجح ان التنوخيين الذين تركوا الحيرة في هذه الدفعة كانوا على دين النصرانية .

ويقول ديسو : « انه في اوائل التاريخ المسيحي ظهرت قبيلة تنوخ في سوريا آتية من جنوبي الجزيرة العربية » كما يقرر ان قدومهم كان قبل بني جفنة الذين عرفوا بالفساسنة وقد جاء ذلك في رده على تساؤلات حول وجود قبر امرىء القيس في النمّارة (٣٠) وتشير المصادر الى ان التنوخيين : « اقاموا لهم ملكا فملّكتهم الروم على العرب استكفاء بهم » وتذكر من ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك بن فهم ، وعمرو بن النعمان ثم الحواري بن النعمان ، الى ان وردت الى بلاد الشام الضجاعم من سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاعة وتغلبت على تنوخ (٣١) .

يستدل من روايات المصادر ان تنوخ في بلاد الشام كانوا جزءا من الوجود العربي فيها ، واستقروا في المستوطنات التي اقامها العرب على طرق

التجارة في البوادي التي كانت تشكّل شرايين التجارة العالمية في ذلك الوقت متحكمين في مسالكها . كما كان التنوخيون يسكنون في حواضر في اطراف المدن الشامية حيث يذكر البلاذري انهم كانوا مع الفتح الاسلامي لبلاد الشام في حاضرتين احداهما قرب حلب والاخرى قرب قنسرين (٣٢) .

كما يمكن ان يكونوا قد نزلوا في بطون الاودية والمناطق المزروعة لوفرة الماء كعامل اساسي في اجتذابهم (٣٣) ومما يذكر ان جمع تنوخ المستكثر كان في معرّة النعمان وبأنها صليبية تنوخ (٣٤) ويرجع ياقوت الحموي نسبة المعرّة الى النعمان بن عطفان التنوخي الملقب بالساطع (٣٥) ولعل أفخاذا من تنوخ كانت قد استوطنت وادي التيم (شرقي لبنان) اذ على الارجح ان اسمه يعود الى تيم اللات بن تعلبه بن اسد بن وبره الذي تجعله الروايات مجتمع قبائل تنوخ بأسرها ، مع أن هناك اكثر من تيم اللات واكثر من تعلبه لكن العديد من الباحثين يعتبر ان اسم وادي التيم يعود الى القبيلة اليمنية التي هاجرت من العراق الى الشام والتي منها ملوك الحيرة (٣٦) .

اما من ناحية الوجود التنوخي في الجبال الغربية من بلاد الشام فلا تشير الى ذلك الا روايتان متأخرتان للشهابي والاعظمي : وتتفق الروايتان انه « بعد مقتل الملك النعمان الثالث سار أحد أولاده بجملة من قبائل العرب ونزل في سفح جبل لبنان » (٣٧) ولكن من خلال ما ذكرته المصادر من ان الدفعات التنوخية التي قدمت من العراق نزلت في المواضع التي كانت قد سبقتها اليها قضاعة . يمكن ان نرجّح انهم قد وصلوا الى جبال الشام الغربية وقطنوها حيث أن الهمذاني يورد عن احد الشعراء القضاعيين قوله :

وقد نزلت منا قضاعة منزلا بعيداً فأمست في بلاد الصنوبر . (٣٨)

كما وان التنوخيين في بلاد الشام يمكن ان يكون قد انضم اليهم بطون قبائل عربية اخرى لم تنضو الى الحلف التنوخي سابقا في العراق حيث ان بعض المصادر تعتبر ان مكان قيام الحلف التنوخي هو بلاد الشام (٣٩) .

ابان حركة الفتوحات الاسلامية كانت تنوخ تتحالف عادة مع القبائل العربية التي تنصّر بعض جماعات منها مثل بهراء وكلب وسليح وغسان ولخم وغيرها . ومما يذكر انه عندما توجه خالد بن الوليد الى دومة الجندل بعد

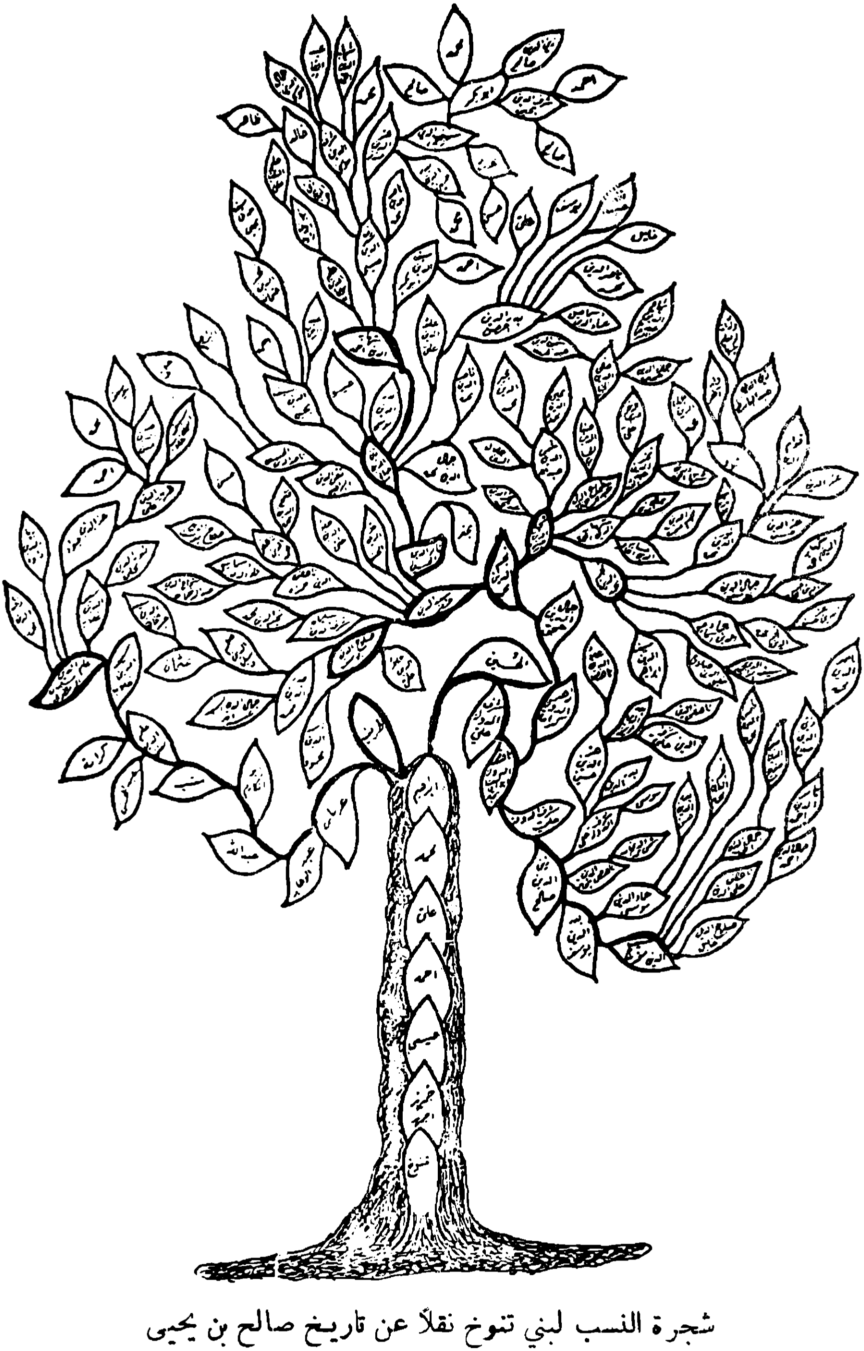
ان فتح عين التمر عام ١٢هـ / ٦٣٣م تجمع عدد من تنوخ بقيادة زعمائهم مع عشائر من القبائل المذكورة وقاتلوا خالدا ، لكنه والقائد عياض بن غنم انزلا بهم الهزيمة وفتحا حصن دومة الجندل وقتلا من فيه ولم يبقيا الا على النساء والاطفال (٤٠) كما وقف قسم من تنوخ مع من استنفرهم الامبراطور البيزنطي هرقل من الروم لقتال خالد بن سعيد في السنة ذاتها ، وعندما اقترب خالد بناء لامر الخليفة ابي بكر الى تيماء عسكرت تنوخ مع متنصرة العرب جنوبي زيزاء لمدة ثلاثة ايام ، لكنهم تفرقوا او دخلوا في الاسلام عندما تقدم خالد بقواته (٤١) اما اهل حاضر قنسرين التنوخيين فقالوا لخالد بن الوليد بأنهم عرب ولم يكن لهم رأي بحربه فدعاهم ابو عبيدة الى الاسلام فأسلم بعضهم وبقي على النصرانية بنو سليح من قضاعة (٤٢) . وكذلك حدث لتنوخيي حاضر حلب حيث اسلم بعضهم وصالح ابو عبيدة الباقين على الجزية ثم اسلموا فيما بعد (٤٣) ويذكر ابن واضح اليعقوبي ان فريقا من تنوخ بقي على نصرانيته حتى خلافة المهدي العباسي (١٥٨ – ١٦٩هـ) فعندما خرج المهدي الى الشام عام ١٦٥هـ / ٧٨١م . ووصل الى جند قنسرين لقيته تنوخ بالهدايا قائلين له: نحن خؤولتك يا امير المؤمنين وكانت أم الخليفة حميرية(٤٤) سأل الخليفة عنهم فقيل له انهم نصارى من تنوخ ووصف له قوتهم وكثرة عددهم فقال لهم : « لا ارضاكم خؤولتي واكرههم على الاسلام » (٤٥) .

ويورد ابن العبري رواية اكراه المهدي للتنوخيين ويجعل عددهم خمسة آلاف (٤٦) . لعل الرقم الذي ذكره ابن العبري مبالغ فيه ، اذ باعتقادنا ان من بقي على نصرانيته هم الضجاعم من بني سليح من قضاعة الذين كانوا مرتبطين مصلحيا مع الروم. كما يذكر انه في سنة ١٧هـ / ٦٣٨م. عندما خرج هرقل على رأس جيش كبير لاستعادة بلاد الشام انضم اليه اهل حلب وقنسرين واهل الحاضرتين من تنوخ وسليح وبعد هزيمة هرقل سار قسم من تنوخ نحو ارض الروم ، حيث لحق ميسرة بن مسروق بفلولهم وكان مع تنوخ بعض الغساسنة واياد(٤٧) . لكن بعض المصادر المتأخرة تذكر ان فريقاً من تنوخ قدموا مع ابي عبيدة وكانوا أشد من معه من العرب شوكة واكثرهم عددا ، فأنزلهم أبو عبيدة في مدن الشام الشمالية ومنها معرة النعمان وقنسرين وحماة وغيرها (٤٨) وقد تكون هذه الرواية تحتوي الكثير من الصحة ، اذ يذكر الطبري ان قوة من العراق قدّرها بعشرة آلاف قد قدمت مع خالد بن الوليد للمشاركة في فتوح

الشام (٤٩) . وقسما كبيرا من هذه القوة كان مـن تنوخيي العـراق فتـم اسكانهم بعد الفتح في المواضيع المذكورة التي كان يقطنها التنوخيون اقرباءهم من الشـام ، وقد يكون ابـو عبيدة استهدف مـن ذلـك اسهـام تنوخيي العراق في نشر الدعوة الاسلامية بين تنوخيي الشام النصارى . هذا ويرى معظم الباحثين ان عامل القرابة القومية بين عرب الشام وان كانوا نصارى وبين عرب الجزيرة المسلمين ، لعبت دورا كبيرا في تسهيل الوجود الاسلامي في البلاد .

بعد هذه النبذة عن الحلف التنوخي فعلى الارجح ان اصل التنوخيين الذين قدموا الى جبل لبنان ولا يزال أحفادهم موجودين فيه حتى يومنا هذا يعودون بالانتماء الى الحلف التنوخي وليس الـى تنوخ بن قحطان بن عوف المسلسل الى الملك النعمان بن المنذر بن ماء السماء (٥٠) مـع احتمـال وجود تنوخ المذكور كأحد جدودهم (٥١) ، ويرد في سلسلة النسب البحتري الذي يقول صالح بن يحي انه وجده (النسب) متداولا بين الخلف عـن السلف بخط الامير ناصر الدين الحسين المتوفى ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م . وتنـوخ هـذا هو الجد الثامن للامير بحتر بن علي الذي كان اميرا على الغرب عـام ٥٤٢هـ / ١١٤٧م .

هذا في حين ان ابن حجر العسقلاني الذي ترك ترجمة للامير ناصر الدين الحسين المذكور بـ « الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة » ينسبه فيهـا الى الحسين بن اسحق التنوخي ممدوح أبو الطيب المتنبي (٥٢) . ومـن المعروف ان ابن اسحق هو احد امراء اللاذقية الذين ينسبون انفسهم الى بني فهـم من قبيلة قضاعة . مع اننا لا نوافق العسقلاني فيما اورده من حيث تحدر الامير ناصر الدين الحسين التنوخي من الحسين بن اسحق التنوخي اللاذقي وهذا ما سنتطرق اليه اثنـاء تعرضنا للامـارة التنوخية في اللاذقية . لكن اشارته هذه تفيد بأن هناك علاقة كـانت تربط بـين تنوخيي جبـل لبنـان وتنوخيي اللاذقية وعلى الارجح ان هذه العلاقة تعود الى انتساب كليهما الى الحلف التنوخي .



شجرة النسب لبني تنوخ نقلاً عن تاريخ صالح بن يحيى

سجل النسب الارسلاني

ان ربط سلسلة النسب التنوخي بالملك المنذر بن مـاء السماء مسألة تستدعي التوقف عندها ، حيث ان الاسرة الارسلانية التـي كـان لها دورها السياسي في منطقة الغرب من جبل لبنان في العهدين المملوكي والعثماني تربط نفسها بالمنذر المذكور اذ يعيد الارسلانيون نسبهم الـى ارسلان بن مالك بن المنذر بن مسعود بن عون بن الملك المنذر الخامس الملقب بالمغرور بـن النعمان ابن المنذر بن ماء السماء (٥٣) ويعتبر مـن تعرض للارسلانيين بالدراسة انهم يلتقون مع التنوخيين من آل بحتر في الارومة الواحدة كون الاسرتين تتحدران من الملك المنذر (٥٤) ومما لا بد من الاشارة اليه هو وجود ثلاثة جدود مشتركين في سلسلتي النسب البحترية والارسلانية وهم في النسب البحتري: تنوخ بن قحطان بن عوف . وفي سلسلة النسب الارسلاني: المنذر (الملقب بتنوخ) بن مسعود (الملقب بقحطان) بن عون (٥٥) . وللتشابه الاملائي بـين حرفي الفاء والنون يمكن ان تكون عون عوفا او العكس . لكننا نميـل الـى الاعتقـاد ان الانتساب الى المنذر بن مـاء السماء عند كـل مـن البحتريين والارسلانيين مصطنع ليس لان ابن حجر العسقلاني لم يذكر هذه النسبة فـي ترجمته للامير ناصر الدين الحسين . بـل لأن ابن حجـر نفسه فـي ترجمته للامير عز الدين بن جـواد الرمطوني المتوفى ٧٥٦ او ٧٥٨هـ / ١٣٥٥ او ١٣٥٧ م . الذي يربطه بناصر الدين الحسين قرابة ، يذكر نسبته للنعمان بن المنذر (٥٦) ولعل هذا يدل على ان الانتساب للمنذر لم يشتهر الا بعد وفاة الامير الحسين، الذي اشرنا من ان صالحا بن يحي نقل النسب عنه .

يقول ابن خلدون : « كثير من الرؤساء على القبائل قـد يتشوقون الى انساب يلهجون بها ، اما لخصوصية فضيلة كانت في أهل ذلك النسب ، مـن

شجاعة أو كرم او ذكر كيف اتفق . فينزعون الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه . مع ان رئاستهم لم تتحقق الا لأنهم جزء من القبائل التي سادوا فيها ، حيث ان الرئاسة على اهل العصبية لا تكون في غير نسبهم » هذا ما فعله بنو مهنا امراء طيء فادعوا انهم من اعقاب البرامكة وغيرهم كثير (٥٧) وهذا ما يكون قد فعله الامير ناصر الدين الحسين التنوخي، وفعله بيت رسلان فيما بعد .

وقد يقال انه لا يمكن التعرض للنسب الارسلاني طالما انه محفوظ في اوراق وحجج قديمة تعرف بالسجل الارسلاني وصادرة عن قضاة الشرع في معرّة النعمان ، وبيروت وصيدا ودمشق ، بدءا بالاثبات الاول في نسب الامير منذر بن مسعود بن عون امام قاضي معرّة النعمان محسن بن حسين الطائي سنة ١٤١ هـ (٥٨) .

لم تصلنا السجلات والحجج القديمة . لكن احدى نسخ السجل لا تزال موجودة بحوزة كريمة الامير شكيب ارسلان السيدة مي جنبلاط وقد قام الامير شكيب بنشر ابرز ما تحتوي عليه في ذيل ديوان اخيه الامير نسيب ارسلان « روض الشقيق في الجزل الرقيق » ويرد في باطن النسخة ان الاثباتات القديمة قد تم تجديدها مرتين الاولى في عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م حيث تمّ نقل محتوياتها « من الخط الكوفي القديم الى الخط المتعارف عليه » في ذلك الوقت (٥٩) والثانية في عام ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م حيث تمّ نسخ سجلين محتويين على النسب « كما هو حرفاً بحرف بدون زيادة ولا نقصان » (٦٠) . ولو وصلتنا النسخ القديمة لكان بالإمكان التحقق منها بواسطة الوسائل العلمية كالتحليل المخبري أو بدراسة الخط المستعمل ، لكن تبرز في النسخة الموجودة من السجل عدة اصطلاحات لم تكن تستعمل في زمان الاثباتات وتظهر بعض الاخطاء التاريخية فيه كما وان الاسلوب المستعمل التي صيفت به الاثباتات ما قبل عام ١٠٩٥هـ / ١٦٨٣م هو واحد بحيث تبدو وكأنها جميعها من صياغة شخص واحد ، وذلك ينفي ما ورد في السجل من عدم التعرض لمضمون ما جاء في السجلات والحجج القديمة خلال عمليتي التجديد والنسخ . وابرز المصطلحات التي وردت في السجل الارسلاني ولم تكن تستعمل في زمن الإثباتات :

اولا : كلمة « الفرنج » ، التي وردت في اثبات عام ٢٥٢ هـ. للدلالة على الروم البيزنطيين (٦١) هذا مع العلم ان اصطلاح الفرنج لم تستعمله المصادر العربية الا خلال الفترة الصليبية وبعدها اي بعد عام ٤٩٣هـ / ١٠٩٨ .

ثانيا : كلمة « المرحوم » التي وردت في جميع الاثباتات ابتداء من الاثبات المؤرخ عام ٢٥٢هـ. مع أن هذا الاصطلاح لم يكن قد ورد على أنصبة ضرائح الاسرة الارسلانية نفسها حتى عام ٩٩٤هـ / ١٥٨٦م (٦٢) ، وما تؤكده انصبة الضرائح والمخطوطات ان هذا الاصطلاح لم يستعمل الا في العهد العثماني (٦٣).

ثالثا: كلمة «المِردَة» التي وردت في اكثر الاثباتات (٦٤) وهذا الاصطلاح لم يرد في المصادر العربية مطلقاً بل أوردته المصادر البيزنطية لمن أسمتهم المصادر العربية بالجراجمة (٦٥) الذين دفعهم أباطرة الروم البيزنطيين لشن غارات على الدولة العربية في العهد الاموي (٦٦) ويرجح كمال الصليبي ان اول من نقل هذا الاصطلاح من المصادر البيزنطية الى العربية هو البطريرك اسطفان الدويهي (١٦٣٠ ـ ١٧٠٤ م) (٦٧) .

اما أبرز الأخطاء التي وردت في السجل الارسلاني ، فما جاء من أن الامير ابا الفوارس معضاد هو ابن لهمام بن صالح بن هاشم الفوارسي من سلالة فوارس بن عبد الملك القاطنين في عبيه (٦٨) مع العلم انه يوجد مصدر أقدم من السجل ورد فيه ان معضاد هو ابن يوسف وليس ابن همام وانه كان يسكن بفلجّين (٦٩) .

وهناك بعض الاخطاء الاخرى منها زواج الامير عماد الدين موسى بن مسعود (٦٦٨ ـ ٧٣٠ هـ) من عصمة الدين عفيفة ابنة الامير ناصر الدين الحسين وزواج اخت الامير موسى المذكور من الامير التنوخي زين الدين صالح بن الحسين ، هذا الزواج تمّ حسب رواية السجل في عام ٦٨٧هـ (٧٠) .

فاذا حاكمنا هذه الرواية نجد فيها المغالطات الاتية :

١ ـ في هذا التاريخ أي عام ٦٨٧ هـ. الذي يرد في السجل انه كان للامير الحسين ابنة برسم الزواج ، لم يكن الامير الحسين نفسه قد تزوّج بعد وذلك حسب رواية صالح بن يحي ، الذي يمكن اعتباره مصدراً اكثر ثقة من السجل وخاصة فيما يتعلق بالامير ناصر الدين الحسين، وذلك لإتفاق ما ذكره

مع ما ذكره ابن حجر العسقلاني في ترجمته المقتضبة للامير المذكور . حيث تتفقان على تاريخ ولادة الحسين ووفاته (٦٦٨ ـ ٧٥١هـ) (٧١) كما وان الحسين بعد زواجه لم يكن له ابنة باسم عصمة الدين عفيفة .

٢ ـ ان الامير زين الدين صالحا بن الحسين وهو جد صالح بن يحي (المؤرخ) لأبيه لم يكن قد ولد في تاريخ زواجه الوارد في السجل الارسلاني، اذ يذكر صالح بن يحي ان ولادته كانت سنة ٧٠٤ هـ أو ٧٠٥هـ (٧٢) .

٣ ـ ان الامير زين الدين صالحا قد تزوج من ابنة علم الدين سليمان بن غلاب الرمطوني وعند وفاتها تزوج من شمسة ابنة فارس الدين معضاد مقدم الأشواف والتي يدعوها صالح بن يحي « بالجدة أم نجم الدين » (٧٣) .

لعل الخطأ في رواية السجل الارسلاني ناتج عن وجود عماد الدين موسى آخر هو عماد الدين موسى بن بدر الدين يوسف الذي تزوج من ابنتي الامير الحسين لؤلؤة ثم صادقة بعد وفاة الاولى (٧٤) .

اضافة الى ذلك نجد السجل الارسلاني يسقط أسماء بعض الامراء ومنهم شجاع الدين ارسلان . الذي شارك في المحافظة على درك بيروت عام ١٧٤هـ واولاده حسان وعلي وجوبان . وكان الاخير قد تزوج من زمرد ابنة الامير فخر الدين عبد الحميد بن أحمد . كما يسقط اسم عماد الدين موسى بن حسان الذي قتل في هجوم علي بن الاعمى وجماعة تركمان كسروان عام ٧٩٢ هـ / ١٣٩٠ م على الغرب ، على الرغم من ان السجل الارسلاني يذكر اسماء جميع من قتلوا في هذه الواقعة والتي يجعل تاريخ حدوثها خطأ عام ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م (٧٥) . هؤلاء الامراء وغيرهم الذين يغفلهم السجل يرد ذكرهم في تاريخ صالح بن يحي (٧٦) .

لذلك فاستنادا الى المغالطات التي ورد ذكرها ، واستنادا الى اغفال السجل لمن اغفلهم كما رأينا يتبادر الى الذهن السؤال التالي : ترى لماذا أسقط السجل هؤلاء الامراء ولا سيما شجاع الدين رسلان ؟ هل لرغبة في ارجاع عمود النسب الى جد اعلى يسميه السجل ارسلان، ويجعل قدومه بعشيرته مع الامير منذر بن مالك الى جبال بيروت عام ١٤٢هـ/٧٥٩م . هادفا من ذلك جعل الأسبقية في حكم منطقة الغرب الى أسلافه الارسلانيين وليس الى الفرع

البحتري ، هذا مع العلم ان هذا الفرع لم يكن يعرف « بارسلان » انما ببيت « رسلان » ؟! (٧٧) .

واذا لم يكن هناك من معطيات ملموسة تعطي الجواب الصحيح على هذا السؤال فاننا نميل الى الاعتقاد ان الارسلانيين لم تكن لهم الاسبقية بل كانوا في الحقيقة من تنوخ كما يمكن أن يكونوا فرعا من البحتريين من ذرية شرف الدولة علي بن بحتر الذي قطن عرامون والذي لا يذكر صالح بن يحي من أولاده سوى زين الدين صالح وبحتر (٧٨) . والذي يسند اعتقادنا هذا هو ورود أجداد مشتركين في السجل الارسلاني وتاريخ صالح بن يحي مع الاختلاف بينهم من ناحية الألقاب منذ شرف الدولة علي والد الامير ناهض الدولة بحتر راس عمود النسب البحتري في سلسلة النسب التي أوردها صالح ، والذي نجده في السجل الارسلاني وقد لقّب بـ «عضد الدولة علي» وقتل اثناء حصار الفرنج لبيروت عام ٥٠٣هـ / ١١١٠م) . كما ان بحتراً هو نفسه في السجل الارسلاني ولكن لقبه « ناهض الدين » وليس ناهض الدولة، وكذلك شرف الدولة علي بن بحتر هو نفسه في السجل الأرسلاني لكن لقبه « عرف الدولة قوام الدين » (٧٩) .

ان ما ذكرناه حول النسب الارسلاني لا يمكن أن ينفي وجود وثائق قديمة عن العشيرة التنوخية التي كان يتزعمها الامير منذر بن مالك بن بركات بن المنذر « التنوخي » والتي تزعمت العشائر الأخرى في جبل لبنان حتى أواخر القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) والتي يتفق ما ورد من أخبارها في السجل الارسلاني مع ما ذكره الشدياق نقلا عن السجل « وتواريخ اخرى » لم تصلنا (٨٠) .

أعيان العشائر التنوخية الذين انتقلوا من معرة النعمان الى جبال بيروت سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م (١) .

المنذر الخامس ملك الحيرة

٦٢٨ هـ — ٦٣٢ م

عون (ت ١٣ هـ)

عمرو — مسعود الملقب (بقحطان) توفى ٤٥ هـ — عامر

النعمان (ت ٦٤ هـ) — المنذر ت ٨٧ هـ الملقب بـ (التنوخي)

بركات (ت ٩٦ هـ)

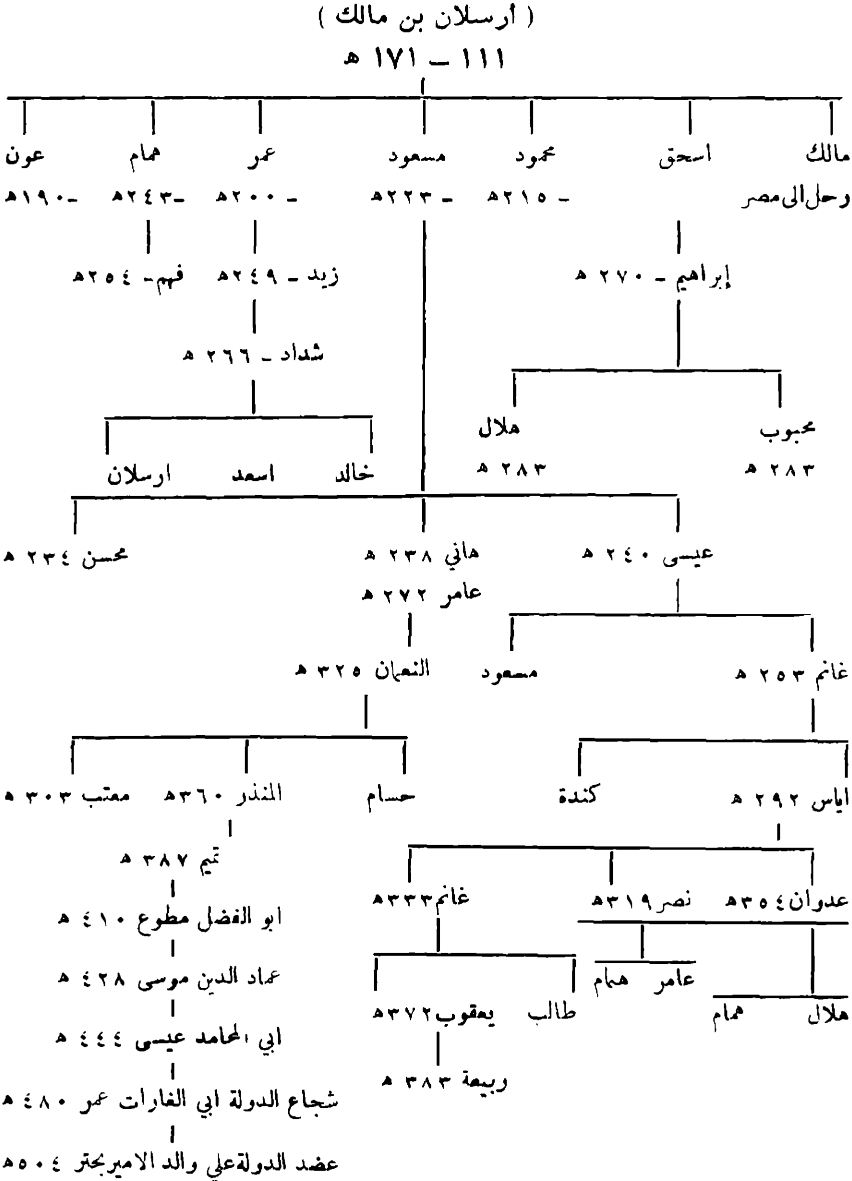
قابوس — مالك ت ١٣٤ هـ

حسان (ت ١٢٦ هـ) — النعمان (ت ١٣٩ هـ) — المنذر (ت ١٨٤ هـ) — عبد الملك (ت ١٣٧ هـ) — أرسلان (ت ١٧١ هـ)

خالد (ت ١٦٤ هـ) — عبد الله — (لا ولد له) — (فوارس ت ١٩٢ هـ)

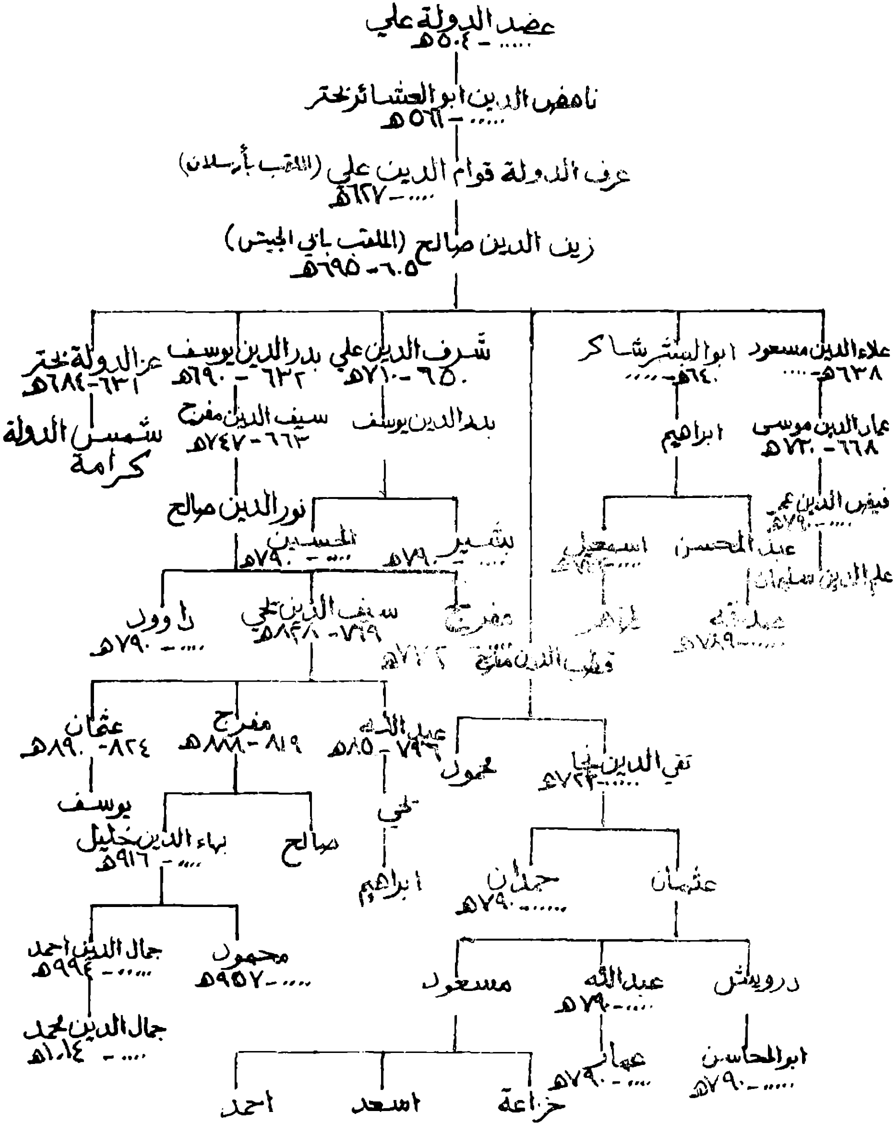
(١) السجل الارسلاني (مخطوط) .

اعيان التنوخيين الذين تولوا حكم بيروت وجبل العرب قبل سقوط المدينة بيد الفرنجه عام ١١١٠م ، ويعتبرهم السجل الارسلاني من ذرية ارسلان بن مالك(١)

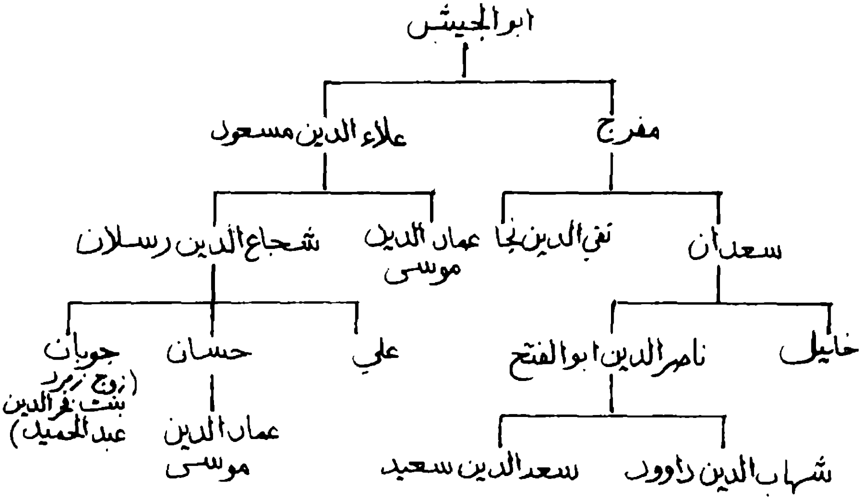


(١) السجل الارسلاني (مخطوط) .

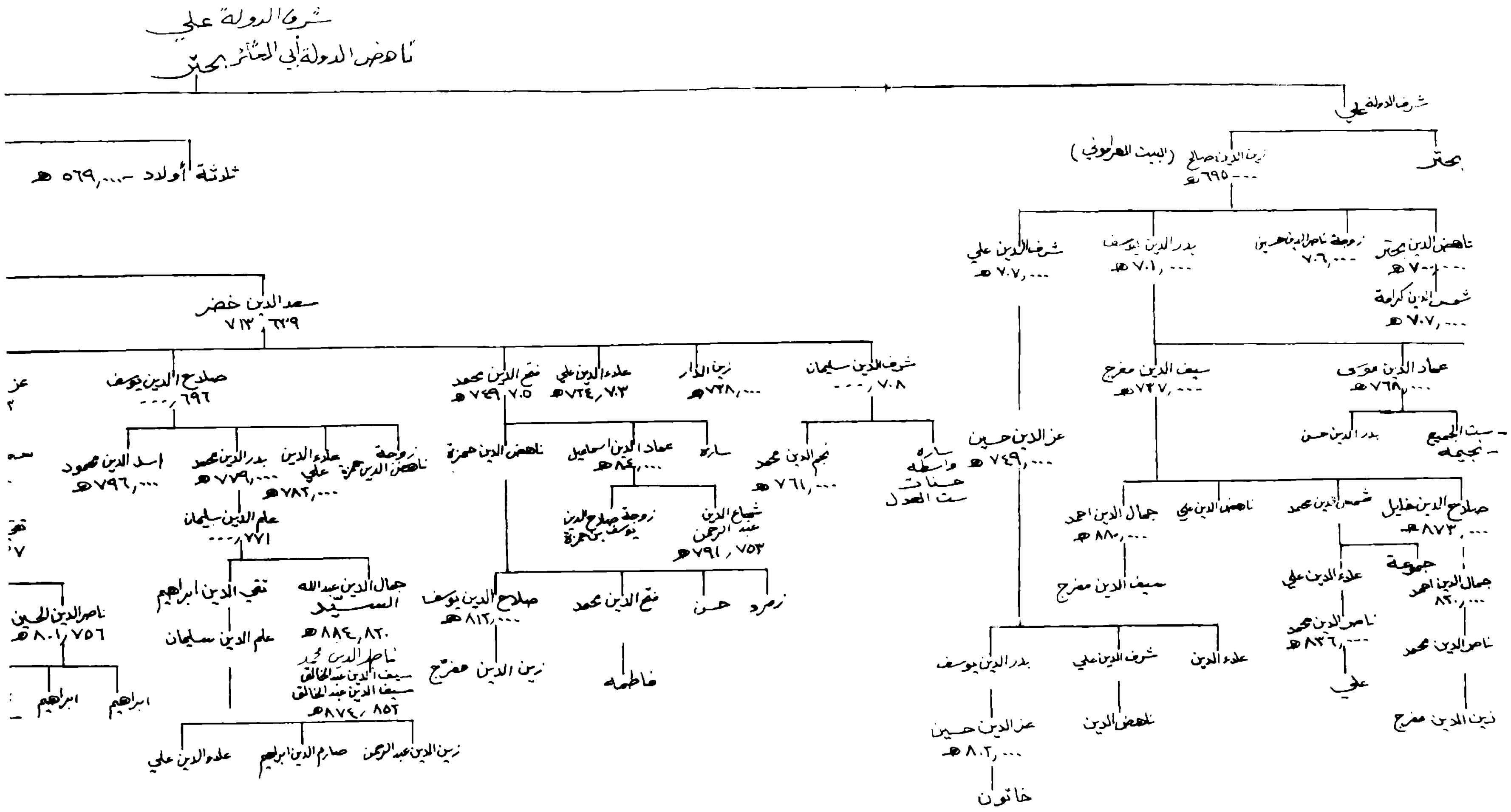
سلسلة اعيان الأرسلانيين من ذرية بحتر بن علي عن السجل الارسلاني المخطوط :



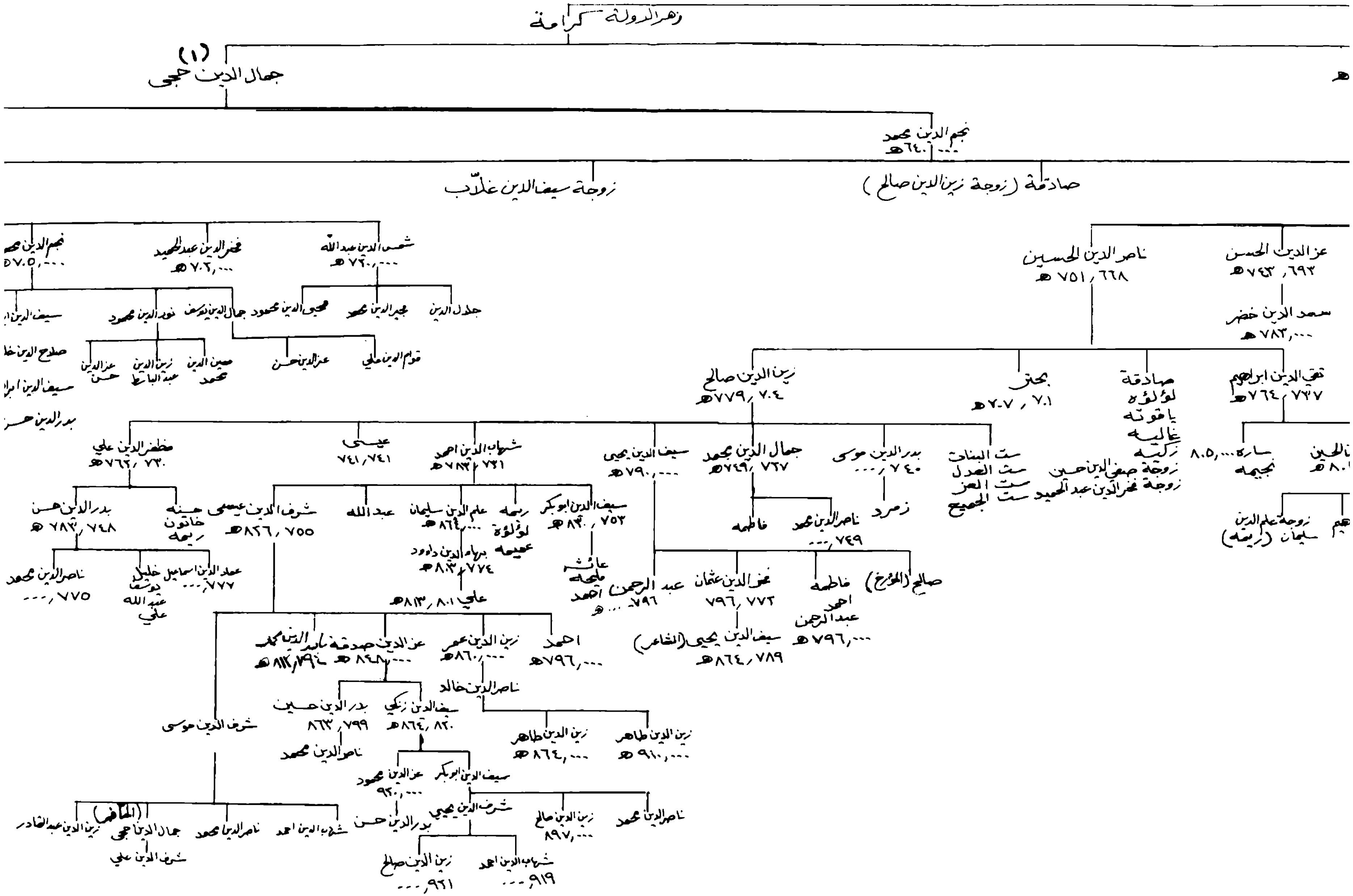
أسماء اعيان الأرسلانيين الذين أسقطوا في السجل الأرسلاني
ووردوا في تاريخ صالح بن يحي:



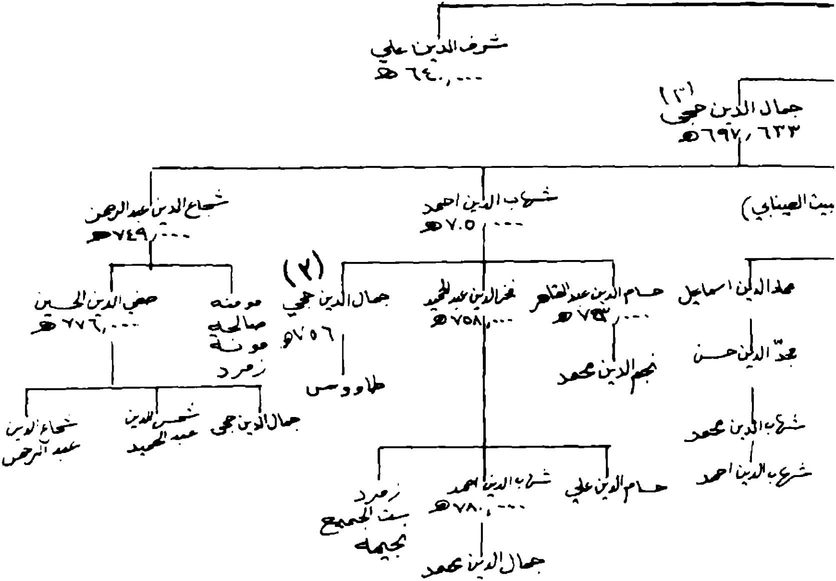
(٨١)



سلسلة نسب الأمراء التنوخيين
الفرع البحتري
عن تاريخ بيروت لصالح بن يحيى
وتاريخ حمزة بن أحمد ابن سباط العاليه



زهر الدولة كرامة
(١)
جمال الدين حجي
نجم الدين محمد
... ٦٤٠هـ
صادقة (زوجة زين الدين صالح)
زوجة سيف الدين علان
عز الدين الحسن
٦٩٢، ٧٤٣هـ
ناصر الدين الحسين
٦٦٨، ٧٥١هـ
سعد الدين خضر
...، ٧٨٣هـ
تقي الدين ابراهيم
٧٢٧، ٧٦٤هـ
صادقة
لؤلؤة
ياقوتة
غالية
زكية
زوجة صفي الدين حسن
زوجة فخر الدين عبد الحميد
بحتر
٧٠١، ٧٠٧هـ
زين الدين صالح
٧٠٤، ٧٧٩هـ
ست المناح
ست العدل
ست العز
ست الجميع
بدر الدين موسى
٧٤٠، ...
زمرد
جمال الدين محمد
٧٢٧، ٧٤٩هـ
ناصر الدين محمد
٧٤٩، ...
فاطمة
سيف الدين يحيى
...، ٧٩٠هـ
صالح (المؤرخ)
فاطمة
احمد
عبد الرحمن
...، ٧٩٦هـ
فخر الدين عثمان
٧٧٢، ٧٩٦
سيف الدين يحيى (الشاعر)
٧٨٩، ٨٦٤هـ
عبد الرحمن
احمد
٧٩٦ ... هـ
شهاب الدين احمد
٧٤١، ٧٨٣هـ
عيسى
٧٤١، ٧٤١
مظفر الدين علي
٧٣٠، ٧٦٢هـ
سيف الدين ابو بكر
٧٥٢، ٨٤٠هـ
عائشة
ملكة
احمد
ربيعة
لؤلؤة
عجيبة
علم الدين سليمان
...، ٨٦٤هـ
برهان الدين داود
٧٧٤، ٨٤٣هـ
علي ٨٠١، ٨١٣هـ
عبد الله
شرف الدين عيسى
٧٥٥، ٨٢٦هـ
حبيبة
خاتون
ربيعة
بدر الدين حسن
٧٤٨، ٧٨٣هـ
عماد الدين اسماعيل
٧٧٧، ...
خليل
يوسف
عبد الله
علي
ناصر الدين محمد
٧٧٥، ...
احمد
٧٩٦، ...هـ
زين الدين عمر
...، ٨٦٠هـ
ناصر الدين خالد
زين الدين طاهر
...، ٨٦٤هـ
زين الدين طاهر
...، ٩١٠هـ
عز الدين صدقة
...، ٨٤٨هـ
ناصر الدين محمد
٧٩٤، ٨١٢هـ
سيف الدين زنكي
٨٢٠، ٨٦٤هـ
بدر الدين حسين
٧٩٩، ٨٦٣
ناصر الدين محمد
سيف الدين ابو بكر
عز الدين محمود
٩٢٠، ...
شرف الدين يحيى
بدر الدين حسن
زين الدين صالح
٨٩٧، ...
ناصر الدين محمد
شهاب الدين احمد
٩١٩، ...
زين الدين صالح
٩٢١، ...
شرف الدين موسى
شهاب الدين احمد
ناصر الدين محمد
جمال الدين حجي (المؤلف)
شرف الدين علي
زين الدين عبد القادر
شمس الدين عبد الله
...، ٧٢٠هـ
جلال الدين
مجير الدين محمد
محيي الدين محمود
فخر الدين عبد الحميد
...، ٧٠٢هـ
جمال الدين يوسف
نور الدين محمود
قوام الدين علي
عز الدين حسن
معين الدين محمد
زين الدين عبد الباسط
عز الدين حسن
نجم الدين محمد
...، ٧٠٥هـ
سيف الدين
صلاح الدين خليل
سيف الدين ابراهيم
بدر الدين حسن



شرف الدين علي
...، ٦٤٠ هـ
(٣) جمال الدين يحيى
٦٣٣، ٦٩٧ هـ
بيت الصيناني)
شهاب الدين احمد
...، ٧٠٥ هـ
شجاع الدين عبد الرحمن
...، ٧٤٩ هـ
مجد الدين اسماعيل
حسام الدين عبد القاهر
...، ٧٤٣ هـ
فخر الدين عبد الحميد
...، ٧٥٨ هـ
(٢) جمال الدين يحيى
٧٥٦ هـ
مومنه
صالحه
مونة
زمرد
صفي الدين الحسين
...، ٧٧٦ هـ
مجد الدين حسن
نجم الدين محمد
طاووس
شهاب الدين محمد
شهاب الدين احمد
جمال الدين يحيى
شمس الدين عبد الحميد
شجاع الدين عبد الرحمن
حسام الدين علي
شهاب الدين احمد
...، ٧٨٠ هـ
زمرد
بنت الجميع
نجيمه
جمال الدين محمد

القدوم التنوخي الى جبل لبنان

كنا قد أشرنا الى رواية أوردها كل من حيدر الشهابي وعلي الأعظمي تفيد بأن هجرة تنوخية قدمت من العراق بعد مقتل الملك النعمان بن المنذر . وتجعل الرواية مكان استقرار تلك الهجرة جبال لبنان المحاذية لبيروت ، لكن لا يوجد ما يؤكد هذه الرواية .. كما ان هناك رواية لمحمد مالك الاشرفاني وهو مؤرخ درزي من القرن السابع عشر للميلاد تفيد بأن فخذا من تنوخ قدم مع جيش الفتوحات الاسلامية الى ثغر بيروت و « ملكوا بلاد الغرب وجبل بيروت » (٨٢) . رواية الاشرفاني هذه تتفق مع ما ذكرته المصادر من ان معاوية اثناء فترة ولايته لبلاد الشام عمل « على ترميم مدن الساحل وتحصينها وشحنها بالمقاتلة واعطائهم ما جلا عنه اهله من الاراضي والمنازل قطائع » (٨٣). وازداد اهتمام معاوية بشأن السواحل الشامية بعد ان « غلب الروم عليها في أواخر خلافة عمر واول خلافة عثمان » (٨٤) اي عام ٢٣هـ / ٦٤٤م . حيث كان الروم يمتلكون تفوقا عسكريا على العرب في المجال البحري مما اضطر معاوية الى العمل لاعادة فتح السواحل وتأمين الدفاع عنها ضد هجمات الروم .

والى هذه الفترة يعيد منير الشريف استقرار الدفعات الأولى من التنوخيين في مدينة اللاذقية ونحوها (٨٥) . ولعل افخاذا من تنوخ قدمت للمشاركة في استعادة السواحل مع قوات معاوية واستقرت في الجبال المحيطة ببيروت .

وتذكر بعض المصادر ان معاوية قام اثناء فترة خلافته ٤١ـ٦٠هـ/٦٦١ـ ٦٨٠م، بحركة تبديل سكاني . ففي رواية للبلاذري انه نقل من أساورة البصرة والكوفة وفرس بعلبك وحمص الى انطاكية . كما ونقل من فرس بعلبك جماعة الى جند الاردن وصور وعكا (٨٦) ، وفي رواية لليعقوبي « ان اهل الساحل بما

فيه مدينة طرابلس وجبيل وصيدا وبيروت كلهم قوم من الفرس نقلهم اليه معاوية. في حين ان لبنان المجاور لصيدا فيه قوم من قريش ومن اليمن» (٨٧).

لقد ايّد بعضهم رواية نقل معاوية للفرس الى سواحل الشام ، وتسليمهم لها لحراستها وحمايتها من خطر الروم . حتى ان هناك من وجد دعماً لصحة الرواية وتأكيداً لها في ان أكثر سكان السواحل كانوا على المذهب الشيعي ، فاعتبروا ان هؤلاء الشيعة من ذريّة الفرس الذين استقدمهم معاوية (٨٨) مع ان اهل فارس لم يعتنقوا المذهب الشيعي الا في ايام الصفويين في مرحلة متأخرة . ويعتبر شيخو ان التنوخيين من الفرس اذ يقول : « بقيت بيروت تحت حكم هؤلاء الامراء الفرس الذين منهم الارسلانيين والتنوخيين »(٨٩). اما محمد دروزة فلم يقبل برواية نقل معاوية للفرس واعتبرها غير معقولة لأن الأمويين كانوا يتبعون سياسة عربية ، وليس من المعقول أن يستقدموا جماعات من الفرس ويسكنوهم السواحل ليتقووا بهم والعرب في أوج قوتهم وقدرتهم ونشاطهم (٩٠) .

ان رواية نقل معاوية للفرس الى السواحل الشامية يجب اعادة النظر فيها ، ليس بسبب ما يراه دروزة فقط بل لأنها كتبت في وقت كان الفرس فيه أصحاب السيادة في الدولة العباسية كما قد يكون ما قصدته الرواية بالفرس عرب العراق وبخاصة التنوخيين حيث ان المصادر العربية والبيزنطية كانت تطلق عليهم اصطلاح « عرب الفرس » (٩١) .

ومن المحتمل ان عشائر من التنوخيين الموجودين في المناطق الشمالية من بلاد الشام قدمت اثناء حركة التبديل السكاني المشار اليها ، مع العشائر العربية القادمة من العراق .

ومن الجدير بالذكر الدّور الذي ابرزته المصادر لقوة تنوخ خلال معركة صفين عام ٣٧هـ/٦٤٨م . الى جانب معاوية . اذ في اثنائها « كان النعمان بن جبلة التنوخي على راية قومه من تنوخ وبهراء» (٩٢). كما ابرزت المصادر نفسها الدور الذي قام به الحرث بن نمر (اونمير) أحد فرسان تنوخ الذي وجهه معاوية الى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة الامام علي (٩٣) . دور التنوخيين في صفين حمل محمد كامل حسين على القول « انهم ابلو بلاء حسنا في صفين فجعلهم معاوية سادة المناطق التي حلوا بها واصبحوا امراءها واصحاب

اقطاعها واشتركوا مع الامويين في حربهم ضد الروم (٩٤) .

ما ان قامت الدولة العباسية وتولى ابو جعفر المنصور الخلافة ١٣٦ ـ ١٥٨هـ / ٧٥٣ ـ ٧٧٤م. حتى اتبع بالنسبة للثغور الساحلية ما قام بهمعاوية، « فانه تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وبنى ما احتاج من البناء فيها وانزلها المقاتلة » (٩٥) .

سياسة ابو جعفر المنصور هذه كانت وليدة الحاجة الملحة للدولة العباسية في ذلك الوقت لعدة اسباب ابرزها ان العباسيين اتخذوا من الكوفة ثم بغداد بعد انتهاء المنصور من بنائها عاصمة لهم ، فبعدت الشقة بين سواحل الشام والعاصمة العباسية (٩٦). واستغل الروم البيزنطيون التغيير السياسي الذي حدث واتبعوا سياسة هجومية ضد الدولة العربية ، وكان على رأس الامبراطورية البيزنطية قسطنطين الخامس ١٢٤ ـ ١٥٨هـ / ٧٤٠ ـ ٧٧٥ م ، وتذكر المصادر ان الروم تمكنوا عام ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م في احدى غاراتهم المتكررة على السواحل الشامية من احتلال طرابلس زمن واليها رباح بن نعمان (٩٧) فاستلزم ذلك تأمين عنصر الدفاع الذاتي عن السواحل من غارات الروم اذ لعل النظام الدفاعي الذي كان معمولا به طيلة العهد الاموي وحتى خلافة المنصور هو ان تأتي الاجناد من المناطق الداخلية الى الساحل فتلبث فترة في الثغور ثم تعود الى قواعدها . ولا يبقى في السواحل سوى اعداد قليلة من المرابطة الذين يطلبون النجدات عند قدوم حملة بيزنطية ، فتتوالى الامدادات من دمشق وبعلبك وحمص وغيرها من مدن الداخل .

وفي حدود سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م. قدمت من معرّة النعمان دفعة تنوخية الى المناطق الجبلية المحاذية لبيروت بأمر من أبي جعفر المنصور، ويذكر السجل الارسلاني ان هذه الدفعة كانت بزعامة الامير منذر بن مالك بن بركات بن منذر « التنوخي » ثم يجعل السجل من ارسلان اخاً للأمير منذر المذكور ويذكر ان قدومهما كان بعد ان قابلا الخليفة المنصور في دمشق ، وجاء برفقتهما أولاد اخوتهما حسّان بن خالد وفوارس بن عبدالملك وعبدالله بن النعمان(٩٨). فيتبنى الشدياق هذه الرواية ويعتبر بأن هذه الدفعة أرسلانية ، ويضيف بأنهم كانوا اثني عشر مقدما ، كما يذكر الشدياق تفصيلات تتعلق بكيفية قدومهم وتفرّقهم في البلاد (٩٩) .

طالما ان السجل الارسلاني يؤكد ان هذه الدفعة بزعامة الامير منذر

وليس بزعامة اخيه ، وطالما انه يرجع نسب الامير منذر الى تنوخ فليس من مبرر منطقي لاعتبار هذه الدفعة ارسلانية حسب ما ذكره الشدياق بل الأصح اعتبارها دفعة تنوخية .

كما وينفرد والشدياق بذكر قدوم دفعة اخرى من التنوخيين من الجبل الأعلى قرب حلب عام ٢٠٥هـ / ٨٢٠م. ويرجع سبب قدومهم الى فرارهم من والي حلب ، فروايته تقول انه : « كانت قبيلة تنوخ بن قحطان بن عوف تقطن الجبل الاعلى فتعرض ذات يوم لبعض حريمهم المشدّ الذي ولاّه عليهم والي حلب فوثب عليه رجل منهم يسمى نبا فقتله ، وفرَّ بعياله الى كسروان وعمر له قرية هناك عرفت بـ « قصرنبا » وتوطنها . ولما طلبه نائب حلب من عشيرته خافوا منه ورحلوا قاصدين موضع نبا . فأتى الأمير تنوخ (الملقب بالمنذر) بعشيرة نبا ومعه تلك القبيلة وأتى معهم بعض أمراء القبيلة وكانوا عشر طوائف فوجههم نبا الى الديار الخالية فتوطّن الامير تنوخ حصن سرحمور وتوطّن الباقون في البلاد » (١٠٠) .

يبدو بعض الاضطراب في رواية الشدياق أو ربما الخطأ بجعل مركز استقرار الامير تنوخ (الملقب بالمنذر) في نفس المكان الذي نزل فيه قبل ستين عاما الامير منذر (الملقب بالتنوخي) اي في حصن سرحمور(١٠١) . اذ من المرجح ان تنوخ الملقب بالمنذر هو نفسه المنذر الملقب بتنوخ وعلى هذا يكون هناك أمير واحد وليس أميران .

اما عن دوافع قدوم هذه الدفعة فمن المعتقد ان هناك اسبابا أعمق مما ذكره الشدياق ، اذ تذكر المصادر انه في اواخر خلافة الامين وبداية خلافة المأمون عام ١٩٨ هـ / ٨١٤م . ثار اهل حاضر حلب التنوخيون على العباسيين بزعامة منيع التنوخي . فحاربهم يعقوب بن صالح الهاشمي أمير الشام وأجلاهم عن حلب « فافترقوا أيدي سبأ وأخرب يعقوب الحاضر حتى الصقه الارض، وكان به عشرون الف مقاتل » هذا ما جاء في رواية لليعقوبي (١٠٢) كما يحدّد البلاذري في رواية مشابهة خط سيرهم عند تفرقهم فيضيف قائلا : « سار أهل الحاضر الى قنسرين فتلقاهم أهلها بالأطعمة والكسي ، فلما دخلوها أرادوا التغلب عليها فأخرجوهم منها فتفرقوا في البلاد » (١٠٣) .

ثورة التنوخيين هذه في حاضر حلب بزعامة منيع التنوخي ترافقت مع

ثورات اخرى قامت في بلاد الشام في وجه التسلط الفارسي في عهد الدولة العباسية تحمل في طياتها عصبية عربية ، ولأسباب اقتصادية ربما بصورة خاصة لما عانت بلاد الشام من انهيار اقتصادي نتيجة تحول المسالك التجارية الكبرى عنها وعن مصر الى بلاد فارس(١٠٤). وعلى الارجح فقد كان مجال تفرّق التنوخيين بعد انتكاسة ثورتهم هو الجبال الغربية من الشام والسواحل الممتدة من اللاذقية شمالا حتى صيدا جنوبا ، داخلين اليها عبر الممرات الجبلية . كما يمكن ان تكون احدى عشائرهم قد حملت اسم « نبا » اذ لا تزال حتى يومنا هذا عائلة في بلدة راس المتن تحمل هذا الاسم ، كما يتناقلون رواية بالتواتر انهم قدموا من الجبل الاعلى قرب حلب وكانت نَيبَه في كسروان موطنهم السابق على بلدة رأس المتن ، وان لهم أقرباء في منطقة بعلبك من الشيعة بينما هم من طائفة الموحدين (الدروز) (١٠٥) .

على ان عشيرة نبا لم تكن وحدها التي قدمت في هذه الدفعة التنوخية الى جبل لبنان . فالشدياق يذكر ان الامير تنوخ قد جاء معه عشر طوائف لا يذكرها في كتابه « أخبار الاعيان في جبل لبنان » المطبوع وانما وردت في تاريخه المخطوط وهي : بنو فوارس وبنو عزايم وبنو عبدالله وبنو عطير وبنو خضر وبنو هلال وبنو شجاع وبنو نمر وبنو شرارة وبنو كاسب (١٠٦) .

وبهذا نصل الى استنتاج ان قدوم التنوخيين الى جبل لبنان لم يتم دفعة واحدة بل جاء على مراحل ، فالى جانب احتمال وجودهم قبل الفتح الاسلامي ، فان افخاذا منهم قد قدمت بعد الفتح بمثابة هجرات تدريجية دعَّمت الوجود التنوخي السابق لها .

وقد يكون قدوم اولى الدفعات منهم في العهد الاموي ، لكن القدوم الكثيف كان منذ خلافة المنصور والسياسة التي انتهجها في تأمين المهمات الدفاعية عن السواحل ، هذه السياسة سار عليها خلفاؤه . ومما يذكر عن الخليفة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ) انه استتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها ، وكذلك فعل هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣ هـ) الذي قام بمثل ما قام به المهدي و « انه قسم الاموال في الثغور والسواحل » (١٠٧) وانه وجه منشورا الى ثابت بن نصر الخزاعي أمير الثغور والى باقي العمال في الشام عام ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م « ان يطلقوا التنبيه في البلاد بالرحيل الى السواحل لتشتد قوة امرائه » (١٠٨) ويرجع عجاج نويهض الى زمن هارون الرشيد

قدوم موجة الى جبل لبنان يعتبرها تعزيزا للدفعة التي قـدمت في عهـد المنصور (١٠٩) .

وان ما ذكره ابن واضح اليعقوبي والهمذاني يدل علـى تحرك ملحوظ للتنوخيين في شمالي سوريا يتعزز من خلاله اعتقادنا في قدومهم التدريجي ، اذ يذكر اليعقوبي أن مواطنهم كانت حماة التي كان « أهلها قوم من اليمن والاغلب من تنوخ وبهراء وكذلك الرستن واهلهامن تنوخوبهراء ومعرة النعمان واهلها منتنوخ في حينانااللاذقية فأهلها قوم مناليمن منسليح وزبيد»(١١٠).

هذا ولا يذكر اليعقوبي وجود للتنوخيين في حاضرتي حلب وقنسرين . اما الهمذاني فانه عندما يذكر مواطن التنوخيين يقول : «ان تياسرت منحمص عن البحر الكبير وقعت في ارض بهراء ثم من ايسرهم مما تصلي البحر تنوخ وهي ديار الفضيض سادة تنوخ ومعكودهم ومنها اللاذقيـة على شاطـىء البحر » (١١١) .

ما ذكره اليعقوبي والهمذاني يدل على ان الهجرة التدريجية للتنوخيين من المناطق الداخلية في شمالي الشام نحو الجبال الغربية والسواحل ومنها منطقة جبل لبنان الحالية ، قد استمرت طيلة القرن الثالث للهجـرة ومطلع القرن الرابع .

هوامش الفصل الاول

(١) شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، **معجم البلدان** ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ ، دار صادر ، ١٩٧٧ . عز الدين ابو الحسن بن محمد الشيباني المعروف بابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٦٧ . محمد بن جرير ـ الطبري . **تاريخ الامم والملوك** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٧ ، بيروت : مكتبة خياط .

Hans Kindermann, «Tanùkh» Encyclopedea of islam, 1st. ed . vol . 5 p. 227.

ابي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور ، **لسان العرب** : ج ٣ ، ص ١٠ ، بيروت : دار صادر ، ١٩٥٥ ، يذكر : تنخ بالمكان وتنأ تنوخا ، وتنَّخ ، اذ اقام به، فهو تانخ وتانيء أي مقيم . وتنوخ هي من العرب أو من اليمن او قبيلة مشتق من ذلك لانهم اجتمعوا وتحالفوا فتنخوا .

(٢) سباتينو موسكاتي ، **الحضارات السامية القديمة** ، (ترجمة السيد يعقوب بكر) ص ١٩٧ ، القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

حسن صالح شهاب ، **اضواء على تاريخ اليمن البحري** ، ص ١٠٩ ، بيروت : دار الفارابي، ١٩٧٧ .

كانت جزيرة العرب تشكل العقدة الاساسية للتجارة العالمية في ذلك الوقت ، والطرقات التي تمر في بواديها تعتبر الشرايين الرئيسية للتجارة ، وكان أهم طريقين للتجارة واللذين سيطر اهل اليمن عليهما منذ القدم ، الاول ويعرف بطريق البخور ويبدأ من سلسلة الموانيء على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية ، والثاني الذي يبدأ من الخليج العربي، ويمتدان نحو شواطيء المتوسط ويربط بين هذين الطريقين سلسلة من الطرق الفرعية .

احمد جواد علي ، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام** ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٦ .

(٣) الحيرة من مدن العراق وتقع بالقرب من نهر الفرات ، والانبار تقع الى الشمال من الحيرة.

(٤) فيليب حتي وادوارد جرجي وجبرايل جبور : **تاريخ العرب (مطوّل)** الطبعة الرابعة، ج ١، ص ٦٠٧ ، بيروت : دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦١ .

(٥) هو ابن المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي الذي الف كتابين عن الحيرة، احدهما بعنوان «كتاب الحيرة» والاخر بعنوان «كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ولقب العباديين»..
ولعل احد اسباب الاختلاف في الروايات ، اذ لم تتفق في شأن العمائر التي تتألف منها تنوخ الا في مالك وعمرو ابني فهم بن تيم اللات بن اسد بن وبره بن تعلبه من قضاعة ، ومالك ن فهم بن دوس الازدي ، يعود الى الاختلاف حول نسب قضاعة أيمانية هي ام عدنانية. لكن القلقشندي يعتبر قبيلة قضاعة يمنية من حمير ويروي عن عمرو بن مرة الجهني القضاعي قوله :

نحن بنو الشيخ الهجان الازهر قضاعة بن مالك بن حمير .

احمد بن علي القلقشندي ، **نهاية الارب في معرفة انساب العرب** ، (تحقيق ابراهيم الابياري) ص ٤٠٠ ، القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ .
ويرى فؤاد حمزة : « ان تنوخ من قضاعة التي تركت اليمن في القرن الثالث للميلاد ، ونزل بطون منها في ساحل تهامة ، وجعلت بينهم وبين مجاورينهم حروب . ثم انتقلت الى العراق فالشام حيث لا تزال بقايا منها موجودة الى يومنا هذا » . **قلب جزيرة العرب** ، ص ٢١١، الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٩٦٨ .

(٦) الطبري ، **الامم والملوك** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢١ .
ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** ج ١ ، ص ١٩٦ .

(٧) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** (تحقيق يوسف داغر) ج ١ ص ٦٦٢ ، بيروت : دار الاندلس ١٩٦٥ .
احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي ، **تاريخ اليعقوبي** ، ج ١ ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩ ، بيروت ، دار صادر ١٩٦٠ .

(٨) ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** ج ١ ، ص ٢٠٢ .
المسعودي ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٦٥ – ٧٤ .

(٩) جواد علي ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ٥٥١ .

(١٠) جواد علي ، **المرجع ذاته** ، ج ٢ ، ص ٥٥١ .
ام الجمال : قرية في سوريا شرقي بصرى على الطريق التجاري القديم الذي يربط الخليج العربي بدمشق .

(١١) نزار عبد اللطيف الحديثي، **اهل اليمن في صدر الاسلام**، دورهم واستقرارهم في الامصار، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨ .
فؤاد حمزه ، **قلب جزيرة العرب** ، ص ٢٦٤ .

(١٢) جواد علي ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .
عبد الرحمن بن خلدون الخضرمي، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر** (المقدمة) ج ١ ، ص ١٣٠ بيروت : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ١٩٧١ .

(١٣) ياقوت ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٣٣١ .
الطبري ، **المصدر ذاته** ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٢٧ .

(١٤) القلقشندي ، **نهاية الارب في معرفة انساب العرب** ، ص ١٨٩ .
محمد امين البغدادي السويدي ، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب** ، ص ٨ مصر : المكتبة التجارية الكبرى .
جواد علي ، **المفصّل في تاريخ العرب** ، ج ١ ، ص ٥١٢ ـ ٥١٧ .

(١٥) السويدي ، **المصدر السابق** ، ص ٧ـ٩ .

(١٦) ابن خلدون ، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (المقدمة)** ص ١٢١ـ١٢٢ .

(١٧) انظر المسعودي ، **مروج الذهب** ، ج ١ ، ص ٦٦ وما بعدها .

(١٨) ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

(١٩) جواد علي ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ١٩٢ .
رينو ديسو ، **العرب في سوريا قبل الاسلام** (ترجمة محمد مصطفى زيادة) ص ٣٤، القاهرة : ١٩٥٩ .

« تفيد الرواية ان عديا بن نصر ين ربيعة اللخمي عندما كان غلاما حضر الى بلاط جذيمة بن مالك بن فهم التنوخي ليكون ساقيا في مجلسه . ولما كان لعدي ظرف وادب عشقته رقاش ابنة مالك واخت جذيمة وتزوجت منه دون رضى اخيها الملك ، مما دفعه الى طلب عدي الذي هرب من وجهه (وقال بعضهم ان جذيمة لحق بهه وقتله) . حملت رقاش وولدت عمرا بن عدي الذي احبه جذيمة ورعاه . ثم لما قتل انتقل اليه الملك على الحيرة . انظر : المسعودي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٦٦ ، وما بعدها .

(٢٠) ر. ديسو ، **العرب في سوريا قبل الاسلام** ، ص ٣٦ .
جواد علي ، **المرجع السابق** ، ج ٣، ص ٢١٩ ـ ٢٢٧ .

(٢١) ف. حتي وغيره ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ١١٠ .
غريغوريوس ابي الفرج بن هرون الملطي المعروف بابن العبري ، **تاريخ مختصر الدول** ، (ترجمة انطون صالحاني) ص ١٤٨ ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٠ .
قنسرين ، مدينة كانت تقع جنوبي حلب وكانت عاصمة جند قنسرين بعد الفتح الاسلامي لبلاد الشام .

(٢٢) المسعودي ، **مروج النهب** ، ج ٢ ، ص ٧٥ .
جواد علي ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ٢٦٨ .

(٢٣) ف. حتي وغيره ، **المرجع السابق** ، ج ١ ص ١١٢ .

(٢٤) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٩٣ .

(٢٥) الطبري ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٧٣ .
جواد علي : **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .
دوسر مشتقة من الدسر وهو الطعن وفي قوتها يقول احد الشعراء :

ضربت دوسر فيهم ضربة   اثبتت اوتاد ملك فاستقر

(٢٦) الطبري ، **الامم والملوك** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٩ .
ياقوت : **معجم البلدان** ، ج ٢ ، ص ٣٣١ .

(٢٧) ابن العبري ، **مختصر تاريخ الدول** ، ص ٢٥٩ . ويقول ابن العبري : « ان العبّاد هم قوم من نصارى العرب اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة وتسموا بالعبّاد » .
H. Kindermann, « Tanukh » E.I, 1st ed . Vol. 5 , p. 225 .

(٢٨) الشيخ طنوس الشدياق ، **كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان** ، (تحقيق فؤاد البستاني) ج ١ ، ص ٢١٧ ، بيروت : منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٠ .
عيسى المعلوف ، **تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني** ، ص ٢٠ بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٦ .

(٢٩) الطبري ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٩ .
ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٣٠) ر. ديسو : **العرب في سوريا قبل الاسلام** ، ص ١٠ و ٢٥ .

(٣١) المسعودي : **مروج الذهب** ، ج ٢ ص ٨٣ .
ابن خلدون ، **كتاب العبر** ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢٤٩ .
جواد علي ، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام**، ج ٣ ص ٢٩٥ . حيث ذكر ان الضجاعمة الذين تنسبهم المصادر الى سليح ، ويذكرون مع اخبار الفتح الاسلامي كجزء من تنوخ . يرد ذكرهم في المصادر البيزنطية اذ جاء انه ZOCUMUS احد العمال الذين اقامهم الروم على عرب الشام وانه وقبيلته دخلوا في النصرانية . تيودور نولدكه : **امراء غسان من ال جفنه** ، ص ٦ (ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق) بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٣ .

(٣٢) ابو الحسن احمد بن علي بن جابر البلاذري ، **فتوح البلدان** ، (تحقيق رضوان محمد رضوان) ص ١٥٠-١٥١ ، مصر : المكتبة التجارية ، ١٩٥٩ .

(٣٣) موسكاتي ، **الحضارات السامية القديمة** ، ص ٢٠٤ .

(٣٤) القلقشندي ، **نهاية الارب في معرفة انساب العرب** ، ص ١٨٩ .
معرة النعمان : مدينة في سوريا على السفح الغربي من جبل الزاوية ، شمالي مدينة حماه .

(٣٥) ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج ٥ ، ص ١٥٦ .

(٣٦) د. سليم هشي (محقق) **تاريخ الامراء الشهابيين بقلم احد امرائهم** ، ص ١٥ بيروت : المديرية العامة للاثار ، ١٩٧١ .
عبد الرحمن بدوي ، **مذاهب الاسلاميين** ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ ، بيروت : دار العلم للملايين ١٩٧٣ .

(٣٧) حيدر احمد الشهابي ، **الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان** ، ص ٣٥٠ ، بيروت :

دار الاثار ١٩٨٠ ، نسخة مصورة عن طبعة نعوم مغبغب ، القاهرة : مطبعة السلام ١٩٠٠ .
علي ظريف الاعظمي ، **تاريخ ملوك الحيرة** ، ص ١٢٠ ، مصر : المطبعة السلفية ١٩٢٠

(٣٨) ابو محمد الحسن بن احمد الهمذاني ، **صفة جزيرة العرب** ، (تحقيق محمد بن بلهيد النجدي) ص ٢٠٦ ، مصر : ١٩٥٣ .

(٣٩) البلاذري ، **فتوح البلدان** ، ص ١٥٠ .
ابن خلدون ، **كتاب العبر** ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .
ويذكر البلاذري انه « كان حاضر قنسرين لتنوخ من اول ما تنخوا (ناخوا) في الشام » .

(٤٠) الطبري ، **تاريخ الامم والملوك** ، ج ٢ ق ٢ ، ص ٢٢ وما بعدها .
ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .
H. Kindermann , «Tanukh» E.I , 1st ed . vol 5 ; p. 229 .

(٤١) الطبري ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٢٩ .

(٤٢) كمال الدين عمر بن احمد بن العديم ، **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، (تحقيق سامي الدهان) ج ١ ص ٢٦ ، دمشق : ١٩٥١ .

(٤٣) البلاذري ، **المصدر السابق** ، ص ١٥٠ — ١٥١ .
ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج ٢ ص ٢٠٦ و ص ٢٨٥ .
H. Kindermann , « Tanùkh » E.I , 1st ed. vol. 5 , p. 229 .

(٤٤) حميرية : نسبة الى قبيلة حمير اليمانية .

(٤٥) اليعقوبي ، **تاريخ اليعقوبي** ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ — ٣٩٢ .

(٤٦) ف. حتي وغيره ، **تاريخ العرب مطوّل** ، ، ج ٢ ، ص ٤٤١ .
H. Kindermann, «Tanùkh» E.I , 1st ed. vol. 5 , p. 230 .

(٤٧) البلاذري ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٨ .
ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

(٤٨) عيسى المعلوف ، **دواني القطوف في تاريخ بني معلوف**، ص ٦٠ ، بعبدا : المطبعة العثمانية، ١٩٠٧ — ١٩٠٨ — محمد سليم الجندي ، **تاريخ معرّة النعمان** ،ج ١ ، (تحقيق عمر كحالة) ج ١ ، ص ٣٥ — دمشق : وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٢ .
السجل الارسلاني (مخطوط) يرد فيه ان « الامير عون قدم ومعه زهاء الف وخمسماية فارس برفقة خالد بن الوليد وشارك معه في فتح دمشق ، وموقعة اجنادين حيث قتل خلالها ، واسكن ابو عبيدة من معه في معرة النعمان بعد فتحها » .

(٤٩) الطبري ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٣٢ .

(٥٠) صالح بن يحي ، **تاريخ بيروت** ، وهو اخبار السلف من ذرية بحتر بن علي امير الغرب ببيروت (تحقيق فرنسيس هورس وكمال الصليبي واخرين) ص ٣٩ بيروت : دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٧ .

(٥١) انظر شجرة النسب التنوخية في الصفحة (٢٣) ، وسلسلة النسب للاسرة نفسها في الملاحق.

(٥٢) شهاب الدين احمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني ، **الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة** ، ج ٢ ، ص ٥٤ ، بيروت : دار الجيل ، نسخة مصورة عن طبعة حيدر اباد الدكن ١٣٤٨ ــ ١٣٥٠ هـ .

ويقول ابن سباط « ان النسبة الى تنوخ انما تعود الى ما قبل الاسلام بنحو الف سنة » كما ويربط بين التنوخيين في جبل لبنان وجذيمة بن مالك التنوخي ملك الحيرة .

انظر حمزه بن احمد بن سباط العاليهي ، **تاريخ ابن سباط** (مخطوط) ورقة ١٣ ــ ١٤ ــ و ٧٦، مكتبة الجامعة الامريكية ــ بيروت .

كما وان الشدياق الذي يورد نفس سلسلة النسب التي اوردها صالح بن يحي يعتبر ان: « تنوخ اسم جنس لثلاث قبائل من نصارى العرب بهراء وتغلب وتنوخ الذين اجتمعوا في البحرين » . الشدياق ، **اخبار الاعيان** ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

(٥٣) اسد رستم « ال ارسلان » **دائرة المعارف** م ١ ، ص ١٦٤ (ادارة فؤاد افرام البستاني) بيروت : ١٩٥٦ .

(٥٤) عجاج نويهض ، **التنوخي ، الامير جمال الدين عبدالله والشيخ محمد ابو هلال المعروف بالشيخ الفاضل** : ص ٢٠٩ ، بيروت : دار الصحافة ١٩٦٣ .

عباس ابو صالح وسامي مكارم ، **تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي** ، ص ٢٠ ، بيروت : منشورات المجلس الدرزي للبحوث والانماء .

(٥٥) **السجل الارسلاني** (مخطوط) اثبات عام ١٤١ هـ .

الامير شكيب ارسلان ، **الروض الشقيق في الجزل الرقيق** ، وهو ديوان الامير نسيب ارسلان في ذيله نسب العائلة الارسلانية ، ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ ، دمشق : مطبعة ابن زيدون ١٩٣٥ . الشدياق ، **المرجع السابق** ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٥٦) العسقلاني ، **الدرر الكامنة** ، ج ١ ، ص ٥٤١ .

(٥٧) ابن خلدون ، **مقدمة ابن خلدون** ، ص ١٣٢ ــ ١٣٣ .

(٥٨) عجاج نويهض ، **ابو جعفر المنصور وعروبة لبنان « لخم والمردة »** ، ص ١٠ ــ ١١ بيروت : دار الصحافة ١٩٦٢ ــ الشدياق ، **المرجع السابق** ، ج٢ ، ص ٥٢٨ .
ش. ارسلان ، « **ذيل روض الشقيق** » ص ١٤٢ .

(٥٩) **السجل الارسلاني** ، (مخطوط) . ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٨ .
راجع الاثبات الاول من السجل في الملاحق .

(٦٠) **السجل الارسلاني** ، (مخطوط) .
ش. ارسلان ، **ذيل روض الشقيق** ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٦١) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٢٥٢ هـ . ـ ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٧ .

(٦٢) ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢٥ ، وجاء على ضريح الامير جمال الدين احمد الارسلاني المتوفي عام ٩٩٤ هـ .
« درج بالوفاة الى رحمة الله تعالى الجناب العالي الامير جمال الدين ابن الامير بهاء الدين رسلان في شهر صفر اربعة وتسعين وتسعماية ، تغمده الله برحمته تعالى واسكنه فسيح جنته بكرمه ومنته » .

(٦٣) ابو علي مرعي زهر الدين ، **سيرة السيد عبدالله التنوخي ـ مختصرة** (مخطوط) ورقة ٩ . مكتبة الجامعة الامريكية بيروت . يرد عليها بعض الحواشي والتعليقات تقارن بين هذه النسخة مع نسخة موجودة في مكتبة الاستاذ سليمان ابو عز الدين وجاء في احد التعليقات حول كلمة المرحوم الواردة في هذه النسخة من انها ساقطة في نسخة ابو عز الدين. وباعتقادنا ان كلمة المرحوم الواردة في هذه النسخة هي المضافة لحداثتها .

(٦٤) **السجل الارسلاني** ، الاثبات ذاته ، واثباتات اخرى .

(٦٥) هنري لامنس ، **تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من آثار** ، ج ٢ ، ص ٥٣ ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ١٩١٤ .

(٦٦) البلاذري ، **فتوح البلدان** ، ص ١٦٤ .
ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .
ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** ج ٣ ، ص ٤٠٠ .

(٦٧) كمال الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان**، حاشية ص ٤١ . بيروت: منشورات كارفان، ١٩٧٩.

(٦٨) **السجل الارسلاني** (مخطوط) اثبات عام ٧٨٣ هـ.
ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ٣٠٧ .

(٦٩) المصادر التوحيدية ، فلجين قرية دارسة قرب عاليه .

(٧٠) **السجل الارسلاني** (مخطوط) اثبات عام ٧٨٣ هـ.

(٧١) العسقلاني ، **الدرر الكامنة** ، ج ٢ ، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٧٢) صالح بن يحي ، **تاريخ بيروت** ، ص ١٧٦ .

(٧٣) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٧٤) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٢٥ ـ ١٦٥ .

(٧٥) ش. ارسلان ، **المصدر ذاته** ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .
السجل الارسلاني ، (مخطوط) ـ راجع سلسلة اعيان الارسلانيين ومن اغفلهم السجل وذكرهم صالح بن يحي في ص ٢٩ ـ ٣٢ .

(٧٦) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٩١ ـ ٩٢ و ٩٣ و ١٦٠ و ٢١٥ .

(٧٧) بطرس البستاني ، « ارسلان » **كتاب دائرة المعارف** ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، بيروت ، مطبعة المعارف ١٨٧٨ . هذا ويوجد على مدخل السرايا الارسلانية في عين عنوب لوحة محفور عليها: « بسم الله الرحمن الرحيم انشأ هذه البوابة المباركة حضرة الجناب العالي الامير يوسف ابن المرحوم الجناب العالي الامير سليم من امراء الغرب امراء بيت رسلان بتاريخ شهر جمادى الثاني من شهور سنة سبع عشر وماية والف » .

(٧٨) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٤ .

(٧٩) قارن بين سلسلة النسب الارسلاني ص ٢٩ ، وسلسلة النسب البحتري في الملاحق .

(٨٠) الشدياق ، **اخبار الاعيان في جبل لبنان** ، ج ٢ ، ص ٥٢٩ .

(٨١) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٨ – ٧٩ – ٩١ – ٩٢ – ٩٣ – ١٠٣ – ١٦٠ – ١٨٠ – ٢١٥ .

(٨٢) محمد مالك الاشرفاني ، **عمدة العارفين في قصص النبيين والامم السالفين** (مخطوط) ، ج ٣ ورقة ١٢١ نسخة في مكتبتي .

نفس رواية الاشرفاني وردت في : **كتاب درة التاج وسلم المعراج في ذكر الامير جمال الدين عبدالله التنوخي** ، لاحد تلامذته ، وشيخ البلاد ، ابو يوسف علم الدين سليمان بن حسين بن سليمان ابن نصر المتوفي ٩١١هـ / ١٥٠٦ م . (مخطوط) مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت تحت رقم ٢٨/٨٣٣ .

ويقول الاشرفاني : « لما توجه سادات الصحابة الى فتوح الشام ، اتى فخذ من التنوخيين لنصرتهم ، وخرجوا الى ثغر بيروت بعددهم وعدتهم ، ورفعوا في دحض الشرك الاعلام ، واقاموا شعائر الدين وضربت سيوفهم البارقة رقاب المشركين وملكوا بلاد الغرب وجبل بيروت » **المصدر السابق** ، ج ٣ ، ص ١٢١ .

(٨٣) البلاذري ، **فتوح البلدان** ، ص ١٣٥ .

(٨٤) البلاذري ، **المصدر ذاته** ، ص ١٣٣ .

(٨٥) محمد عزة دروزة ، **العرب والعروبة في القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجري** ، ج ٢ ، ص ٦ ، دمشق : دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٥٩ .

(٨٦) البلاذري ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٤ – ١٥٣ .

(٨٧) اليعقوبي ، **كتاب البلدان** (تحقيق دي غويه) ، ص ٣٢٧ ، لندن : بريل ١٨٩٢ .

(٨٨) الاب لويس شيخو ، **بيروت تاريخها واثارها** ، ص ٤٤ ، بيروت : مطبعة الاباء اليسوعيين ١٩٢٥ – لامنس ، **تسريح الابصار** ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

(٨٩) شيخو ، الحواشي على تاريخ بيروت لصالح بن يحي ، نشر شيخو ص ٢٧ – بيروت : المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٧ .

(٩٠) دروزة ، **العرب والعروبة** ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٩١) جواد علي ، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام** ، ج ١ ، ص ١٥٧ يذكر ان يوحنا الافسوسي المؤرخ البيزنطي المتوفي ٥٨٥ م . يذكر الحيرة على انها حيرة النعمان من بلاد الفرس .
نولدكه ، **امراء غسان من ال جفنه** ، ينقل عن بركوبيوس ان المنذر ملك عرب الفرس ، ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

(٩٢) المسعودي ، **مروج الذهب** ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .
يذكر المسعودي ان معاوية لما رأى القتل في اهل الشام ، وكلب اهل العراق عليهم خلال معركة صفين : « استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخي وكان صاحب راية قومه في تنوخ وبهراء وقال له : لقد هممت ان اولي قومك من هو خير منك مقدما وانصح منك دينا ، فقال له النعمان : انا لو كنا ندعو قومنا الى جيش مجموع لكان في كسع الرجال بعض الاناة ، فكيف ونحن ندعوهم الى سيوف قاطعة ، وردينة شاجرة ، وقوم ذوي بصائر نافذة ، والله لقد نصحتك على نفسي ، وآثرت ملكك على ديني ، وتركت لهداك الرشد وانا اعرفه ، حدت عن الحق وانا ابصره ، وما وفقت لرشد حين اقاتل على ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واول مؤمن به ومهاجر معه ، ولو اعطيناه ما اعطيناك لكان أرأف بالرعية ، واجزل في العطية ، ولكن قد بذلنا لك الامر ولا بد من اتمامه كان غيا او رشدا ، وحاشا ان يكون رشدا ، وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها اذ حرمنا أثمار الجنة وأنهارها ، وخرج الى قومه وصمد الى الحرب » .
المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .

(٩٣) علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر ، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير** ، (تحقيق عبد القادر بدران) ج ٣ ، ص ٤٦٢ . بيروت : دار المسيرة ١٩٧٩ .
ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

(٩٤) محمد كامل حسين ، **طائفة الدروز تاريخها وعقائدها** ، ص ٨ ، مصر : دار المعارف ، بدون تاريخ .

(٩٥) البلاذري ، **فتوح البلدان** ، ص ١٦٧ .
اليعقوبي ، **تاريخ اليعقوبي** ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

(٩٦) ع. نويهض ، **ابو جعفر المنصور وعروبة لبنان** ، ص ٥ .

(٩٧) ابن عساكر ، **المصدر السابق** ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ .
ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ٥٣ .

(٩٨) **السجل الارسلاني** (مخطوط) اثبات عام ١٩٠ .
ش. ارسلان ، **ذيل روض الشقيق** ، ص ٢٤١ .

(٩٩) الشدياق ، **اخبار الاعيان** ، ج ١ ص ١٢٨ و ج ٢ ، ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦ .

(١٠٠) الشدياق ، **المصدر السابق** ، ص ٤٩٧ .

(١٠١) الشدياق ، **المصدر نفسه** ، ص ٤٩٥ .

(١٠٢) اليعقوبي ، **تاريخ اليعقوبي** ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .

(١٠٣) البلاذري ، **فتوح البلدان** ، ص ١٥٥ .

(١٠٤) ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ٥٥ .

(١٠٥) مقابلة شخصية مع احد مشايخ عائلة نبا في بلدة رأس المتن .

(١٠٦) يوسف ابراهيم يزبك ، **ولي من لبنان** ، سيرة العارف بالله الامير جمال الدين عبدالله التنوخي ، ص ٢٢ ــ ٢٣ ، بيروت : ١٩٦٠ ، حيث يذكر ان مخطوط الشدياق الذي نقل الذي نقل عنه موجود في مكتبته .

سليمان ابو عز الدين « اصل الدروز » **المقتطف** ، العدد ٧٧ ، حزيران ١٩٣٠، ص ٧٩ .

(١٠٧) البلاذري ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٧ .

(١٠٨) محمد كرد علي ، **خطط الشام** ، ج ١ ، ص ١٥٨ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٩

(١٠٩) ع. نويهض ، **التنوخي** ، ص ٢٠٩ .

(١١٠) اليعقوبي ، **كتاب البلدان** ، ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥ .

(١١١) الهمذاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١٣٢ .

H. Kindermann, «Tanùkh » E.I 1st ed . vol 5 . p. 229 .

الفصل الثاني

التنّوخيّون

دورهم في العهدين العبّاسي والفاطمي

١ – توزع التنوخيين الجغرافي

٢ - لقب أمراء الغرب

٣ – التنوخيون في العهد العباسي

٤ – الامارة التنوخية في اللاذقية

٥ – التنوخيون والفتح الفاطمي لبلاد الشام

٦ – التنوخيون واعتناقهم الدعوة التوحيدية

٧ – الامير ابو الفوارس معضاد التنوخي

توزع التنوخيين الجغرافي

ليس لدينا صورة واضحة عن المناطق التي استوطنتها العشائر التنوخية من جبل لبنان . فان ما ورد في السجل الارسلاني ، والذي اقتصر على ذكر العشيرة التنوخية ، التي تراسها الامير منذر بن مالك يحصر وجودهم في المنطقة المحيطة ببيروت . اذ انهم عند قدومهم من معرّة النعمان عام ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م . اتخذوا من وادي التيم مركزا لتجمعهم ثم رجعوا الى جبل المغيثة ، ومنه تفرقوا في البلاد . فاستوطن الامير منذر في حصن سرحمور ، واستقر اخوه (أرسلان) في سن الفيل ، اما ابناء اخوتهما فالامير خالد بن حسّان في طردلا ، والامير عبدالله بن النعمان في كفرا ، والامير نوارس بن عبد الملك في عبيه (١) . اما بقية التنوخيين فلم تحدّد مواطنهم بالضبط . ويقول الشدياق بصدد ذلك : « وتفرّق باقي المقدمين وعشائرهم وكانوا اثني عشر مقدما في البلاد » (٢) .

مع ان المنطقة التي حدّدها السجل الارسلاني مركزا لتوطن التنوخيين تتميز بأهمية استراتيجية من الناحية العسكرية . اذ يتوفر للتنوخيين من خلالها المشاركة مع من سبقهم من دفعات عربية (٣) ، ومنها افخاذ من تنوخ في التصدي لغزوات الروم على مدن الساحل ، وخاصة بيروت ، وتأمين الطريق التي تربط بينها وبين دمشق . فان الجبال المطلة على بيروت لم تكن وحدها المجال الذي توزعت فيه العشائر التنوخية ، لكن مجال توزعهم كان الساحل الشامي الممتد من اللاذقية شمالا حتى عكا جنوبا . ذلك ان كثيرا من المصادر تذكر عددا من القضاة والمحدثين التنوخيين في مدن الشام الساحلية غير اللاذقية ، التي قامت فيها امارة تنوخية سنشير اليها فيما بعد . ومن هذه المدن الشامية التي اشتهر فيها قضاة ومحدثون تنوخيون مدينة جبلة ،

وقد اشتهر فيها أبو محمدبن‌عبدالله‌بن‌الحسين التنوخي المعروف بابن‌ضليعه، الذي ثار فيها ضد الروم بعد ان سقطت بأيديهم عام ٢٥٧هـ / ٩٦٨ م واسترجعها (٤) .

كما يرد ذكر عدد من مشاهيرهم في مدينة عرقة ، كحمزة بن احمد التنوخي ، الذي تولى القضاء بمصر عام ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م (٥) . وفي مدينة صور كالقاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد أبي الفهم التنوخي ، صاحب كتاب جامع التواريخ المعروف بـ « نشوار المحاضرة » عام ٣٨٤ هـ / ٩٩٤م (٦). وفي مدينة عكا الخضر بن محمد بن غوث ابو بكر التنوخي المحدث المتوفى عام ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م (٧) . كما ويعتقد محمد دروزة ان التنوخيين لم يُرسلوا الى جبال لبنان فقط ، وانما وجِّهوا الى سواحل الشام (٨) .

وفي مجال توزع التنوخيين في جبال لبنان تذكر بعض المصادر المتاخرة ان العشائر التنوخية عندما وصلت الى بعلبك ، «انبثوا في سهل البقاع حتى بلغوا زحلة ثم رقوا سلاسل الجبال الى عين‌دارة فبنى بنو فوارس هذه القرية، وسكنوا فيها. وسار بنو شويزان جدود آل عبدالملك يقصدون الماء فبلغوا نهر الصفا ونهر الباروك وبنوا قرية عين زحلته ، ثم منها ساروا الى الكنيسة . اما بنو فوارس جدود اللمعيين وهم اكثر التنوخيين عددا فساروا الى المتن ، أما بنو عبدالله وهلال فساروا الى الشوف ، واستقروا في قرى كثيرة منها : البنيه وكفرمتى ورمطون وطردلا وعرامون وعين كسور وعبيه » (٩) .

رافق قدوم التنوخيين هجوم قام به الروم البيزنطيون على ثغور الساحل ، حيث تمكنوا من دخول طرابلس عام ١٤٢ او ١٤٣ هـ / ٧٥٩ او ٧٦٠ م . وقامت ثورة في جبل لبنان بزعامة أحد اهالي المنيطرة المسمّى بندار، مستغلا الوجود البيزنطي في طرابلس ، او ربما بايعاز منهم . اذ تذكر المصادر انه فرّ اليهم بعد القضاء على ثورته (١٠) . تتفق المصادر على ان العباسيين اعتمدوا في التعامل مع هذه الثورة العنف والارهاب واجلاء السكان (١١) . ولعل السلطة العباسية استهدفت من ذلك السيطرة التامة على المناطق المشرفة على الدروب الجبلية ، التي تصل بين الساحل والداخل ، كما يرى الدكتور الصليبي (١٢) . هذا ومن المحتمل ان العباسيين قد استفادوا من قدوم التنوخيين ، الذين كانوا في ذلك الوقت أمراء اجناد بتوجيه أقسام منهم

الى طرابلس للمشاركة في اخراج الروم منها ، وتركيز اقسام أخرى منهم في منطقة البقاع الى الغرب من بعلبك ، وفي المناطق المحيطة بالدروب عبر جبل كسروان ، خاصة عبر الطريق الجبلي الممتد بين بعلبك وجبيل، والدرب الذي يربط زحلة بالساحل عبر ترشيش . وما يعزز اعتقادنا هذا ما أشير اليه من توطن نبا وعشيرته في شرقي كسروان (١٣) ، اضافة الى ان احدى العشائر التي ورد ذكر قدومها مع نبا وهي عشيرة الخضر ، قد استقرت في المتن الى الجنوب من وادي الجعماني ، وكانت موجودة فيه وخاصة في بلدة كفرسلوان قبل عام ٤١٨هـ / ١٠٢٧م . اذ يرد ذكر الاميرين أبي الحسن وأبي العز ابني الخضر في احدى رسائل الدعوة التوحيدية التي قلّد فيها الامير ابو الفوارس معضاد (١٤) ، احد الامراء التنوخيين بعض امور الدعوة ، والذي سنتطرق الى ذلك فيما بعد .

هذا ولا يزال في كفرسلوان حتى يومنا هذا منطقة تعرف بـ«حمى الخضر» ، كما يرد في رسالة التقليد المذكورة ذكر قريتي المروج وعين عار والمناطق المجاورة لهما (١٥) ، كما توجد في أرصون « آثار قبور اسلامية يعتقد انها قبور تنوخية » (١٦) .

اما بالنسبة للاستقرار التنوخي في جبل الشوف ، فالى جانب ما ذكرته المصادر التي اشرنا اليها من ان بني شويزان اول من بدأوا الاستقرار فيه من التنوخيين ، فان صالح بن يحي عندما يذكر مواطن اجداده بني عبدالله التنوخيين قبل قدومهم الى المنطقة المحيطة ببيروت يقول : «ان جده ابا اسحق ابراهيم بن أبي عبدالله محمد كان اميرا بالبيرة عام ٤١٨هـ / ١٠٢٧م » (١٧) . وقد اعتبر بعضهم ان البيرة التي قصدها صالح بن يحي هي بيرجك ، احدى مدن الثغور مع الروم على الفرات (١٨) . واعتبرها آخرون في الشوف قرب بلدة مجدل المعوش (١٩) . لكننا نميل الى الظن الثاني ، اذ لا يزال في البلدة بقايا قبور يعتبرها بعض اهاليها انها آثار قبور تنوخية . ولعل الوجود التنوخي فيها يعود لاهميتها الستراتيجية ، اذ تتحكم بالطريق الذي يصل الدامور بالداخل . ومما يذكر ان أحد أمراء المماليك عند قدومه من دمشق اثر غارة قام بها الفرنج عام ١٤١٤م على الدامور ، « قدم بعساكره ، ولما رجع بعد ظفره الى دمشق على الطريق الذي سلكه اثناء قدومه ، بات ليلة بمن معه في وادي الفراديس على نهر الباروك ، ثم بات ليلة ثانية في البقاع عند جب

جنين ، ونهض الى الديماس فبات ليلة ثالثة (٢٠) . لم تكن تلك الطريق عسكرية فقط بل كانت تستعمل لقوافل التجارة اذ ترتقي من بلدة الباروك نحو الجبل ، ومنه تهبط عبر طريق متعرج يصل الى بلدة عميق او كفريا في البقاع . ولا تزال تعرف حتى يومنا هذا بسلم كفريا .

استنادا الى ما تقدم يمكننا أن نرجّح انه مع بداية القرن الثالث للهجرة كانت العشائر التنوخية مركز العصبية في وادي التيم والبقاع وبصورة خاصة في ما يحيط ببعلبك وزحلة وانحائهما والاشواف بما فيها جبل كسروان ، وعلى الشريط الساحلي الممتد من نهر الكلب شمالا حتى صيدا جنوبا . بحيث يمكن ان يكون قد انضوى تحت رايتهم كثير من العشائر العربية اليمنية التي كانت موجودة في المناطق المذكورة قبل قدومهم ، مع احتمال وجود لهم في المناطق الساحلية الاخرى ، ولكن ليس بشكل كثيف ، باستثناء اللاذقية وجبالها .

ولما كان مناخ المنطقة الجبلي البارد المثلج شتاء ، يضطر من يستقر فيها الى بناء البيوت الحجرية لسكناه . فقد بنى التنوخيون القرى ، الى جانب سكناهم في قرى كانت مأهولة قبل قدومهم (٢١) . واعطوا للقرى التي انشأوها تسميات عربية ، ومنها أسماء كانت معروفة في اليمن كشملال و فلجّين والقبي والرفيد وغيرها (٢٢) .

ومما لا بد من الاشارة اليه ، هو ان التنوخيين كانوا قبل قدومهم اهل حضر لا اهل بداوة ووبر ، كما اعتقد الشدياق .

لقب امراء الغرب

بقدوم عشائر التنوخيين بزعامة أمرائهم، تقاسموا المناطق التي استقروا فيها من جبل لبنان ذات الحواجز الجبلية والاودية، ومارسوا الحكم الاقطاعي كل في منطقته (٢٣) متساوين في الزعامة الاقطاعية يتبعون والي دمشق أو عامل بعلبك مع احتمال وجود وضع مميّز للامراء الذين كانت مراكزهم على الساحل، لأنهم كانوا يتحملون عبء مواجهة غارات الروم البيزنطيين، والتي في اثنائها كان يهب الامراء الآخرون بعشائرهم لنجدتهم، ومساعدتهم عاملين تحت امرتهم .

ولما كان يطلق على التنوخيين لقب امراء الغرب (٢٤)، فمن المحتمل ان هذا اللقب كان نسبة لإمارتهم على الثغور الساحلية والجبال المطلة عليها والتي نيط بهم امر حمايتها من غارات الروم ودسائسهم، والوقوف في وجه تمرد المتعاطفين معهم، والواقعة في غربي بلاد الشام وبالتحديد غربي جند دمشق. مع ان هناك احتمالا آخر هو ان هذا اللقب قد اطلقه امراء العشائر التنوخية في البقاع ووادي التيم على من كانت امارته من العشائر التنوخية في الغرب من اقطاعاتهم، اذ توجد في بلدة كفرسلوان (المتن) عائلة تحمل اسم « المغربي » ينضوي تحتها فرع يحمل اسم « الخضر » وهم سلالة ابناء الخضر الذين يذكر الأشرفاني بأنهم كانوا موجودون في أيامه في أواسط القرن السابع عشر للميلاد، كما ينضوي تحتها فرع آخر يحمل اسم « بحمد » وهم احفاد الشيخ سليمان بحمد الذي وصفه تشرشل بأنه : « شيخ درزي، سليل بني فوارس التنوخيين، وكان صاحب غنى وجاه عظيمين . لكن مركزه تضاءل اثناء حكم الامير بشير الشهابي » (٢٥) . هذه العائلة تعتبر ان اسم المغربي ما هو الا تصحيف للقبهم القديم « امراء الغرب » (٢٦) .

على أن تسمية الغرب للمنطقة الممتدة جنوبي درب المغيثة جاءت من قدرة التنوخيين على البقاء فيها ، والمحافظة على استمرار امارتهم الوراثية فيها خلال التقلبات السياسية على ما يعرف اليوم بلبنان ، ولا سيما قدرتهم على ابعاد احتلال الفرنجة عن المنطقة المذكورة ، بالاضافة الى وجودهم وسيادتهم من خلالها على الاشواف ووادي التيم وجبل كسروان ، وبصورة خاصة الخارجة منه ، كما سنتطرق اليه فيما بعد .

هذا ولم تقم امارة الغرب التنوخية على أساس حدود جغرافية مرسومة وثابتة ، بل ان حدود هذه الامارة كانت تتسع تبعا لنشاط أمرائها ومدى ارتباطهم بالدولة صاحبة السيادة على بلاد الشام واعتمادها عليهم .

التنوخيون في العهد العباسي

فيما يتعلق بالعشائر التنوخية الاخرى ، فلا يكاد يصلنا شيئا من ذكرها . في حين ان عشيرة الامير منذر تلقى الكثير من العناية التاريخية فالى جانب السجل الارسلاني هناك تواريخ أخرى نقل عنها الشدياق ، ولم تصلنا .

كان مركز عشيرة الامير منذر المنطقة التي اصبحت تعرف فيما بعد بالغرب . وقد توارث أفرادها امريه الاجناد فيها ، ثم تحولت مع التفكك العباسي الى امارة معترف بها من قبل الخليفة في بغداد ، كغيرها من الامارات التي قامت في بلاد الشام . وقد حكمت هذه الامارة بيروت والساحل الممتد من نهر الكلب شمالا حتى صيدا جنوبا . كما كان يصل حكم بعض أمرائها حتى طرابلس وصور ، وذلك تبعا لنشاطهم ، ومدى ارتباطهم بالدولة صاحبة السيادة على بلاد الشام ، واعتمادها عليهم .

وتروي لنا المصادر انه بعد وفاة الامير منذر عام ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م (٢٧) ، تولى امارة الاجناد الامير مسعود . والى جانب ما قام به الامير مسعود من رد هجمات الروم عن السواحل ، فانه شارك مع جيش الخلافة العباسية بقيادة الخليفة المأمون في قمع ثورة الأقباط بمصر عام ٢١٦ / ٨٣١ م (٢٨) . ويقول الشدياق : « انه لما انتشبت الحرب ظهرت منه شجاعة عظيمة ، وعند رجوع الخليفة من مصر كتب له توقيعا بولاية صفد ومقاطعاتها المتصلة ، وامر عماله الذين في الشام ان يساعدوه على الاعداء » (٢٩) .

بعد وفاة الامير مسعود ٢٢٣هـ / ٨٣٨م ، تأمر على الاجناد ولده الامير هانيء ، ثم الامير ابراهيم بن اسحق التنوخي ، وفي زمن امارة ابراهيم يذكر السجل « انه وقف الى جانب عيسى بن الشيخ الشيباني ، الذي ثار في

فلسطين ، وامتنع عن مبايعة الخليفة العباسي المعتمد على الله عام ٢٥٦هـ / ٨٧٠م . وعندما وجَّه الخليفة القائد التركي اماجور واليا على دمشق وكلَّفه بحرب ابن شيخ (٣٠) ، وقف الامير النعمان بن عامر التنوخي الى جانب السلطة العباسية ، فانقسم بذلك التنوخيون فريقين احدهما وقف مع الامير ابراهيم والآخر وقف مع الامير النعمان . وبعد المعركة التي وقعت في اذرعات، وهزم فيها الامير ابراهيم وابن شيخ و « استتب الوضع لاماجور في الشام أمَّر النعمان على جبل بيروت واعماله ، وذلك عام ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م » . ويذكر السجل ان الامير النعمان وصله عام ٢٦٣ هـ / ٨٧٦م كتاب من الخليفة المعتمد « يقرّه فيه على امارته وهو وذريته من بعده » (٣١) .

لم يفدنا السجل الارسلاني نفسه عن سبب موقف الامير ابراهيم الانفصالي عن الدولة العباسية . لكن نتيجة ذلك كان وصول النعمان الى الامارة التي اصبحت امارة وراثية معترف بها من قبل الخليفة ببغداد، فكانت اول امارة عربية على الساحل الشامي .

ويذكر السجل انه خلال امارة النعمان ٢٥٧ ـ ٣٢٥ هـ / ٨٧٦ ـ ٩٣٧م جرى له مواقع كثيرة مع الروم ، الذين كانوا يغيرون على السواحل الشامية، « فمنعهم من الامتداد في السواحل ، وكانوا قد نزلوا في رأس بيروت عام ٣٠٣هـ / ٩١٥م فحاربهم وقتل منهم العديد ، وأسر ثمانية انفار ثم فادى بهم بمن أسره الروم من المسلمين » (٣٢) .

ويتحدث السجل الارسلاني حول جوانب تتعلق بحياة الامير النعمان وشخصيته ، كسفره الى بغداد في طلب العلم ، ونظمه الشعر العجيب ، وانه كان له ديوان شعر ، كما كان اعلم اهل زمانه بفقه الإمام ابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي المتوفى عام ١٥٧هـ / ٧٧٤م . هذا وترك الامير المذكور مؤلفات منها : « تيسير المسالك الى مذاهب مالك » (٣٣) . لكن السجل نفسه لا يشير الى المتغيرات السياسية في بلاد الشام ، اثناء فترة امارة النعمان الطويلة حيث ازداد ضعف الخلفاء العباسيين ، وكادت تصبح سلطتهم اسمية، وخلافتهم دينية لا دنيوية . فبعد وفاة أماجور عام ٢٦٤ هـ / ٨٧٧م ، جمع أحمد بن طولون والي مصر بين ملك مصر وبلاد الشام مقتطعا جزءا أساسيا من الدولة العباسية ، ومؤسسا الدولة الطولونية ، التي استمرت ببلاد الشام

خاضعة لها حتى عام ٢٩٢هـ / ٩٠٤م (٣٤) . ومن المتغيرات المد الشيعي الذي شهدته بلاد الشام ، حيث كانت السلمية منذ مطلع القرن الثالث للهجرة مركز دعوة للائمة الاسماعيليين (٣٥) . وفي عام ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م ، اشتدت شوكة القرامطة الذين أقاموا لهم دولة في البحرين ، واتخذوا من بلاد الشام مسرحا لنشاطهم . فقدمت هجرة من الجزيرة العربية وعلى رأسها ابو القاسم يحي المكنى بصاحب الناقة ، والحسين المكنى بصاحب الخال . ودانت للقرامطة دمشق ثم مدن بلاد الشام الشمالية ومنها معرّة النعمان التي كان يتولاها آنذاك امير تنوخي هو الامير جهير بن محمد التنوخي (٣٦) .

صاحَب حركة القرامطة هجرة بدوية جديدة قدمت من الجزيرة العربية نحو بلاد الشام ، حملت عددا من القبائل التي شكلت المادة البشرية للحركة القرمطية ومنها طيء وكلب وكلاب وأسد وعقيل وغيرها (٣٧) . مع ان بطونا من هذه القبائل كانت موجودة في بلاد الشام قبل القرن الثالث للهجرة . وقد أشارت الى ذلك المصادر ، فالبلاذري يذكر ان أهل حاضر قنسرين مع الفتح الاسلامي لم يكونوا من تنوخ فقط بل كانت تشاركهم طيء فيه (٣٨) . لكن قدوم دفعات جديدة من هذه القبائل نحو بلاد الشام مع حركة القرامطة عزّز قوة بطونها الموجودة في بلاد الشام ، واصبح لها دورها السياسي فيما بعد حيث تمكَنت من تأسيس امارات منها امارة طيء في فلسطين والاردن ، وامارة كلب في منطقة دمشق ، وامارة كلاب في حلب وما حولها (٣٩) . ولعل قسما من هذه القبائل بعد هزيمة القرامطة دخل الى المنطقة الجبلية وسكن في بعض من قراها . اذ يردّ بعض الباحثين اعمار العديد من قرى جبل لبنان الى هذه الهجرة . ومن القرى : تيروش في اعالي عين داره في الغرب ، والمختارة في الشوف وزكريت قرب عين عار في كسروان ، دون ذكر المصدر الذي استندوا اليه (٤٠) .

ماذا كان موقف النعمان من تلك التطورات السياسية التي شهدتها بلاد الشام ؟!

اننا لا نستدل من السجل الارسلاني سوى ان النعمان قد حافظ خلال فترة حكمه الطويلة على سياسة الولاء الروحي للدولة العباسية . ولما احتدم الصراع بين الدولة والبيت الطولوني ، عمل على اتبّاع سياسة الحياد ما امكن

تجنبا لما يمكن ان تجره تلك الحروب الاسلامية الداخلية من ويلات وخراب على امارته ، وكذلك فعل ازاء حملات القرامطة (٤١) . سياسة النعمان هذه اصبحت نهجا تنوخيا التزم بها من جاء بعده من الامراء حيال الصراعات الاسلامية الداخلية . وقد يكون ابن طولون ، اعترف بامارة النعمان على بيروت وصيدا ، لكننا لا نعرف هل اذا ما كانت العشائر التنوخية الاخرى والتي كان امراؤها يتساوون مع الامير النعمان في الإمرية قد حافظت على مثل هذا الولاء ، او ان قسما منها قد انجرف مع المد الشيعي الذي شهدته الشام .

وبسقوط الدولة الطولونية بعد اخفاقها في رد خطر القرامطة عن الشام، قامت بزعامة محمد بن طغج الملقب بالاخشيد الدولة الاخشيدية ، التي اعترف بها خليفة بغداد كامارة وراثية (٤٢) ، وشمل نفوذها القسم الجنوبي من بلاد الشام ، حيث ان القسم الشمالي منها كانت قد برزت فيه سلطة الحمدانيين، الذين اخذوا من الشيعة الامامية مذهباً لهم واثبتوا جدارتهم في حماية الشام من الخطر البيزنطي بزعامة سيف الدولة ٣٣٣ ـ ٣٥٦ / ٩٤٤ ـ ٩٦٧ م (٤٣). لم يصلنا ما يفيد عن علاقة التنوخيين بالاخشيديين ، سوى ما يستدل منه ان التنوخيين استمروا يتولون اقطاعاتهم ، بحيث ان الامير المنذر الذي خلف والده الامير النعمان التنوخي حافظ على امارته بما فيها صيدا ، طيلة ايام الدولة الاخشيدية . لكن ما اشار اليه السجل الارسلاني وهو زواج الامير تميم بن المنذر من سعدى ابنة الامير ابراهيم بن اسحق بن محمد بن ابراهيم التنوخي اللاذقي ، يلقي ضوءا على علاقة كانت تربط بين الامارة التنوخية في الاشواف والامارة التنوخية في اللاذقية (٤٤) .

الامارة التنوخية في اللاذقية

كنا قد أشرنا الى ان الوجود التنوخي في مدينة اللاذقية يعود الى زمن معاوية عندما كان والياً على بلاد الشام . وقد عمل معاوية خلال عهد الخليفتين عمر وعثمان على شحن الاماكن ذات الأهمية العسكرية ، ومنها اللاذقية بأرومات عربية . ويعتبر محمد دروزة ان تنوخيي اللاذقية هم قسم من التنوخيين ، الذين ساروا من معرة النعمان الى السواحل الشامية والجبال الغربية بطلب من الخليفة أبي جعفر المنصور . ولما كانت اللاذقية في طريقهم فقد استقر جماعات منهم في منطقتها وجاءت جماعات اخرى الى لبنان حيث استقروا في انحائه الجبلية القريبة من بيروت (٤٥) . ويجعل العسقلاني من الامير ناصر الدين الحسين أبرز الامراء التنوخيين من ذرية بحتر بن علي ، حفيدا للحسين بن اسحق التنوخي أمير اللاذقية في مطلع القرن الرابع للهجرة وممدوح المتنبي (٤٦) ، مع عدم موافقتنا العسقلاني فيما يتعلق بتحدر آل بحتر من امراء اللاذقية التنوخيين ، ذلك ان سلسلة النسب التي أوردها صالح بن يحي هي واضحة وصريحة حتى جد أعلى هو جميهر وهذا يؤكده مصدر اسبق على تاريخ صالح بأربعة قرون ، اذ سنشير الى الرسالة الموسومة بالجميهرية التي أرسلت للامراء التنوخيين ومنهم الامير أبي اسحق ابراهيم التنوخي ، خلال الدعوة التوحيدية ، كما وان الجميهريين كانوا في جبل لبنان عندما كان الحسين بن اسحق اميرا على اللاذقية ، وكانوا يعرفون ببني عبدالله (٤٧) ؛ ويذكر صالح بن يحي ان هذه النسبة ليست الى ابي اسحق ابراهيم بن ابي عبدالله محمد الذي كان اميرا بالبيرة عام ٤١٨هـ. وانما هي نسبة قديمة متقدمة على سنة ٤١٨هـ . في حين ان تنوخيي اللاذقية كانوا ينتسبون الى بني فهم كما سنرى ، لكن يستدل من اشارة العسقلاني على وجود علاقة أقدم كانت تجمع بين تنوخيي جبل لبنان وتنوخيي اللاذقية،

قبل قدومهم الى كلي المنطقتين. ويذكر محمد الطويل دون اشارة الى المصادر التي استند اليها ، من ان تنوخيي اللاذقية وجبل لبنان ، يجمعهم الأخوة والقرابة لنفس القبيلة التنوخية (٤٨) .

قامت الامارة التنوخية في اللاذقية في ايام خلافة المستعين بالله العباسي ٢٤٨ - ٢٥٢هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦م . اذ ان يوسف بن ابراهيم التنوخي المعروف بالفصيص ثار بالمعرّة وجمع جموعاً من تنوخ وسار الى قنسرين وتحصّن بها . ولما فشلت الدولة العباسية في اخماد ثورته ، كتب اليه الخليفة بتوليته على اللاذقية ونحوها (٤٩) .

لا نعرف الكثير عن هذه الامارة التنوخية ، التي لولا قصائد الشاعر ابي الطيب المتنبي التي مدح بها الحسين بن اسحق ، وعلي بن ابراهيم ورثى الامير محمد بن ابراهيم لكانت هذه الامارة في طي النسيان . وقد مكث المتنبي في بلاط أمراء اللاذقية مدة تفوق العشر سنين قبل ان تبرز الإمارة الحمدانية في حلب وينتقل المتنبي الى بلاط أميرها سيف الدولة عام ٣٣٦ او ٣٣٧هـ / ٩٤٧ او ٩٤٨ م .

وتفيد احدى قصائد المتنبي الموجهة الى الحسين بن اسحق التنوخي انه كان في بلاط اللاذقية عام ٣٢٣هـ / ٩٣٥م . وقد جاء في القصيدة :

أتُنكِرُ يا ابنَ إسحق إخائي ... وتحسبُ ماءَ غيري من إنائِي
أأنطُقُ فيكَ هَجراً بعدَ عِلمي ... بأنَّكَ خَيرُ من تَحتَ السماءِ
وما أربَت على العِشرينِ سنِّي ... فكيفَ مللتُ من طولِ البقاءِ (٥٠)

وفي قصيدة اخرى يمدح المتنبي الحسين المذكور ، تفيد بعض أبياتها ان تنوخيي اللاذقية كانوا ينسبون انفسهم الى بني فهم من قضاعة اليمانية .

يَمينُ بَنِي قَحطانَ رأسَ قُضاعةٍ
وعِرنِينُها بَدرُ النجومِ بَنِي فَهمِ

الى ان يقول :

أبت لَكَ ذمِّي نَخوة يَمنية
ونَفس بها في مأزِقٍ أبداً تَرمِي (٥١)

وفي قصيدة يمدح بها المتنبي الامير علي بن ابراهيم يؤكد على تمسك التنوخيين بالعصبية العربية في وجه السيطرة التركية على مقاليد السلطة في الدولة العباسية حيث جاء فيها :

أحقّ عافٍ بدمعك الهممُ ... أحدَثُ شيء عهداً بها القِدَمُ
وإنما الناسُ بالملوكِ وما ... تفلِح عُرْب ملوكُها عَجَمُ
لا أدب عندَهم ولا حَسَبٌ ... ولا عهُود لهُم ولا ذِمَمُ
بكُلّ أرضٍ وطِئتُها أمَم ... تُرعى بِعبْدٍ كأنّها غَنَمُ (٥٢)

استمرت هذه الامارة التنوخية في تحمل رد اعتداءات الروم البيزنطيين حتى برزت الدولة الحمدانية . ومن المحتمل انها خلال قوة سيف الدولة دانت له بالتبعية . خلال حملة الامبراطور البيزنطي نقفور على بلاد الشام عام ٣٥٧هـ / ٩٦٨م ، كان يتبع لامراء اللاذقية العديد من الحصون ، التي تمكّن الامبراطور اثناء حملته من احتلالها ، وهي أنطرسوس ومرقيه وجبلة و « صالح اصحاب اللاذقية عليها » (٥٣) . ثم خضعت بعد ذلك للروم ، وسلّمها الامبراطور البيزنطي باسيل الى احد قواده كرمروك ، الذي بقي فيها الى ان قتل عام ٣٧٠هـ / ٩٨١م ، على يد حملة قام بها والي طرابلس الفاطمي لاستعادتها ، وأرسل رأس كرمروك الى مصر (٥٤) .

ومما لا بد من الاشارة اليه ما يذكره محمد الطويل ، وينقله عنه محمد كرد علي من ان التنوخيين في اللاذقية ثاروا بزعامة الحسين بن اسحق الضليعني التنوخي ، واستقلوا بها عام ٣٦٨هـ / ٩٧٨ - ٩٧٩م ، وحافظت اللاذقية بعد ذلك على استقلالها حتى قدوم الغزو الفرنجي (٥٥) . من دون ذكر المصادر ، ودون الاشارة الى مشاركة الحملة الطرابلسية في تحرير المدينة .

وحول العلاقة بين الامارتين التنوخيتين في اللاذقية والجبال المحيطة ببيروت ، فكانت موجودة على الارجح منذ قيامهما ، اذ ربط بين امرائهما الى جانب الانتماء الى الحلف التنوخي ، المسؤولية المشتركة في مواجهة غارات الروم البيزنطيين على السواحل الشامية .

التنوخيون والفتح الفاطمي لبلاد الشام

في اواخر ايام امارة المنذر بن النعمان التنوخي بدات سلطة الدولة الاخشيدية تنهار أمام اشتداد الهجوم القرمطي على بلاد الشام ، والفاطمي على مصر . وفي عام ٣٥٧هـ / ٩٦٨م قدم الحسن الاعصم القرمطي على راس حملة على بلاد الشام واحتل دمشق ، وأوقع بالاخشيديين هزيمة نكراء ، واستولى على الرملة ، واجبرهم على دفع جزية سنوية له (٥٦) . كما سقطت مصر في السنة التالية بيد جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله رابع خلفاء الدولة الفاطمية ، التي كانت قد قامت في شمالي افريقيا عام ٢٩٦هـ / ٩٠٩م، كثمرة للعمل السري المنظم الذي تزعمه الائمة الاسماعيليون المستورون في السَلَمية . وما ان تمّ لجوهر فتح مصر حتى سيَّر الى بلاد الشام حملة بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي ، الذي تمكّن من دخول دمشق عام ٣٦٠هـ / ٩٧١م ، بعد موقعتين حاسمتين مع القواد الاخشيديين احداهما في الرملة ، والاخرى في طبرية (٥٧) . كما ارسل قوة لاستعادة انطاكية التي كانت قد سقطت بيد الروم (٥٨) .

وعندما كان جعفر ما يزال في الرملة ، اخذ يدعو امراء الشام للاستجابة للحكم الفاطمي والخطبة للمعز لدين الله . ويذكر المقريزي : ان احد الدعاة الذين أنفذهم جعفر كان أبو طالب التنوخي من اهل الرملة ، حيث سار الى ابي تغلب ناصر الدولة بن حمدان في الموصل طالبا منه ان يقيم الدعوة فيها (٥٩) . ومما يذكر ان الامير المنذر التنوخي قد وصله كتاب من جعفر يدعوه لبيعة مولاه. «فاستشار المنذر اهله وعشيرته واجابه جوابا ليرى ما يكون ، فلما استولى جعفر على دمشق سار اليه فخلع عليه (جعفر) وابقاه على امارته » (٦٠) .

لم يستقر الوضع في بلاد الشام لمصلحة الفاطميين ، وخاصة في دمشق اذ ثار فيها أحداثها ، ومعهم بقايا القواد الاخشيديين ، واستنجدوا بالحسن القرمطي ، الذي قطع علاقته بالفاطميين ، واتبع سياسة عدائية ضدهم وتحالف مع العباسيين . قدم الاعصم الى بلاد الشام واستطاع ان يهزم جعفرا في معركة قرب دمشق وقع فيها الاخير صريعا . ودخل دمشق وخطب للخليفة العباسي بعد ان قطع خطبة المعز فيها واكمل سيره متجها الى مصر ، لكن قوات جوهر تمكنت من ردّه عنها . واستعاد الفاطميون بلاد الشام بعد ذلك عبر حملة قدم على رأسها القائد أبو محمود ابراهيم بن جعفر ، الا ان بلاد الشام اصبحت مسرحا يتصارع عليه الفاطميون من جهة ، والعباسيون والقرامطة من جهة اخرى (٦١) . استغل الروم هذا الصراع الدائر فقاموا بحملات على بلاد الشام ، فعندما قدم القائد التركي هفتكين (الفتكين) وتغلب على دمشق وأخرج منها الوالي الفاطمي (٦٢) ، قام الامبراطور البيزنطي يوحنا تزيمسكس (ابن الشمشقيق) (٩٦٩ ــ ٩٧٦ م) بحملة في عام ٣٦٥هـ / ٩٧٥م، اجتاح خلالها جندي حلب وحمص ثم دخل بعلبك ، وعند تغلبه عليها قدم اليه الفتكين مصالحا ، ثم سار الامبراطور بحملته الى صيدا التي لجأ اليها قادة الفاطميين فخرجوا اليه مصالحين (٦٣) .

كان الامير تميم بن المنذر التنوخي قد تسلّم الامارة بعد وفاة والده ، فحافظ خلال هذا الظرف على ولائه للفاطميين متحملا عبئا كبيرا مع الامراء التنوخيين الاخرين في التصدي للحملة البيزنطية ، حيث انهم لم يسلّموا بيروت الذي وصل اليها ابن الشمشقيق بعد صيدا لقمة سائغة لـه . اذ أورد ابن القلانسي انه « لما انتقل الامبراطور الى ثغر بيروت وامتنع اهله عليه فقاتلهم ، وافتتح الثغر عنوة ، وسبى منه الكثير » (٦٤). كما تحمّل الامير تميم والتنوخيون مهمة التصدي للفتكين ، الذي ما ان غادرت الحملة البيزنطية بلاد الشام ، ووصل الخبر بوفاة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله حتى « قصد بلاد العزيز التي بساحل الشام » ، مؤمنا من خلال القوة القرمطية التي سيَّرها الى الرملة تعطيل القوة الفاطمية الموجودة فيها عن التحرك للمساعدة (٦٥) .

كان من الطبيعي ان يترك الصراع الفاطمي القرمطي على التنوخيين آثارا سلبية . فان هذا الصراع بين جناحي الحركة الاسماعيلية ، التي ارتبط

بها القسم الاعظم من التنوخيين أوجد شرخاً داخل كل امارة بين فئة وقفت الى جانب القرامطة واخرى حافظت على ولائها للفاطميين ، حيث تشير الروايات الى ان الامير درويش بن عمرو التنوخي قد استقلّ بامارة الجبل من قبل هفتكين عام ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م . و « كان امراء الغرب قد اقتسموه قبل ذلك بسنة عندما اختلفتالاحوال من جراء الحروب التي جرت بين هفتكين والقرامطة وعساكر المعز » (٦٦) ، كما اضطر الامير تميم الى مغادرة امارته والسفر مع قادة الفاطميين بحراً الى القاهرة ، وبقي فيها الى ان قدم الخليفة العزيز بنفسه على رأس القوات الفاطمية الى بلاد الشام ، فعاد الامير برفقته . وبعد انتصار الفاطميين على القرامطة واسر الفتكين رجع الامير تميم الى امارته (٦٧) . لعل هذا الانتصار الفاطمي قد دعَّم موقف الامراء التنوخيين الموالين للفاطميين في مناطقهم ، وبدأت الدولة الفاطمية تعتمد عليهم خارج نطاق اماراتهم ، فتولى الامير تميم طرابلس لفترة ، كما تولى الامير هرون بن حمزة مدينة صور ، والامير غالب بن مسعود مدينة صيدا (٦٨) .

التنوخيون واعتناقهم الدعوة التوحيدية

بعد وفاة العزيز تولى الحاكم بأمر الله الخلافة الفاطمية (٣٨٦ ــ ٤١١هـ/ ٩٩٦ ــ ١٠٢١م) ، فأظهر من الحزم في تدبير شؤون الدولة ما لم يسبق له مثيل في عهد اسلافه ، وتمّ في عهده السيطرة للفاطميين على جميع انحاء بلاد الشام . باعتماده على قبائل طيء وكلب وكلاب في الداخل والشمال ، وبتعيينه ولاة اكفّاء منهم أنوشتكين التزبري (الدزبري) ، الذي صادق ولاة الاطراف في المناطق الجبلية التابعة لجندي الاردن ودمشق خلال ولايته على بعلبك ثم قيساريه بعدها . فأقام الدزبري معهم علاقات متينة وأحسن في الحكم الى حد استرعى النظر (٦٩) . ومما لا شك فيه ان التنوخيين من جملة ولاة الاطراف الذين صادقهم الدزبري وتقرّب اليهم .

في سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م اصدر الحاكم بأمر الله سجلا اعلن فيه بداية الدعوة ، التي اطلق عليها اصحابها دعوة التوحيد . ونودي بحمزة علي الزوزني اماما للموحدين (٧٠) . فاتخذ حمزة من مسجد ريدان في ظاهر القاهرة مركزا يدعو الناس الى دعوة التوحيد . وتفيد المصادر التوحيدية ان الحاكم كان قد اخذ يبث النُذُر بقدوم دعوة التوحيد قبل ظهور الدعوة الى العلن باحدى وعشرين سنة (٧١) . استجاب الامراء التنوخيون الى الدعوة منذ بدايتها ، وكانوا مع ظهور دعوة النُذُر من دعاتها (٧٢) . وقد وصلت من المقتنى بهاء الدين علي بن أحمد بن الضيف الطائي السمّوقي الذي تقلّد مقاليد الدعوة بعد عام ٤١١هـ / ١٠٢١م ، رسالة الى ثلاثة من الامراء التنوخيين وهم: ابو الفضايل عبد الخالق بن محمد ، وابو الحسن يوسف بن مصبّح وابو اسحق ابراهيم بن ابي عبدالله محمد . تاريخها ٤١٨هـ / ١٠٢٧ م ، وهي الرسالة الموسومة بالجميهيرية . وضع المقتنى اسماء الامراء الثلاثة ضمن دائرة

ووصفهم بـ « الامراء السادة آل تنوخ الاصفياء والمحقين والدعاة والشيوخ » (٧٣) .

يستدل من وضع اسماء الامراء التنوخيين داخل دائرة من انهم كانوا متساوين في المرتبة مع احتمال وجود صراع بينهم سببه التنافس السياسي، حيث ان المقتنى يطلب منهم في باطن الرسالة ان يطرحوا الضغائن فيكونوا ملوكا على العرب وحكاما فيهم بما تقدّم لهم في التوحيد من كريم النسب ، مع احتمال انهم لم يكونوا امراء في منطقة واحدة من مناطق جبل لبنان . ففي حين اننا نعرف مركز الامير ابي اسحق ابراهيم ، الذي ينتسب اليه الامراء البحتريين ، حيث ذكر صالح بن يحي ، انه كان اميرا بالبيرة، لكننا نجهل مكان امارة الاميرين الآخرين اللذين وجهت اليهما الرسالة المشار اليها . فالأشرفاني يقول : ان الرسالة سميت بالجميهيرية لأنه « قطن منهم فخذ بقرية من ساحل بيروت تدعى جمهور نسبوا اليها ، ويقال جمهور فخذ من تنوخ منهم امراء غرب بيروت » (٧٤) . لكن عبد الرحمن بدوي يعتقد ان الرسالة انما وجّهت الى مشايخ التنوخيين في وادي التيم وجبل لبنان (٧٥) .

اخذ العامة يطلقون خطأ على اصحاب مذهب التوحيد اسم الدّرزية او الدروز وذلك نسبة لنشتكين محمد بن اسماعيل الدرزي ، الذي كان داعيا للحاكم بأمر الله في مصر قبل امامة حمزة بن علي (٧٦) . ولما تعيَّن حمزة اظهر نشتكين الضغينة له وجمع حوله الأتباع محاولا الاستقلال بالدعوة الى ان قتل عام ٤١٠هـ / ١٠١٩م (٧٧) .

الامير ابو الفوارس معضاد التنوخي

يذكر السجل الارسلاني ان امارة الغرب التنوخية كان يتولاها قبل عام ٤١٠هـ / ١٠١٩م الامير مطوع بن تميم ، وعند وفاته « انقسم أهل الغرب قسمين الواحد يطلب امارة عماد الدين موسى ولده ، والآخر يطلب امارة الامير ابي الفوارس معضاد . فتولى الامارة موسى ، وبعد سنة نزل عنها للامير ابي الفوارس » (٧٨) . وقد وصلت رسالة تقليد من المقتنى بهاء الدين الى الامير معضاد يقلده فيها امور الدعوة فيما يعرف حاليا بـ « جبل لبنان » ، يصفه فيها بذي المحامد كفيل الموحدين ، وفوّض اليه الامر في الغرب والجرد والمتن ومن ضامهم ونحا نحوهم . وأوصاه بأن يصرف فكره الى من بعين صوفر والمروج وعين عار ومن ضامّهم ونحا نحوهم من مجاورينهم ، كما طلب منه زيادة منزلة بعض المشايخ ، ومنهم الاميرين ابي الحسن وابي العز ابني الخضر من قرية كفرسلوان (٧٩) .

كان الامير معضاد يسكن في قرية فلجّين عندما وجهت اليه الرسالة . لكن موطنه الاساسي حسب ما يذكر الاشرفاني كانت قرية البيرة (٨٠) . هذه القرية التي هي موطن بني عبدالله . بينما السجل الارسلاني يعتبره من سلالة الامير فوارس بن عبد الملك ، التي اتّخذت من قرية عبيه مركزا لها منذ قدومها .

من خلال الروايتين يمكننا ان نرجّح ان الامير معضادا من آل تنوخ اما من عشيرة بني فوارس ، واما من بني عبدالله . ولعل انتقاله الى فلجّين ، واتخاذه منها مركزا لاقامته كان بسبب توسط هذه البلدة امارته التي يستدل من خلال التقليد انها كانت تشمل الاشواف وكسروان . كما يستدل ان امارته الى جانب كونها تمثيلا للعصبية التنوخية تمثل الموحدين (الدروز) في الجبل،

الذين اصبحوا مع دعوة التوحيد جماعة تتميز في العقيدة عن غيرها من الفرق الاسلامية .

مع بداية عهد امارة معضاد التي ترافقت مع تولي الظاهر لإعزاز دين الله الخلافة الفاطمية ، تعرّض الموحدون (الدروز) لاضطهاد الظاهر وتعذيبه لهم وتنكيله بهم ، وقد هدر دمهم في جميع انحاء خلافته ودامت فترة الاضطهاد نحو ست سنوات . وذلك لعدم اعتراف الدروز بامامته (٨١) . وبدأت احوال الدولة الفاطمية تضطرب في بلاد الشام ، فقد انقلب صالح بن مرداس الكلابي على الظاهر وسيطر على حلب وعقد حلفاً مع زعيم قبيلة كلب سنَّان بن عليان، وزعيم قبيلة طيء حسَّان بن دغفل بن جرّاح ، واتفقوا على اقتسام الشام فيما بينهم بحيث تكون فلسطين والاردن لحسَّان، ودمشق وانحاؤها لسنَّان، وحلب والقسم الشمالي من بلاد الشام لصالح ، وعندما انفذ الظاهر أنشتكين الدُزبري (التزبري) الى فلسطين والياً عام ٤١٥هـ / ١٠٢٤م ، اجتمع عليه الامراء الثلاثة وقواتهم وردّوه الى عسقلان (٨٢) . امتدت سيطرة صالح على حمص وبعلبك وحصن عكار ، كما حاول الاستيلاء على صيدا وبيروت وطرابلس (٨٣) . واستمر الحلف القبلي يسيطر على المنطقة الشمالية والداخلية من بلاد الشام ، الى ان توفى سنان بن عليان وتولى ابن اخيه رافع ابي الليل على امارة قبيلة العرب الكلبيين . فقطع الامير رافع علاقته بالحلف، وتحالف مع الدُزبري ضد صالح بن مرداس وحسَّان بن دغفل ، وتمّ لهما النصر في موقعة الاقحوانة (عند طبريه بفلسطين) عام ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م . وقُتِل صالح بن مرداس نفسه اثناء المعركة (٨٤) .

السؤال الذي يتبادر الى الذهن هو لماذا لم يشترك التنوخيون في الحلف القبلي ؟ بل انهم شاركوا بزعامة الامير معضاد في معركة الاقحوانة الى جانب الامير رافع ابي الليل والدُزبري . والجواب الاقرب الى المنطق عن غيره هو ان التنوخيين الى جانب تميزهم العقائدي عن جماعة الحلف كانوا أهل حضر ، في حين ان القبائل المشاركة فيه كانت اهل بداوة ووبر تتعارض مصالحهم ومخططاتهم مع التنوخيين . كما انهم استمروا على سياسة الولاء الروحي للدولة الفاطمية عاملين على سلامتها في وجه اعدائها الخارجيين المتمثلين بالروم البيزنطيين ومناهضين بلا هوادة محاولات التجزئة والانفصال الداخلي الذي تمثلت في جماعة الحلف القبلي ، وكان لهم دور في المعركة ،

وفي تحقيق الانتصار ضد جماعة الحلف ممـا حدا ببعض البحّاثة ان يَرُدَّ تسميتهم بالدروز الى نسبة عسكرية نتيجة اشتراكهم في معركة الاقحوانة مع انوشتكين الدُزبري (٨٥) .

بعد معركة الاقحوانة تمكّن نصر بن صالح ، الذي فرَّ من ارض المعركة على أثر مقتل والده من تسلّم حلب ، وتحالف مـع الـروم المسيطرين على انطاكية . لم يصلنا ما يفيد عن مشاركة التنوخيين مع غيرهم من الدروز في التجمع في جبل السماق للقيام بثورة ضد نصر بن صالح ، او الروم . قـام نقيطـا قطبـان انطاكية ، ونصر بمهاجمتهم فـي المنطقة الجبلية حيث نكب الموحدون (الدروز) بمقتل الكثير منهم ومن دعاتهم . وتعرف هذه الحادثة التـي جـرت عـام ٤٢٣هـ / ١٠٣٢ م ، عنـد الموحدين (الـدروز) بمحنة انطاكية (٨٦) . وقد نزح كثير من الاسر الدرزية على اثر هذه المحنة الى جبل لبنان ، ومما يذكر ان دعوة التوحيد تعرضت لحركة ردّة في تلك الفترة اذ قام عدد من الدّعاة بخط منحرف عن عقيدة التوحيد ، واكثر من تعاظَم شأنه وقويت شوكته منهم كان الداعي مسعود بن سكينية المعروف بسكين الذي كان مركزه قرية تنوره في وادي التيم ، وذلك لبعده عن مركز الدعوة في مصر ولإقامته دعوة مضلّلة تقوم على انتهاك المبادىء الدينية ، والقيم الخلقية(٨٧) . فما كان من المقتنى بعد ان فشل في الوسائل السلمية ، التي اتبعها فـي اثناء المرتدين عن حركتهم ، واعادتهم الى حظيرة الدعوة وكلّف الامير معضاد بضرب حركتهم . جرّد الامير حملة عسكرية الى وادي التيم حيث هاجم سكينا ، واتباعه في قرية يذما وانتصر عليهم في معركة قتل فيها معظم اهل الردة عـام ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م ، وهرب سكين حيث قتل في قرية عرنة (٨٨) .

اصبحت الإمارة التنوخية في ايام الامير معضاد ملاذا لكثير من الموحدين (الدروز) ، الذين اضطهدوا على يد الظاهر ، او النازحين من أنحاء حلب بعد محنة انطاكية ، هذا وقدنزح قسـم منهـم عـن وادي التيـم بعـد حركة الرِدّة (٨٩) . لم يستجب جميع التنوخيين الـى الدعوة التوحيدية و (لعـل بعضهم قـد استجـاب اليهـا ، ثم ارتد عنها فيما بعد) . فانقطعت صلـة التنوخيين في الاشواف مع اقاربهم في المناطق الاخرى ، وخاصة مع تنوخيي اللاذقيـة .

هوامش الفصل الثاني

(١) **السجل الارسلاني** (مخطوط) اثبات عام ١١٩٠هـ ـ ش. ارسلان ، « **ذيل** » **روض الشقيق في الجزل الرقيق** ، ص ٢٣٤ .
جبل المغيثة : هـو المنطقة الواقعة شمالي طريق بيروت دمشق ما بين المديرج وبلدة حمانا . طردلا وكفرا : قريتان دارستان الاولى بالقرب من بلدة عبيه والثانية بالقرب من عيناب في الغرب ـ قضاء عاليه . وسن الفيل شمالي بيروت . وسرحمور : هي سرحمول الحالية في الغرب ـ قضـاء عـاليه .

(٢) الشدياق ، **اخبار الاعيان في جبل لبنان** ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .

(٣) نزار الحديثي ، **اهل اليمن في صدر الاسلام ، دورهم واستقرارهم في الامصار** ، ص ١٥٥.
ويرى الحديثي : ان استقرار الاوزاع من قبيلة حمير في المنطقة بين دمشق وبعلبك وبيروت مع الفتح الاسلامي . « والتي هي منطقة واسعة يتبين من انتشارهم الواسع فيهـا كثـرة عددهم ، كما يفهم من استقرار الاوزاع على الطريق بين دمشق وبيروت انهم كانوا مسؤولين عن حماية هذا الطريق المهم ، وقد دخل في الاوزاع بعض من خولان ، وهو دليل اضافي على اهميتهم وقوتهم » .

(٤) ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، ج ٢ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٥) ياقوت ، **المصدر ذاته** ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .

(٦) عمر عبد السلام تدمري ، **تاريخ طرابلس ، السياسي والحضاري عبـر العصور** ، ج ١ ، ص ٢٣ ، طرابلس : مطابع دار البلاد ، ١٩٧٨ ـ عـن جامع التواريخ المعروف بـ « منشـوار المحاضرة » للقاضي التنوخي نشره د. س. مرجليوت ، ج ١ ، ص ٢٨٤ ، مصر : ١٩٢١ .

(٧) ابن عسـاكر ، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير** ، ج ٥ ، ص ١٦٨ .

(٨) محمد دروزة ، **العرب والعروبة من القرن الثالث حتى الرابع عشـر الهجـري** ، ج ١ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٩) Charles Chur chill, Mount Lebanon, A ten years Residence From 1842 - 1852 , Vol. I. p 222 - 226 London, Sounders and. Otely .

ابراهيم الاسود ، **ذخائر لبنان** ، ص ١٢٧ ـ ١٣٩ . بعبدا : المطبعـة العثمانية ١٨٩٦ .

جميع القرى الوارد ذكرها موجودة في منطقة الغرب ـ قضاء عاليه . اما رمطون فقرية دارسة غربي كفرمتى في المنطقة المذكورة .
ـ الشوف او الاشواف بمعنى الارض المرتفعة كانت تطلق على المنطقة الممتدة الى الجنوب من وادي الجعماني (نهر بيروت) وما يقع بين الجعماني ودرب المغيثة كانت تعرف بالمتن ، وما يليها جنوبا حتى وادي الصفا (نهر الدامور) فكانت الغرب ، اما ما يقع جنوبي الصفا فكانت بالتحديد الشوف . انظر : ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ٤٥ .

(١٠) ابن عساكر ، **المصدر السابق** ، ج ٥ ، ٣٤٤ ـ محمد كرد علي ، **خطط الشام** ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ١٩٦٩ .

(١١) ابن عساكر ، **المصدر ذاته** ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ .
البلاذري ، **فتوح البلدان** ، ص ١٦٨ ، ويورد البلاذري رسالة الامام الاوزاعي الى صالح بن علي امير الشام ومصر ، حول اجلاء اهل الذمة ممن لم يكونوا ممالئين لمن خرجوا في الثورة مذكرا بان حكم الله تعالى « الا تزر وازره وزر اخرى » .

(١٢) ك. الصليبي ، **المرجع السابق** ، ص ٥٨ .

(١٣) اسم كسروان قديما كان يطلق على المنطقة الجبلية الى الشمال من وادي الجعماني حتى وادي نهر ابراهيم وما ينحدر منها نحو البقاع عند بلاد بعلبك. اما ما اطلق عليه اسم كسروان حديثا فهو ما يمتد شمالي نهر الكلب ـ اذ ان المنطقة التي تقع بين نهر الكلب ووادي الجعماني عرفت بعد عام ١٧١١م . بالخارجة او بالقاطع ، عندما اضيفت الى اقطاع اللمعيين ، وتعرف اليوم بالمتن الشمالي ـ الخوري منصور الحتوني « **نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية** » ، (نشر يوسف ابراهيم يزبك) ص ١٢ـ١٨ ، بيروت : ١٩٥٦ ـ ك. الصليبي ، **المرجع ذاته** ، ص ٤٤ ـ ياسر القنطار ، **الامراء اللمعيون** ، ص ٤٣ ، دراسة ماجستير غير منشورة ، بيروت : الجامعة اللبنانية ١٩٨٠ .

(١٤) الاشرفاني ، **عمدة العارفين** (مخطوط) ج ٣، ورقة ، ١١٧ .

(١٥) الاشرفاني ، **المصدر ذاته** ، ج ٣ ، ورقة ١١٦ .

(١٦) طوني مفرج ، **الموسوعة اللبنانية المصورة** ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، بيروت : مكتبة حبيب ١٩٧١.

(١٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤١ .

(١٨) الاب شيخو ، **بيروت تاريخها وآثارها** ، ص ٦٧ .
Kammel Salibi. « The Buhturids of the garb Medieval lords of Beirut and of southern Lebanon » **Arabica,** vol 8 January 1961 p. 80.

لكن الصليبي على ما يبدو قد غير رأيه واعتبرها في كتابه « **منطلق تاريخ لبنان** » ارض زراعية قرب سوق الغرب ، انظر : ص ٩٧ .

(١٩) حيدر احمد الشهابي ، **الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان** ، ص ٥٦٩ ، بيروت : دار الاثار ، ١٩٨٠ .
عجاج نويهض ، **التنوخي ، الامير جمال الدين عبدالله** ، ص ٢٥ .

سليم ابو اسماعيل ، **الدروز وجودهم ومذهبهم وموطنهم** ، ص ٩ ، بيروت : مؤسسة التاريخ الدرزي ، بدون تاريخ .

مجدل المعوش : قرية في جبل الشوف على وادي الصفا ، وكانت تعرف قديما بالبيره السفلى .

(٢٠) تاريخ **الامراء الشهابيين بقلم احد امرائهم** ، (تحقيق د. سليم هشي) ص ٤٢ ، بيروت : مديرية الاثار العامة ١٩٧١ .

ابن سباط ، **تاريخ ابن سباط** (مخطوط) ، ورقة ٣٢٣ . يذكر ان قائد الحملة المملوكي كان السلطان المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥ — ٨٢٤ هـ / ١٤١٢ — ١٤٢١م) .

(٢١) انيس فريحة ، **معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية**، ص ١٨، بيروت : مكتبة لبنان١٩٧٢.

(٢٢) الهمذاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٨٠ ، ١٠١ و ١١٨ و ١٢٣ .

(٢٣) م. دروزه ، **المرجع السابق** ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

(٢٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٧ ومواضع اخرى — السجل الارسلاني ، في اكثر الاثباتات .

(٢٥) Churchill, Charles, Mount Lebanon Vol. I, p. 109 .

(٢٦) مقابلة شخصية مع الشيخ ابو محمود سلمان الخضر المعروف بـ « المغربي » . مع ان النسبة الى الغرب تكون الغربي وليس المغربي ، فان البطريرك الدويهي في تاريخه يذكر نسبة « المغربي » في معرض ذكره للمؤرخ ابن سباط ، فيذكر اسمه حمزه بن أحمد ابن سباط المغربي . انظر : الدويهي ، **تاريخ الازمنة** ، ص ٣٩٨ ، بيروت ، ١٩٧٦ .

(٢٧) السجل الارسلاني ، اثبات عام ٢١٠ هـ. — ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣٥ .

(٢٨) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٢٥٢ هـ — ش. ارسلان ، المصدر ذاته ، ص ٢٢٦ .

(٢٩) الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ٤٩٧ .

(٣٠) اليعقوبي ، **تاريخ اليعقوبي** ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ .

(٣١) السجل الارسلاني ، اثبات عام ٢٦٩هـ — ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢٣ .

(٣٢) السجل الارسلاني ، اثبات عام ٣٦٣هـ — ش. ارسلان ، **المصدر ذاته** ، ص ٢١٥ .

(٣٣) السجل الارسلاني ، اثبات عام ٣٦٣هـ — الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ٢، ص ٥٠٠ .

(٣٤) كرد علي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

(٣٥) ميكال يان دي خويه ، **القرامطة ، نشأتهم ، دولتهم ، علاقتهم بالفاطميين** ، (ترجمة حسني زينة) ، ص ٢٦ ، بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٧٨ .

(٣٦) ابن العديم « بغية الطلب في تاريخ حلب » عن **اخبار القرامطة** (جمع وتحقيق سهيل زكار) ص ٢٧٥ ، ٢٩٢ دمشق : نشر عبد الهادي حرصوني ١٩٨٠ — م. دي خويه ، **المرجع السابق** ، ص ٥٠ — ٥٢ — محمد سليم الجندي ، **تاريخ معرّة النعمان** ، ج ٢ ، ص ١٠٧ . ويرى س. ابو اسماعيل في كتابه الدروز ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٥ . ان الامير جهير التنوخي كان أحد قواد القرامطة .

(٣٧) مصطفى الحياري ، **الامارة الطائيه في بلاد الشام** ، ص ٣١ ، عمان : وزارة الثقافة والشباب ، ١٩٧٧ عن :
W. Caskel, « Al - Arab, E.I , vol 2 , p. 528 .

(٣٨) البلاذري ، **فتوح البلدان** ، ص ١٥٠ — ١٥١ .

(٣٩) الحيارى ، **المرجع السابق** ، ص ٣٢ — ٣٣ .

(٤٠) محمد علي مكي ، **لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني** ، ص ٨٢ — ٨٣ — بيروت : دار النهار للنشر ، ١٩٧٧ — س. ابو اسماعيل ، **المرجع السابق** ، ص ١٨١ .
— يعتقد الدكتور مكي ان المعركة الاساسية ، التي جرت بين طفج بن جف الطولوني والقرامطة كانت في وادي القرن ، وكان تنوخيو وادي التيم يشكلون السند الرئيسي للقرامطة .

(٤١) ع. ابو صالح وس. مكارم ، **تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي** ، ص ٣٠

(٤٢) محمد جمال سرور ، **النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الحادي عشر والثاني عشر** ، ص ١١ ، القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٦٨ .

(٤٣) كرد علي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ١٨٧ وما بعدها .

(٤٤) السجل الارسلاني ، اثبات عام ٤٥٣هـ — ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٠٨ .

(٤٥) م. دروزة ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ٥ .

(٤٦) العسقلاني ، **الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة** ، ج ٢ ، ص ٥٩ .

(٤٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٣٩ و ٤١ .

(٤٨) محمد امين غالب الطويل ، **تاريخ العلويين** ، ص ٢٧٩ ، بيروت : دار الاندلس ١٩٧٩ .

(٤٩) اليعقوبي ، **تاريخ اليعقوبي** ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ — كرد علي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ١٦٧ .
الفصيص وردت عند الهمذاني « الفصيص » عندما حدد مواطن التنوخيين في بلاد الشام . انظر : الهمذاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١٣٢ .

(٥٠) المتنبي ، ابو الطيب احمد بن الحسين ، **ديوان المتنبي** ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، ج ١ ، ص ١٢٨ ، بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٧٩ .

(٥١) ابو الطيب المتنبي ، **المصدر السابق** ، ج ٤ ، ص ١٧٢ — ١٧٨ .

(٥٢) ابو الطيب المتنبي ، **المصدر ذاته** ج ٤ ، ص ١٧٩ .

(٥٣) يحي بن سعيد الانطاكي ، **تاريخ يحي بن سعيد الانطاكي** (تحقيق كاراتشوفنسكي وفاسيليف) ص ١١٨ ، باريس : ١٩٢٤ .

(٥٤) الانطاكي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٨ — ١٩٩ .

(٥٥) م. الطويل ، المرجع السابق ، ص ٣٢٧ — ٣٢٨ . — كرد علي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٥٦) الانطاكي ، **المصدر السابق** ، ص ١١٩ .
الرملة وطبرية بفلسطين ، وكانت الاولى قاعدة جند فلسطين ، والثانية قاعدة جند الاردن.

(٥٧) ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج ٧ ، ص ٣٢ — م. سرور ، **المرجع السابق** ، ص ١٨ .

(٥٨) كرد علي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٥٩) المقريزي ، « اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، عن **اخبار القرامطة** (جمع وتحقيق سهيل زكار) ص ٢٦٥ ، دمشق : نشر عبد الهادي حرصوني ، ١٩٨٠ .

(٦٠) السجل الارسلاني ، اثبات عام ٣٦٣هـ ــ ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٦ ــ الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ .

(٦١) ثابت بن نعمان بن مرة الصابيء « **تاريخ اخبار القرامطه** » عن : **اخبار القرامطة** (جمع وتحقيق سهيل زكار) ص ٦٠ ــ ٦٦ ، دمشق : نشر عبد الهادي حرصوني ، ١٩٨٠ .
كرد علي ، **المصدر السابق**، ج ١ ، ص ١٩٨ .

(٦٢) ابو يعلي حمزة . ابن القلانسي ، **ذيل تاريخ دمشق** . ص ١١ ، (نشر الاباء اليسوعيين)، دمشق : ١٩٠٨ .

(٦٣) ابن القلانسي ، **المصدر ذاته** . ص ١٢ ــ ١٤ .

(٦٤) ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ١٤ .

(٦٥) **اخبار القرامطة** ، ص ٦٧ .

(٦٦) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٤٥٣هـ ــ الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .

(٦٧) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٤٥٣ .

(٦٨) **السجل الارسلاني** ، الاثبات ذاته ــ الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٥٠١ .

(٦٩) ابن القلانسي، **المصدر السابق** ، ص ٧١ ــ ٧٢ ــ ابن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، ج ١ ، ص ٢١٥ .

(٧٠) ع. ابو صالح ، و س. مكارم ، **المرجع السابق** ، ص ٥٥ .

Marshal Hadgson, «Duruz» Encyclopédie de l'Islam, neW ed, vol 2 , p. 647 .
Carra de vaux, «Druzes» Encyclopidia of Islam, 1st ed. vol 1 p. 1076 .
Sami Makamem, The **Druze Faith**, p. 15 - 17, New york, Caravan, 1974. (٧١)

(٧٢) ابو صالح وس. مكارم ، **المرجع السابق** ، ص ٥٩ ــ ٦٠ ــ الاشرفاني ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ، ورقة ١٢١ .

(٧٣) الاشرفاني، **المصدر ذاته** ، ج ٣ ، ورقة ١٢٢ .

(٧٤) الاشرفاني ، **المصدر ذاته** ، ج ٣ ورقة ١٢١ .

(٧٥) عبد الرحمن بدوي ، **مذاهب الاسلاميين** ، ج ٢ ص ٥٢٢ . بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٣

(٧٦) الاشرفاني ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ورقة ١٧٦ ــ ١٧٧ .

Carra de vaux , « The Druzes » **E.I,** 1st ed. vol I , p. 1076 .
Hodgson M. G., «Duruz» **E.I,** 1 new ed. vol **II.** p. 647.

يميل بعضهم الى الاعتقاد ان استجابة التنوخيين وغيرهم من العشائر الموجودة معهم في المنطقة الجبلية الى الدعوة يعود لحسن العلاقات التي أقامها الدُزبري معهم ، وان اسم الدروز هو نسبة اليه في حين ان مصادر الدعوة لا تذكر ان الدُزبري نفسه قد استجاب اليها . انظر : سليم ابو اسماعيل ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ٦٨ .

(٧٧) Makarem s. **The Druze Faith,** p 19 - 22 .

الاشرفاني ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ، ورقة ١٧٦ ـ ١٧٧ ـ ع. ابو صالح وس. مكارم ، **المرجع السابق** ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٧٨) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٤٥٣ هـ .

(٧٩) الاشرفاني ، **المصدر السابق** ، ورقة ١١٦ ـ ١١٧ ، المروج وعين عار قريتان من قرى كسروان قديما ، وحاليا من قرى المتن الاعلى .

(٨٠) الاشرفاني ، **المصدر ذاته** ، ورقة ١١٦ .

(٨١) Makarem s. **The druze Faith** , p. 27 - 28 .

(٨٢) ابن العديم ، **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

(٨٣) ابن العديم ، **المصدر ذاته** ، ج ١ ص ٢٣٠ ـ ك. الصليبي ، **المرجع السابق** ، ص ٦٩ .

(٨٤) ابن العديم ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٣ ـ ٧٤ ـ ع. ابو صالح وس. مكارم ، **المرجع السابق** ، ص ٧٧ .

(٨٥) س. ابو اسماعيل ، **المرجع السابق** ، ص ٦٥ .

(٨٦) ابن العديم ، **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

Hodgson M.G , «Duruz » **E.I,** New ed. vol II ; p. 648 .

(٨٧) الاشرفاني ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ، ورقة ١٨١ ـ ١٨٢ .

Hodgson S. , « Duruz » **E.I** , New ed. vol II , p. 648 .

ع. ابو صالح وس. مكارم ، **المرجع السابق** ، ص ٧٠ .

(٨٨) الاشرفاني ، **المصدر ذاته** ، ج ٣ ، ورقة ١١٨ ـ ١٨٣ .

Makarem S. , **The Druze faith** , p. 29 - 36 .

يذما : قرية في وادي التيم قرب بكيفا ، قضاء راشيا ، وعرنة قرية في جبل الشيخ .

(٨٩) بحوزة عائلة الفقيه في عاليه مخطوط يردهم الى بني سليمان ، الذين قدموا من معرّة النعمان اثناء خلافة عمر بن الخطاب الى وادي التيم . ونزحوا عن قرية عيحا في الوادي المذكور بعد وقائع مع جماعة سكين المرتدين .

الفصل الثالث

التّنوخيُّون

دورهم خلال الوجود الفرنجي

١ – حملات الفرنجة وسقوط بيروت .

٢ – التنوخيون يحافظون على امارتهم في جبل الغرب .

٣ – الامير كرامة التنوخي وعلاقته بالملك العادل نور الدين .

٤ – مقتل ابناء الامير كرامة .

٥ – التنوخيون خلال حكم صلاح الدين الايوبي واولاده .

٦ – العلاقات الودية مع الفرنجة .

٧ – الامارة التنوخيه بين شقي رحى .

حملات الفرنجة وسقوط بيروت

بعد أقل من قرن على ظهور الدعوة التوحيدية التي شكّل التنوخيون عمادها في جبل لبنان ، واصبحوا جماعة مختلفة في العقيدة عن غيرهم من الفرق الاسلامية ، ظهر خطر الفرنجة . اذ في اواخر القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) بدأ المشرق الاسلامي يتعرّض لحملات الفرنجة (١) . في وقت كان يمر به المشرق في حالة من الضعف العسكري ، والتفكك السياسي . فالخلافة العباسية كانت خاضعة لسيطرة الاتراك السلاجقة ، الذين كانوا قد بسطوا نفوذهم على آسيا الصغرى وبلاد الشام ، وبدأت قوتهم تخبو وسلطتهم تضعف نتيجة التنافس ، والخلاف بين حكامهم على الاقطاعات (٢) . والخلافة الفاطمية كانت تعيش خريف عمرها ، وتنافست في الوقت نفسه مع السلاجقة للسيطرة على مدن الشام الساحلية ، واثناء الصراع الفاطمي السلجوقي قبيل قدوم الفرنجة قامت في مدن الشام امارات مستقلة ، كامارة بني عمّار في طرابلس ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م (٣) ، وامارة بني عقيل في صور ، التي استعادها الفاطميون عام ٤٨٢هـ / ١٠٨٩ م (٤) . حتى تراءى للمسافر وقتذاك ان لكل مدينة سيدا مستقلا (٥) .

في ظل هذا الوضع الذي كان يعيش فيه المشرق الاسلامي ، وقف التنوخيون كغيرهم من القوى الاسلامية موقف الدفاع من الغزو الفرنجي ، غير انهم لم يعترضوا سبيل القوات القادمة من انطاكية بعد سقوطها عام ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م ، والمتجهة نحو بيت المقدس . اذ لم تذكر المصادر انها لقيت اية صعوبات على طول الطريق ، سوى عند مدينة صيدا حيث قام رجال حامية المدينة بمهاجمتهم عند نهر الاولي (٦) . لكن التنوخيين بقيادة الامير عضد الدولة علي (٧) ، وقفوا في العام التالي الى جانب شمس الملوك دقاق

السلجوقي ، الذي قدم ومعه جناح الدولة صاحب حمص ، لاعتراض تقدّم بغدوين (بودوان الاول) بالقرب من بيروت ، ومنعه من الوصول الى بيت المقدس ليرث تاج المملكة التي اقامها اخوه غودفروا دي بوليون (٨) . اذ جاء في السجل الارسلاني : « انه في العام ٤٩٥هـ كانت واقعة نهر الكلب بين الامير علي والافرنج وكان مع الامير عمال صيدا وصور ورجال الغرب وانه بسبب هذه الواقعة ولاه شمس الملوك ملك الشام على مدينة صيدا وأمره بتحصين المدينتين (صيدا وبيروت) فحصنهما وأرسل الى صيدا نائبا عنه الامير مجد الدولة محمد بن عدي بن سليمان بن عبدالله » (٩) . كما يرد في السجل الارسلاني : ان الامير مجد الدولة محمدا بقي في مدينة صيدا حتى سقوطها بيد الفرنج عام ٥٠٤هـ / ١١١٠م ، وخرج منها بعد ان « صالح الفرنج عليها بالامان » (١٠) .

مع قبولنا بالقسم الاول من رواية السجل الارسلاني المتعلقة بمشاركة التنوخيين مع الملك دقاق ضد الفرنجة . لكننا نشك بصحة القسم الثاني منها والمتعلقة بتولي الامير علي صيدا من قبل دقاق ، ذلك ان صيدا كانت ضمن مدن الساحل الشامي الواقعة جنوبي جبيل تابعة للدولة الفاطمية منذ ان استعادتها الحملة الفاطمية عام ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م من السلاجقة . هذا ولم يصلنا ما يدل على قيام صراع بين دقاق او طغتكين اتابك الذي خلفه في حكم مملكة دمشق مع الدولة الفاطمية في تلك الفترة . ولعل ما طلبه دقاق من الامير علي بصفته أميرا على المنطقة الجبلية وبيروت هو المساهمة في الدفاع عن مدينة صيدا وليس توليها ، هذا وقد يكون الامير مجد الدولة متوليا على صيدا من قبل الفاطميين .

بعد استيلاء الفرنجة على بيت المقدس ، واقامتهم فيها مملكة لاتينية . أصبح الهدف الرئيسي لهم هو السيطرة على مدن الساحل الشامي لتأمين ربط بيت المقدس بانطاكيا والرها ، ولضمان بقائهم في المشرق الاسلامي . ومنذ تتويج بغدوين خلفا لأخيه غودفروا الذي لقي مصرعه اثناء قيامه بحصار عكا ، أخذ يعمل ضمن هذه الخطة . وتمكّن من احتلال حيفا وارسوف وقيسارية عام ٤٩٤هـ / ١١٠١م وحاصر عكا مستغلا وجود عدد من السفن الانجليزية عام ٤٩٥هـ / ١١٠٢م ، لكن المدينة صمدت في وجهه بفضل النجدات التي وصلتها من المدن الساحلية الاخرى وعلى رأسها صور وصيدا،

لكن صمودها لم يستمر طويلا ، حيث سقطت بيده عام ٤٩٧هـ / ١١٠٤م . وخرج منها واليها الفاطمي ولاذ بدمشق ثم رحل الى مصر (١١) . في ذلك الوقت كان ريمون دي تولوز يضرب حصارا على مدينة طرابلس ، واقام قلعة تشرف على المدينة ، والمعروفة بقلعة سان جيل (١٢) .

في عام ٥٠٢هـ / ١١٠٩م . تضامن الفرنجة جميعا في تشديد الحصار على مدينة طرابلس ، وتمكنوا من دخولها بعد ان يئس واليها الفاطمي من وصول الامدادات الفاطمية من مصر اليه . اذ تأخر الاسطول عن الوصول اليها لنجدتها في الوقت المناسب بسبب معاندة الرياح له . وقدم الاسطول مشحونا بالرجال والغلال ، ما يكفي اهل طرابلس لمقاومة حصار سنة ، ولكن بعد سقوطها بنحو ثمانية ايام (٢١) .

بعد سقوط طرابلس اصبحت مدينة بيروت الهدف الاول لقوات الفرنجة ، وكانت المدينة قد تمكّنت من صد هجمات الافرنج عنها اثناء محاولاتهم المتكررة لاحتلالها . اذ على الارجح ان وجود التنوخيين في الجبال المحيطة بالمدينة منع الفرنج من اقامة حصار فعّال عليها كما فعلوا في طرابلس. وفي شعبان ٥٠٣ / شباط ١١١٠ اجتمع على بيروت الملك بغدوين وقواته ، وبرتراند أمير طرابلس وجوسلين صاحب تل باشر، حيث ضربوا عليها حصارا بريا وبحريا وشرعوا في صناعة آلات الحصار كالابراج والمنجنيقات والسلالم ، واستعملوا في ذلك الاشجار الموجودة بوفرة حول بيروت . كما استنجد بغدوين بالسفن الايطالية الراسية في ميناء السويدية (١٤) . وعندما تمكنت بعض قطع الاسطول الفاطمي من الوصول من مصر وعددها تسع عشر سفينة و « ظهروا على مراكب الافرنج ، وملكوا بعضها ودخلوا بالميرة بيروت ، فقويت نفوس من فيها من الرعية » (١٥) ، استنجد الفرنج عند ذلك بالسفن البيزانية والجنوية من خليج السويدية ، التي أدى وصولها الى بيروت الى قلب موازين القوى البحرية لصالح الفرنجة ، وتمكنوا من تطويق السفن الفاطمية في مياه بيروت ومنعت سفنهم اية امدادات بحرية من صور او صيدا الى المدينة المحاصرة (١٦) . ويذكر ابن القلانسي ان القتال اشتد بين الفرنجة والمسلمين، وان مقدم الاسطول المصري الذي كان بداخل مياه بيروت قُتِل ، هو وخلق كثير من المسلمين ، وان الافرنج لم يشهدوا قط حربا في عنفها وضراوتها . وفي ٢١ شوال ٥٠٣ / ١٢ ايار ١١١٠ انهارت مقاومة المدافعين عن بيروت

ودخل بغدوين والفرنج المدينة بالسيف فقتلوا ونهبوا وسلبوا من كان فيها واستصفوا اموالهم وذخائرهم (١٧) . ويذكر ان عدد القتلى بلغ نحو عشرين الفا وكان من بينهم حاكم بيروت الذي دافع بجموع قواته عنها لمدة ثلاثة اشهر (١٨) . ويذكر السجل الارسلاني ان الامير عليا قبض عليه مع غيره من الامراء التنوخيين ثم قتل (١٩) .

يردّ ابن القلانسي بطريقة غير مباشرة سبب سقوط بيروت ، الى غياب الاسطول الفاطمي عن الساحل الشامي . وكان الاسطول قد وصل متأخرا لنجدة طرابلس ورسا في ميناء صور ووزعت غلاله وذخائره في جهات صور وصيدا وبيروت و « تمسك أهل المدن الثلاث به والحوا على استبقائه لحمايتهم والذود عنهم ، لكن قادة الاسطول لم يبالوا بمطالبهم فاقلعوا به عائدين الى مصر عند استقامة الرياح » (٢٠) . وعند حاجة بيروت للاسطول لم تصل سوى بعض قطعه التسع عشرة اليها من مصر . ومن الاسباب التي اسهمت في سقوط المدينة هي عدم مشاركة حاكم دمشق طفتكين اتابك (٤٩٨ ــ ٥٢٢هـ / ١١٠٤ ــ ١١٢٨م) في ارسال النجدات اليها اثناء الحصار. وكان طفتكين قد تولى على مملكة دمشق بعد وفاة شمس الملوك دقاق عام ٤٩٧هـ / ١١٠٤م بصفته وصيا على ولده تتش الصغير . وخطب طفتكين لتتش مدة قصيرة ، ثم قطعها ليخطب لبكتاش ، او « ألتاش » بن تتش عم تتش الصغير (٢١) ، و « أخذ يتقرّب من العسكر والرعية ويحسن الى الامراء والمقدمين في الدولة » مستهدفا الاستئثار بالسلطة ، فتخوّف ألتاش وراسل الفرنجة وفرّ من دمشق ومعه بعض أمراء السلاجقة اليهم طالباً مساعدته ضد طفتكين (٢٢) . كان لفرار امراء السلاجقة الى الفرنجة أثره في ضعف موقفهم في دمشق وتمكين طفتكين من تدعيم موقفه وبناء دولته التي توارثها اولاده ، وعرفت بدولة الاتابكة ، هذا ما ادخل طفتكين في صراعات مع امراء السلاجقة الآخرين في بلاد الشام ، ودفعه لاتخاذ الموقف المناهض للفرنجة لكسب العطف والتأييد الاسلامي . وتفيد المصادر ان طفتكين قضى الفترة الاولى من حكمه وحتى عام ٥٠١هـ / ١١٠٨م في صراع دائم مع الفرنجة ، اذ في هذه السنة ذاتها حضر الى صيدا لمساعدة الاسطول الفاطمي في فك حصار بفدوين عن المدينة (٢٣) . وقد يعود سبب تخلّف طفتكين عن المشاركة في انجاد بيروت الى الهدنة التي عقدها طفتكين مع الفرنج لاقتسام جبل عوف والسواد (فلسطين)

كما اقتسم معهم استغلالات سهل البقاع ، وتعهَّد بتسليمهم حصني المنيطرة وابن عكار (٢٤) .

اما السبب الرئيسي في سقوط بيروت فكان نتيجة انهيار القوة التنوخية في المنطقة الجبلية على اثر الغارة المفاجئة التي شنتّها الافرنج عليها اثناء حصارهم لبيروت . وكانت المنطقة الجبلية حيث يوجد التنوخيون وحلفاؤهم قد شكّلت حتى هذا الوقت السند الاساسي للمدينة في صمودها .

عندما يشير السجل الارسلاني الى وقوع الغارة ، التي ذهب ضحيتها العديد من الامراء التنوخيين على المنطقة الجبلية المحيطة ببيروت ، لا يذكر اية تفصيلات حولها (٢٥) . لكن يستدل انها وقعت في وقت لم يكن يتوقع التنوخيون وحلفاؤهم قيام الفرنج بذلك . اما بسبب هدنة طغتكين مع الفرنج وكانت المنطقة الجبلية تتبع لمملكته اذ يدل على ذلك اشتمال الهدنة على حصن المنيطرة الذي تعهد طغتكين بتسليمه للفرنج . وينفرد الشدياق بذكر الغارة في رواية تفيد ان الفرنجة قاموا بحركة التفاف وتطويق للمنطقة الجبلية المحاذية لبيروت مستهدفين من ذلك حصر القوات التنوخية المنهمكة في الدفاع عن بيروت اذ يذكر ان قوات الفرنجة من طرابلس والشمال تجمعت في جبيل ومعهم جماعة من نصارى لبنان الشمالي « الموارنة » الذين يسميهم « بالمردة » في الوقت الذي تجمَّعت فيه قوات فرنجية اخرى من عكا والجنوب عند مرج الفازية (قرب صور) و « نهض الفريقان في وقت واحد الشماليون على طريق الجرد والجنوبيون على طريق الساحل ودهموا الغرب صباحا فنهبوه وأحرقوه واسروا من وجدوه » (٢٦) .

بعد سقوط بيروت تقدم بغدوين وقوات الفرنج نحو صيدا يساندهم بحرا الاسطول النروجي ، وضربوا عليها حصارا كالذي ضربوه على بيروت . وعندما كانت فظائعهم في بيروت ماثلة أمام أعين الناس فقرر اعيانها طلب الامان من الفرنج مقابل مبلغ من المال (٢٧) ، وتركها الامير مجد الدولة محمد عائدا الى المنطقة الجبلية التي عرفت بالغرب ، حيث وجدها حسب رواية مغالية للشدياق « قاعا صفصفا لا يسمع فيها الا البكاء والعويل » (٢٨) .

بعد سقوط بيروت عهد بها بغدوين الى ابن عمه فولك دي غيين فكان اول كونت (امير) على بيروت (١١١٠م ــ ١١٢٥) م (٢٩) . وكانت امارة بيروت الفرنجية

في ايامه محصورة بين المنطقة الجبلية والبحر اي لا تتجاوز الشريط الساحلي الممتد من نهر الكلب شمالا حتى نهر الدامور جنوبا . الى ان انتقلت الى اسرة بريسبار وأولهم غوتيه الاول بريسبار (١١٢٥-١١٣٧م) . الـذي بنى له الملك بودوان الثاني عام ١١٢٥م حصن كلاڤيان ، فبدأت هذه الامارة التابعة لتاج بيت المقدس تأخذ شيئا من اهميتها عندما بدأ غوتيه المذكور يشن ضد الامراء « العرب صراعا مريرا لإخضاعهم حيث كانوا لا يدفعون الجزية عن قراهم » (٣٠) ، وتوالى على حكم بيروت بعد غوتيه الاول اخوه غي بريسبار (١١٣٨ ـ ١١٥٦م) ثم ابن اخته غوتيه الثاني (١١٥٧ ـ ١١٦٤م) الى ان تنازل عنها غوتيه الثالث الى المملكة مقابل اقطاعه تل صافية (٣١) . وقد يعود ذلك بسبب التهديد التنوخي لإمارته من خلال غاراتهم المتكررة عليها كما سنرى فيما بعد . اما مدينة صيدا التي اصبحت كبيروت امارة تابعة لمملكة بيت المقدس وسيطرت على الشريط الساحلي الممتد من نهر الدامور شمالا حتى نهر الليطاني جنوبا ثم تبع لها القسم الشمالي من جبل عاملة وقسم من جبل الشوف فقد آل حكمها الى أسرة غارنييه وكان أولهم يوستاش غارنييه (٣٢) .

التنوخيون يحافظون على امارتهم في جبل الغرب

استطاع التنوخيون وحلفاؤهم في الجبال المحاذية لحدود امارتي صيدا وبيروت الفرنجيتين بعد سقوط بيروت والفارة التي استهدفت المنطقة المحيطة بها ، ان يعيدوا تنظيم قواتهم والنهوض بامارتهم من جديد بزعامة الامير مجد الدولة محمد بن عدي (٣٣) . معتمدين على ظهير الدين طفتكين اتابك حاكم دمشق في معاضدتهم ضد توسع الفرنجة في مناطقهم . وكان طفتكين الذي ذكرنا انه لم ينجد بيروت اثناء حصارها بسبب هدنته مع الفرنج، لكن هذه الهدنة لم تمنعه من انجاد مدينة صور عام ٥٠٥هـ / ١١١٢م (٣٤) . وكان له دور كبير في صمود المدينة حتى عام ٥١٨هـ / ١١٢٤م (٣٥) . ولعل طفتكين اثر صراعه الذي تجدد مع السلطان السلجوقي بعد مقتل مودود امير الموصل في دمشق ، واتهام طفتكين المذكور بتدبير قتله . اخذ يتقرَّب من امراء الاطراف ويقيم معهم العلاقات الحسنة ولا سيما مع التنوخيين في الاشواف . ومن المحتمل ان يكون التنوخيون قد شاركوا في انجاد طفتكين لصد حملة قام بها الفرنج على دمشق عام ٥١٩هـ / ١١٢٥م. اذ يذكر ابن القلانسي انه اثناء الحملة الفرنجية « كاتب ولاة الاطراف بامداده بالرجالة » واجتمع عليه « احداث دمشق والشباب والاغرار ورجال الفوطة والمرج والاطراف واحداث الباطنية المعروفين بالشهامة والبسالة » (٣٦) .

نجح التنوخيون في المنطقة التي اصبحت تعرف منذ ذلك الوقت بـ « جبل الغرب » او بـ « الغرب » في رد فرنجة بيروت عن مناطقهم (٣٧) ، ثم قاموا بهجمات متكررة بزعامة الامير مجد الدولة محمد . من المحتمل انها رافقت حالة النهوض الاسلامي ، الذي تزعَّمه عماد الدين زنكي (٥٢٠ ــ ٥٤١هـ / ١١٢٦ــ١١٤٦م) اتابك الموصل الذي ضم اليه حلب ثم تطلع الى ضم دمشق

وتوحيد بلاد الشام . فعام ٥٣٢هـ / ١١٣٧م شهد تحولا في الجبهة الاسلامية من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم في العلاقة مع الفرنجة ، فهاجم الدماشقة طرابلس عبر الطريق الجبلية المارة ببشري بمساعدة اهلها من النصارى الوطنيين كمرشدين وادلاء للحملة في طريقها نحو مدينة طرابلس حيث باغتوا اميرها وقتلوه (٣٨) . كذلك استعاد عماد الدين زنكي حصن بعرين في السنة ذاتها ، بعد معركة هُزم فيها ملك بيت المقدس وأسر كثير من الفرنج ومن بينهم امير طرابلس (٣٩) . وفي العام نفسه وخلال احد هجمات تنوخيي الغرب على بيروت سقط الامير مجد الدولة محمد صريعا في اراضي البرج (٤٠) .

اما في جبل الشوف فقد قامت امارة على رأسها ضحاك بن جندل التميمي احد رؤساء وادي التيم الذي اتخذ من حصن شقيف تيرون قاعدة له ، ويذكر ابن الاثير : ان ابن جندل « تحاماه المسلمون والفرنج يحتمي على كل طائفة بالاخرى » (٤١) . ولربما كان بنو جندل قد هادنوا الفرنجة في تلك الاثناء ، حيث يذكر ان فرنجة صيدا من آل غارنييه كانوا لا يتعرضون لاميرهم ضحاك بن جندل وكان لا يزعجهم بمقدار ما يزعج حكام دمشق (٤٢) . على الارجح ان موقف بني جندل هذا كان نتيجة لصراعهم مع الباطنية من الاسماعلية النزارية ، بعد ان قبل طغتكين بتسليم كبير دعاتهم في مملكته المدعو بهرام الاستر أباذي عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م قلعة بانياس القريبة من وادي التيم ، والتي كانت تشكّل الحد الفاصل بين مملكة دمشق الاسلامية، ومملكة بيت المقدس الفرنجية . اخذ الباطنية من خلال قلعة بانياس في العمل على مد نفوذهم الى منطقة حاصبيا من وادي التيم عن طريق نشر مذهبهم بين الفلاحين ، وعندما حاول برق بن جندل الوقوف في وجههم ومناهضتهم قتلوه . فثارت ثائرة اخيه ضحاك وأسرته وجماعته لمقتل زعيمهم ، واخذوا يستعدون للتصدي للباطنية وللأخذ بثأر برق . فما كان من بهرام وجماعته الا ان قصدوا وادي التيم للايقاع بهم . فوقعت معركة شديدة هزم فيها الباطنية ، وقُبض على بهرام وقُتِل . ثم حمل احد القاتلين راس بهرام ويده وخاتمه الى مصر (٤٣) ، ذلك ان بهرام وجماعته كانوا يعتبرون الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله مغتصباً ومن الواجب المقدس بنظرهم ان يخلع وتقام امامة من سلالة نزار (٤٤) .

لعل جبل الشوف قبل قدوم بني جندل اليه كان يحكمه امراء محليون

من العشائر التنوخية ، ويدينون بالولاء لامير الغرب التنوخي كأمير متقدم بينهم ضمن قواعد الامارة، التي ارسيت منذ امارة ابي الفوارس معضاد . ولعل امراء الشوف كانوا من عشيرة بني شويزان التي تعرَّفنا بها كأولى العشائر التنوخية التي استقرت في الشوف ، ويذكرهم صالح بن يحي انهم كانوا لا يزالون موجودين عام ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م (٤٥) .

بقي ابن جندل متوليا على الشوف الى ان قدم شمس الملوك اسماعيل حفيد طفتكين (٥٢٦ ـ ٥٢٩ هـ / ١١٣٢ ـ ١١٣٤ م) بقواته عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣م ، وانتزع شقيف تيرون من يده (٤٦) . تخوَّف فرنجة صيدا من عملية شمس الملوك هذه على مصيرهم ، واخذوا ينظمون الهجمات المضادة على جبل الشوف ، مما ادى الى سقوط القسم الجنوبي من جبل الشوف بيدهم (٤٧).

انتقلت الامارة التنوخية في الغرب الى الامير بحتر بن شرف الدولة علي، الملقب بـ « ناهض الدولة ابي العشائر » . خلال الفترة الاولى من امارة بحتر كان الحاكم الفعلي على مملكة دمشق معين الدين انر مملوك طفتكين بوصفه مدبرا لشهاب الدين محمد بن بوري (٥٢٩ ـ ٥٣٣هـ / ١١٣٤ ـ ١١٣٨م . ثم حكم فيما بعد باسم مجير الدين أبق بن محمد بن بوري الى ان توفى ٥٤٤هـ / ١١٤٩م (٤٨) .

عند مقتل شهاب الدين محمود وكان عماد الدين زنكي قد تزوج بوالدته، قدم زنكي بقواته نحو دمشق وتمكَّن من ضم بعلبك اليه عام ٥٣٤هـ / ١١٣٩م. تخوَّف أنر من سقوط دمشق بيد زنكي وكاتب الافرنج في عقد هدنة معهم طالبا منهم المساعدة ضد زنكي . ثم زار عكا في السنة ذاتها، وعقد تحالفا مع الفرنجة تعهَّد بموجبه تسليمهم قلعة بانياس (٤٩) . ولما قدمت قوات الفرنجة لمساعدة أنر اضطر زنكي الى التراجع بقواته عن دمشق عائدا الى حلب .

كان لمهادنة معين الدين أنر مع الفرنجة اثرها على الامارة التنوخية ، حيث تمكن فرنجة صيدا من آل غارنييه من احتلال اقسام من الشوف بعد استيلائهم على حصن شقيق تيرون في حدود عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م .. وبقي الحصن في يد الفرنجة الى ان استرجعه السلطان نور الدين محمود بن زنكي عام ٥٦١هـ / ١١٦٥م (٥٠) . اما منطقة الغرب فقد حافظ عليها الامير بحتر ، ذلك ان مهادنته للفرنجة لم تكن استسلاما او خضوعا لهم . فما ان تجدَّدت

غاراتهم لضم منطقته الجبلية ، حتى خاض معهم صراعا مريرا وتمكّن من تجنيب منطقة الجبلية خطرهم (٥١) . ويذكر ان الامير بحترا قاد هجمات تنوخية متكررة على مواقع الفرنجة في بيروت حيث تعتبر معركة رأس التينة عند نهر الفدير (ڤردان حاليا) ، والتي تمكن فيها التنوخيون من قهر الفرنجة وردّهم الى داخل أسوار بيروت من أهم مواقعه (٥٢) .

وكان قد وصل للامير بحتر في محرم ٥٤٢ / حزيران ١١٤٧ ، منشور من مجير الدين أبق آخر اتابكة دمشق (٥٣٤ – ٥٤٩ هـ / ١١٣٩ – ١١٥٤م) ، « باجرائه على رسومه المستقرة من الضياع المنسوبة الى رسمه المعروفة باسم والده ، واجرى على معهوده من الامارة بالغرب من جبل بيروت » (٥٣) .

لعل سبب منشور أبق للامير بحتر كان وصول الحملة الفرنجية الثانية من السنة نفسها ، على اثر استعادة عماد الدين زنكي لإمارة الرها عام ٥٣٩هـ / ١١٤٤م . وقد اتخذت هذه الحملة طريقها نحو دمشق بناء لقرار اتخذه أمراء الفرنجة في مجلس عقدوه في عكا (٥٤) . فما كان من معين الدين أنر ، الذي فوجيء بالقرار الفرنجي في مهاجمة دمشق الا ان « اخذ يراسل ولاة الاطراف بالاستنجاد والاستصراخ بارسال الرجالة للمشاركة في رد الحملة الفرنجية عن عاصمته » (٥٥) .

وهناك احتمال كبير ان يكون الامير بحتر والتنوخيون وحلفاؤهم قد ساروا مع العرب ، الذين تتابعوا في التوافد من ناحية البقاع للمشاركة في رد الحملة الفرنجية عن دمشق « فزادت بهم العِدّة وتضاعفت العُدّة » (٥٦) . ولا بد من الاشارة الى ان الامير بحترا لم يكن وحده صاحب الاقطاع في جبل الغرب . اذ ورد في المنشور انه من « الواجب على الرؤساء والفلاحين سماع كلمته والدخول تحت طاعته وليحذروا من الخلاف فيعود عليهم الحيف والاجحاف » (٥٧) . ولعل تشدّد الامير بحتر في مناهضته للفرنج للحفاظ على اقطاعاته واملاكه الوراثية ، أكّد زعامته على الغرب ورئاسته على بقية الامراء التنوخيين .

ويعود للأمير بحتر الفضل في الحفاظ على امارة الغرب التنوخية ، واستمرارها وحكم ذريته من بعده لها حتى اصبحت تعرف فيما بعد بـ « الامارة البحترية » .

الامير كرامة التنوخي وعلاقته بالملك العادل نور الدين

بعد وفاة الامير بحتر انتقلت اقطاعاته والامارة الى ولده كرامة الملقب بـ « زهر الدولة ابو العز كرامة » ، فحظي الامير بثقة العادل نور الدين محمود بن زنكي (٥٤١ ــ ٥٦٩ هـ / ١١٤٦ ــ ١١٧٤م) ، الذي استمر على نهج والده في العمل على ضم دمشق الى مملكته وبناء جبهة اسلامية موحدة ضد الوجود الفرنجي (٥٨) .

تقدّم نور الدين محمود من دمشق واحتلها عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤ م بعد ان قويت شوكة الافرنج باحتلالهم عسقلان التي حافظ الفاطميون عليها حتى هذا التاريخ ورضي أبق ملك دمشق ان يدفع لهم جزية سنوية فرضوها على دمشق (٥٩) . ثم اتخذ نور الدين من دمشق مركزا لـه ومنطلقا لجهاده ، وعمل على استقطاب امراء الاطراف حوله ومن بينهم الامير كرامة (٦٠) . فما كان من الامير التنوخي الذي وجد في الدولة الاسلامية الجديدة تعبيرا عن مصلحته ، ومصلحة قومه وعشيرته الا ان وضع نفسه في خدمتها ، و « لاذ بخدمة الدولة العادلية وأهمل الفرنج » على حد تعبير صالح بن يحي ، اذ ربما كان كرامة قد هادن الفرنجة مع مهادنة ابق لهم ودفع الجزية . اتخـذ الامير كرامة من حصن سرحمور قاعدة له يشن منـه الغارات علـى فرنجة بيروت وتسلّم من العادل مرسوما مطلقا تاريخه ربيع الاول ٥٥٢ / نيسان ١١٥٧ ، يحثّ به أهالي الغرب على طاعة كرامة ومعاونته في الجهاد ضد الفرنجة. وجاء فيه :

« ان الامير النجيب زهر الدولة مفيد الملك امير الغرب كرامة ادام الله تعالى عزّة وسلامة مملوكنا وصاحبنا ، ومن اطاعه فقد اطاعنا ومـن عاونه في جهاد الكفار فقد عمل برضانا وكان مشكورا منا . ومن خالفه في هذا الامر وعصاه فقد خالف امرنا واستحق المقابلة والسياسة على العصيان » .

كما تسلم الامير كرامة منشورا تاريخه رجب ٥٥٦ / حزيران ١١٦١ ، يحدد العادل فيه اقطاع كرامة الذي شمل بالإضافة الى غالب قرى الغرب قرى اخرى في البقاع ووادي التيم والشوف . وقد خصّص العادل لكرامة معاشا من ديون الاستيفاء (المال) بالاضافة لإقطاعه ، مقابل تأمين حامية عسكرية لا يقل عددها عن اربعين فارسا في الاوقات العادية وما امكنه في المهمات الشريفة يكون كرامة مسؤولا عن معاشهم (٦١) .

ويستدل من منشور الملك العادل الى الامير كرامة ان الاقطاع الذي اعتمده آل زنكي هو اقطاع عسكري وراثي ارتبط فيه الاقطاع بتأمين المقطع له عددا من الفرسان مقابل اقطاعه ، ولم يكن هناك التزامات مالية يدفعها الاقطاعي للدولة . لا بل ان كرامة نال بالاضافة الى اقطاعه ، مالاً يستعين به في مهماته العسكرية .

فالاقطاع مرحلة من مراحل التطور في تاريخ النظم التي شهدها المشرق في العصور الوسطى ، وهي ظاهرة احلال الاقطاع محل العطاء او الرواتب لرجال الجيش . وبدأ مع بداية التسلط البويهي على مقاليد الامور في الدولة العباسية ، وكان الاقطاع لوارد الارض في اراضي لها زراعها وملاكوها الى الجند والقادة (٦٢) .

بقي الاقطاع في زمن السلاجقة استمرارا لما جرى في زمن البويهيين لحد ما ، واستقرت فكرة الاقطاع الوراثي في زمن الزنكيين والأيوبيين وربطت بالخدمة العسكرية وبتقديم عدد من الجند الى جيش السلطان يتناسب ومساحة الاقطاع الممنوح (٦٣) . ذلك ان الملك العادل نور الدين محمود دأب على توريث اجناده الاقطاعات لما في ذلك من تقوية للروح المعنوية عند جنده ، وضمان ولائهم واستعدادهم الدائم للجهاد ضد الوجود الفرنجي في المشرق ، واستمرار النضال الديني بين المسلمين والفرنجة . وكان اجناد العادل يقولون : « الاقطاعات أملاكنا يرثها اولادنا ، الولد عن الوالد ، فنحن نقاتل عليها » ، ويضيف المقريزي على هذا قائلا : « وبه اقتدى كثير من ملوك مصر » (٦٤) .

ويعلق صالح بن يحي على منشور العادل للامير كرامة بقوله : « كان السلف المتقدمين قديما واضعون ايديهم على البلاد بغير مناشير من قبل سنة

٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م وما تعين لهم مناشير سوى من بحتر بن علي المبدي ذكره وبنيه من بعده . وربما لا كانوا يعرفون درك ولا مثاغرة ولا عدّة جند ولا يحرروا عليهم عبرة اقطاع ولا غيره، ثم في دولة العادل نور الدين جعلوا لهم عدة جند » (٦٥) .

ومن الملفت للنظر ورود ذكر قريتي « برجه وبعاصير » من شوف صيدا من جملة اقطاع كرامة حيث يستدل ان المهمات العسكرية التي كان الامير كرامة مسؤولا عنها لم تكن مقتصرة على تشديد ضرباته على فرنجة بيروت من خلال حصن سرحمور ، بل والوقوف في وجه تحركات فرنجة صيدا من آل غارنييه من خلال القريتين المذكورتين القريبتين من صيدا كموقع متقدم . ولما جاء منشور العادل لكرامة بعد هجمات قام بها احد قادة العادل أسد الدين شيركوه عامي ٥٥٣ و ٥٥٤ هـ / ١١٥٨ و ١١٥٩م . على صيدا واعمالها و «قتل وأسر عالما عظيما منها » (٦٦) . فاننا نميل الى الاعتقاد ان الامير كرامة كان قد شارك مع الامراء التنوخيين في الهجمات المذكورة مظهرا كفاءة وقدرة عسكرية حظيت بتقدير العادل، فأقطعه هاتين القريتين المهمتين من الناحية العسكرية. هذا وان محافظة الامير كرامة على موقعه المتقدم في اقليم الخروب من شوف صيدا لم تمنعه من الاستمرار في غاراته من حصن سرحمور على امارة بيروت الفرنجية والساحل التابع لها . حتى ملّ آل بريسبار من الوضع واعاد غوتيه الثالث آخر امراء آل بريسبار امارته الى ملك بيت المقدس عام ١١٦٦م ، حيث اخذ ملوك بيت المقدس بعد ذلك يعينون حكاما من قبلهم على بيروت ، وذلك على الارجح بسبب تخوّف الاسر الاقطاعية من تولي هذه الامارة المهددة حسب ما يرى الدكتور الصليبي (٦٧) . ولعل اثناء احدى غارات الامير كرامة او اولاده على بيروت وقع غوتيه الثالث المذكور أسيرا (٦٨) .

مقتل ابناء الامير كرامة

بعد وفاة الامير كرامة ، خلفه في الامارة اولاده الاربعة ، الذين استمروا في اتخاذ حصن سرحمور قاعدة لهم . وفي رواية لصالح بن يحي عن مقتل ابناء الامير كرامة الثلاثة الكبار الذين لا يذكر اسماءهم ، يستدل منها انهم اطمأنوا الى قوة امارتهم التي ترسّخت دعائمها بفضل جهود والدهم وجدهم الامير بحتر . وزاد في اطمئنانهم حالة الضعف في صفوف الفرنجة التي كانت تمنعهم من التعرض لأمن الامارة وسلامتها . لذا لم يجدوا حرجا في مهادنة الفرنجة وبناء العلاقات الجيدة مع حكام بيروت ، وكانت رحلات الصيد مجالا للتقارب . فتكرر اجتماع ابناء كرامة الثلاثة مع حاكم بيروت ، وعندما توثّقت العلاقات بينهم وبينه لبوا دعوته الى حفلة زفاف ولده في بيروت . لكن الدعوة لم تكن الا مكيدة لاستدراجهم الى بيروت ، فعندما لبوا الدعوة مع نفر قليل من اتباعهم غدر بهم حاكم بيروت وقتلهم ، ثم أغار الحاكم الفرنجي بقواته في صبيحة اليوم التالي ، وبشكل وحشي على حصن سرحمور وقاموا ينهبه وهدمه والقوا حجارته في الوادي ولم يبقوا منه اثرا ، ثم هاجموا القرى المحيطة وأحرقوها واسروا من تخلّف عن الهرب . كان من نتيجة غياب الامراء الثلاثة ومفاجأة التنوخيين بالغارة على مواقعهم عدم استطاعة التنوخيين التصدي للفرنجة . ففروا بأكثريتهم من وجه القوات الفرنجية واخذوا « يستترون بالشعرات والاودية » . وهذا ما فعلته أرملة الامير كرامة التي حملت طفلها حجى وفرّت به الى قرية الدوير فكان الناجي الوحيد من أبناء كرامة ، وقد عرف فيما بعد بـ « جمال الدين » او « جمال الدولة » حجى (٦٩) . لم يفدنا صالح بن يحي عن شخصية حاكم بيروت الافرنجي كما انه لم يحدد تاريخ وقوع الحادثة بدقة ويذكر ان : « هذه الكاينة كانت في اواخر ايام دولة الملك العادل » .

تلقى رواية صالح بن يحي هذه موافقة العديد ممن تناول في بحثه العلاقة بين آل بحتر التنوخيين وفرنجة بيروت ، لكنهم يختلفون حول تحديد تاريخ الحادثة وشخصية حاكم بيروت المسؤول عنها .

يرى ريشار Richard : ان المسؤول عن حادثة الفدر الخيانية هذه، والتي وضعت حدا للعلاقات الطويلة الحربية حينا والودية احيانا اخرى بين آل بحتر والفرنج هو غوتيه الثاني بريسبار (١١٥٧ - ١١٦٤م) ويفترض ان ضم الفرب نتج عن الفارة التي رافقت الحادثة (٧٠) . كما ويرى بعضهم ان حاكم بيروت كان اما غوتيه الثالث ١٩٦٤ - ١١٦٦ م (٧١) . واما اندرونيكوس كومنينوس ، الذي حكم بيروت من قبل ملك اورشليم عام ١١٦٧ م ، ولفترة قصيرة (٧٢) .

لو ناقشنا هذه الاستنتاجات لا يمكننا الموافقة عليها . ذلك ان غوتيه الثاني الذي يعتبره ريشار مسؤولا عن الحادثة ، كان على الارجح معاصرا للأمير كرامة وليس لأولاده . كما وان غوتيه الثالث لم يكن بوسعه القيام بمثل ذلك العمل لأن الدولة الاسلامية في دمشق كانت في فترة حكمه تشدد الهجمات على الفرنجة ، اذ تذكر المصادر ان الملك العادل نور الدين قضى عامي ١١٦٥ و١١٦٦م. في القيام بهجمات مفاجئة على الحصون الواقعة في منحدرات جبال لبنان ، حيث استرجع اكثرها ومنها المنيطرة وشقيف تيرون (٧٣) . فلا يمكن والوضع هكذا ان ينفرد أولاد كرامة بمهادنة الفرنجة كما لا يمكن ان يتجرأ آل بريسبار على مهاجمة الفرب . كما وان غوتيه الثالث كان قد تعرّض للاسر في هذه الفترة ، وقد اشرنا الى ذلك آنفا . ولو تمكّن غوتيه الثالث بعد تحرره من الاسر من هدم حصن سرحمور ، الذي كان يضايقه لما تنازل عن امارته للتاج مقابل اقطاع صغير في فلسطين .

أما اندرونيكوس كومنينوس فمن خلال ما وصفته المصادر التي نقل عنها رنسيمان لم يكن رجل ادارة وانما كان صاحب مغامرات عاطفية وتخلى عن مسؤولياته في حكم بيروت وسار مع ابنة عمه الملكة تيودورا ، التي اتخذها خليلة له ، واجتازا الحدود الى دمشق مفضوبا عليهما من ملك بيت المقدس والامبراطور البيزنطي ، وطافا العالم الاسلامي حتى بلغا بفداد ، حيث عاشا بقية حياتهما في احدى القلاع التي منحه اياها أحد الامراء المسلمين (٧٤) . وان كان هناك من علاقات ودية بين آل بحتر التنوخيين وفرنجة بيروت فان

شخصية اندرونيكوس كانت عاملا مساعدا في البدء باقامتها لو استمر في تولي حكم بيروت .

لكن هناك استدلالات عديدة تحملنا على الشك برواية صالح بن يحي الذي كتب روايته بعد مضي ثلاثة قرون على وقوع الحادثة، فيما يتعلق باقامة اولاد كرامة العلاقات الودية المشار اليها ، وعدم مراعاة الفرنجة لأصول مثل هذه العلاقات وغدرهم بالامراء التنوخيين الثلاثة . ذلك ان الرواية الى جانب ما تحمله من خلفية سياسية لا تدين الفرنجة وحسب ، بل ومن تعامل معهم من التنوخيين ، فانها تتضمن تبريرا للهزيمة التي مني بها التنوخيون على يد الفرنجة . اذ تَرُدّ الرواية سبب الهزيمة الى فقدان التنوخيين لقادتهم بعد حادثة الغدر التي تعرضوا لها وليس الى ضعف امكاناتهم العسكرية .

من هذه الاستدلالات ان الظرف السياسي خلال حكم العادل لم يكن ليسمح لابناء كرامة ان يهادنوا الفرنجة ويقيموا معهم علاقات الصداقة ، الا اذا رجَّحنا ان الحادثة قد وقعت بعد وفاة العادل عام ٥٦٩هـ / ١١٧٤ م . وتولي ولده الصالح اسماعيل المملكة . حيث قامت في بلاد الشام الصراعات الانفصالية بين امراء البيت الزنكي وعمل شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدّم على مصالحة الفرنج وتسليمهم قلعة بانياس (٧٥) . وهذا ما حاول ابن سباط ان يؤكده في تاريخه (٧٦) . الا ان مثل هذا الترجيح ينفيه المنشور الذي تسلَّمه حجى بن كرامة الصغير من الملك العادل نور الدين بتاريخ رمضان ٥٦٥هـ / ايار ١١٧٠ ، واثبته صالح بن يحي في تاريخه حيث يقطع العادل فيه الامير حجى قرية واحدة هي جبعة باسم ثمانية انفار ، كما وان ما ذكره صالح بن يحي من ان الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب عندما افتتح بيروت بالأمان عام ٥٨٧هـ / ١١٨٧ م وكان الامير حجى برفقته ، « لمس بيده رأس حجى وقال له : ها قد اخذنا بثأرك من الفرنج . طيِّب قلبك انت مستمر مكان أبيك واخوتك » (٧٧) . يحملنا على الاعتقاد ان اولاد كرامة الثلاثة لم يقتلوا في حادثة غدر دبَّرها الفرنجة ، بل سقطوا في معركة كان يشعر صلاح الدين انه المسؤول عن وقوعها . وان سألنا عن تاريخ واسباب مثل هذه المعركة ؟ فاننا نرجِّح من خلال ما امدتنا به المصادر ان احد حكام بيروت ، الذين خلفوا اندرونيكوس كومنينوس ولم يصلنا اسمه، قام بناء لخطَّة عسكرية،

ودعـم مـن مملكة بيت المقدس في عـام ٥٦٤هـ / ١١٦٩م ، بعمليات حربية استهدفت ضرب القدرة العسكرية التنوخية قبل توجه الملك عموري الاول بقوات الفرنجة نحو مصر . وعلى الارجح ان هذه العمليات تمت بعد اتفاق الملك عموري والامبراطور البيزنطي مانويل كومنين في السنة المذكورة لغزو مصر . اذ بعد ان تمكن صلاح الدين يوسف التابع لنور الدين من تولى الوزارة بمصر وتدعيم مركزه فيها ، اصبح الفرنجة محصورين بين قوة نور الدين محمود في بلاد الشام وقوة صلاح الدين في مصر . وبالفعل غادر الاسطول البيزنطي الدردنيل متوجها نحـو مصر متخذا ثغـر دمياط هدفا له ، ولاقته برا قوات مملكة بيت المقدس وعلى راسها الملك عموري الاول حيث منيت هذه الحملة بهزيمة فاجعة للفرنجة وادت الى تدعيم مركز صلاح الدين في مصر (٧٨) .

لا يشير صالح بن يحي الى مـا حدث لإمارة الغرب التنوخية بعد الغارة على الغرب . لكن على الارجح ان الفرنجة بعد ان حققوا هدفهم القاضي بضرب القدرة العسكرية الهجومية عند التنوخيين قد تراجعوا عن الغرب اذ انهم كانوا يعرفون ان حكم المنطقة المباشر سيشكل ضدهم مقاومة ضارية من اهله الموحدين (الدروز) الذين وصفهم بنيامين انهم « يعتصمون فوق قمم الجبال وشعاب الصخور لا يمتون بطاعة لملـك او امير وهم يتسلقون الجبال بخفة غريبة بحيث لا يقدر احد على مناجزتهم بنجاح » (٧٩) . بالاضافة الى ذلك قد يكون لهجمات العادل نور الدين على مناطق الفرنجة في السواحل أثرها الاكبر في تراجعهم عن الغرب ، ويذكر ابن الاثير ان نور الدين بعد ان سيَّر العساكر الى دمياط « سار هو الى بلاد الفرنج الشامية فنهبها وأغار عليها واستباحها ووصلت الغارات الى ما لم تكن تبلغه من قبل لخلو البلاد من مانع » (٨٠) . وعلى الارجح ان الامارة في جبل الغرب ، قد تولاها في ذلك الوقت الامير شرف الدولة علي بن بحتر ، الذي اتخذ من عرامون مقرا له بعد تهديم حصن سرحمول ، ومن ذريته كان الفرع البحتري في عرامون (٨١) .

التنوخيون خلال حكم صلاح الدين الايوبي وأولاده

كنا قد اشرنا الى الصراعات التي نشبت بين امراء البيت الزنكي بعد وفاة العادل وتولي الصالح اسماعيل مكانه . كما أشرنا الى الصلح الذي عقده ابن المقدم مع الفرنجة وسلّمهم بموجبه قلعة بانياس . لم يكتف صلاح الدين يوسف بأن ارسل الى الصالح والامراء الزنكيين يستنكر الصلح (٨٢) . بل قدم من مصر الى بلاد الشام عام ٥٧٠هـ / ١١٧٥م ، ودخل دمشق واتخذ منها قاعدة لملكه . ثم بدأ صلاح الدين يعمل لاعادة توحيد الجبهة الاسلامية التي جهد نور الدين قبله في بنائها ، وشكّل الصراع الانفصالي للامراء الزنكيين بعد وفاته تهديدا لها (٨٣) . واتبع صلاح الدين سياسة سلفه نور الدين في الجهاد ضد الفرنجة ونجح في ذلك نجاحا باهرا ، وتذكر المصادر انه في عام ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ، قدم بقواته من دمشق الى بيروت في الوقت الذي وصل اسطوله من مصر الى مياهها ، وحاصر المدينة فترة لكنه تراجع عنها بعد ان استعصت عليه بسبب ما وصلها من امدادات برية وبحرية من الفرنجة (٨٤) . لم يفدنا صالح بن يحي عن حالة الامارة التنوخية في هذه الفترة، والدور الذي قام به امراؤها . وعلى الارجح ان الامير شرف الدولة علي ، الذي يرد اسمه في السجل الارسلاني ، « عرف الدولة قوام الدين علي الملقب بأرسلان » قد هادن الفرنج بعد الصلح المذكور ، حيث ينفرد الشدياق بذكر وصول منشور من الصالح اسماعيل له (٨٥) . لكن الامير علي قد شارك مع قوات صلاح الدين في مهاجمة بيروت .

انزل صلاح الدين الهزيمة الكبرى بالفرنجة عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م في موقعة حطين وانهارت بعدها مملكة بيت المقدس (٨٦) . قدم صلاح الدين لافتتاح بيروت فهب تنوخيو الغرب وحلفاؤهم لملاقاته في قرية خلدة ، ولربما شاركوه في حصار المدينة . ويذكر صالح بن يحي في تاريخه انه : لما فتح

السلطان صلاح الدين مدينة بيروت « لمس بيده رأس الامير حجى وقال له : ها قد اخذنا بثأرك من الفرنج فطيِّب قلبك انت مستمر مكان ابيك واخوتك ». وسلم السلطان الامير حجى منشور اثبته صالح بن يحي ، يقضي :

« باجراء الامير جمال الدولة حجى ابن كرامة على ما بيده من جبل بيروت من اعمال الدامور لما وصل الى الخدمة السلطانية ، وتحققنا ما جرى عليه من جانب الكفَّار خذلهم الله وهو ملكه وارثه عن ابيه وجده وهي : سرحمور ، عين كسور ، رمطون ، الدوير ، طردلا ، عندرافيل ومزارعهم وذلك حبسا منا عليه واحتسابا منا اليه لمناصحته وخدمته ونهضته في العدو الثاغر له » (٨٧) .

يستدل من المنشور المذكور بالاضافة الى ان الاقطاع الايوبي اصبح اقطاع توريث ، ان الامير حجى لم يكن الامير الرئيسي في امارة الغرب التنوخية اذ ربما كان السلطان صلاح الدين قد اعترف بامارة شرف الدولة علي عم حجى واولاده وسلمهم مناشير مماثلة ، اغفل صالح بن يحي عن ذكرها . هذا ولعل الصراع بين ذرية الامير كرامة الذين سكنوا الدوير ثم طردلا وبعدها اتخذوا من بلدة عبيه قاعدة لهم وذرية الامير شرف الدولة علي الذين استقروا في عرامون، قد بدأ منذ ذلك الوقت ؛ حيث اعتبر الامير حجى نفسه الوريث الشرعي والوحيد للامارة التنوخية . كما وان السلطان لم يعد للتنوخيين مدينة بيروت ، التي كانت تابعة لسلطتهم ، ونفوذهم قبل الاحتلال الفرنجي للساحل الشامي . وقد اختلف المؤرخون في تحديد اسباب هذا التصرف الذي ادى بالسلطان صلاح الدين ان يوليها لأحد أمرائه الكبار من غير التنوخيين وهو عز الدين اسامة بن منقذ (٨٨) .

كان للهزيمة التي مني بها الفرنجة على يد صلاح الدين صداها في اوروبا . حيث لم يبق من ممتلكاتهم في الشرق سوى صور من مملكة بيت المقدس ، ومدينة طرابلس وقلعة انطرسوس وحصن الاكراد من امارة طرابلس، وانطاكية وبعض المواقع غير المهمة من امارة انطاكية(٨٩) . فقدمت الحملة الفرنجية الثالثة عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م ، والتي لم تحقق سوى عقد هدنة عرفت بصلح الرملة عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م ، ونصَّت على ان يكون الساحل من صور الى يافا للفرنجة اما داخلية البلاد فللمسلمين ، وكانت مدة الهدنة ثلاث سنين وخمسة اشهر (٩٠) .

وفي العام التالي توفي صلاح الدين ، تاركا دولة مترامية الاطراف وفراغا ضخما لم يستطع أي من ابنائه او اخوته ملأه ، فتجزأت المملكة (٩١). كانت دمشق والساحل بما فيه منطقة الغرب التنوخية من نصيب ولده الافضل نور الدين علي ٥٨٩ - ٥٩٢هـ / ١١٩٣ - ١١٩٦م ، الذي نشب بينه وبين اخوته صراع شديد ، الى ان تمكّن العادل سيف الدين ابو بكر من اعادة توحيد المملكة واصبح سلطان البلاد (٩٢) .

استغل الفرنجة فرصة انتهاء الهدنة ، وقدوم قوات المانية والخلاف القائم بين افراد البيت الايوبي ، فعادوا الى احتلال المدن الساحلية ومنها بيروت التي كان يتولاها عز الدين اسامة الذي سلّم المدينة للفرنجة دون قتال عند سماعه بنبأ استيلائهم على مدينة صيدا سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٧ م . فخرج من بيروت بأهله وجماعته فلامه الناس وعنفوه . ولما حصر الفرنج حصن تمنين (تبنين) وسألوا صاحبه في تسليمه بالأمان قال فيه أحد الشعراء :

سلّم الحصن ما عليك ملامه ... لا يلام من يروم السلامة .

فعطاء الحصون من غير حرب ... سنة سنَّها ببيروت أسامة .

لعن الله كل من باع ذا البيع ... وأخزى بخزيه من سامه(٩٣) .

وقعت بيروت في يد الملك أموري الثاني الذي اقطعها بدوره الى كونراد دي مونفرا حيث تنازل عنها الى يوحنا الاول من أسرة ابلين ، الذي عرف بسيد بيروت الشيخ ١١٩٧ - ١٢٣٦ م (٩٤). يعتبر يوحنا اقوى شخصية في الشرق الفرنجي في ذلك الوقت (٩٥) ، حيث اصبح بعد وفاة الملك عموري الثاني والملكة ايزابلا ، وصيا على العرش (٩٦) . ثم توالى على امارة بيروت بعد وفاة يوحنا افراد من اسرة ابلين آخرهم روبين ابن ايشيف ابلين من زواجها من همفروا دي مونفور امير صور (٩٧) .

لم يصلنا ما يفيد عن حالة الامارة التنوخية ودورها في تلك الفترة . لكننا نرجّح ان الامارة قد عانت الكثير من المتاعب نتيجة للأسباب التالية :

١ - الصراع الداخلي على الزعامة ، الذي قاده الامير حجى الى ان تمكن من توطيد مركزه وبسط سلطته على جبل الغرب . ولعل الامير حجى لم يتمكن من ذلك لولا اتخاذه الموقف المتشدد في مناهضته للفرنج .

٢ ـ كما وان أسرة ابلين في بيروت وخاصة خلال حكم جان الاول ، وآل غارنييه في صيدا أخذوا يعملون على توسيع حدود امارتيهما باتجاه الاشواف ، في الوقت الذي كان فيه الايوبيون منهمكين في صراعاتهم الداخلية على السلطة والاقطاعات ، وعملوا على مهادنة الفرنجة واقاموا معهم العلاقات الحسنة ، وذلك على الأخص بداع من المصالح التجارية (٩٨) ، مما اضطر الامير حجى وحلفاؤه الى تحمل عبء مواجهة تحديات الفرنجة لمنطقة الغرب منفردين . اذ لما كتب الامير حجى الى السلطان العادل سيف الدين ابي بكر يشكو له مضايقات الفرنجة طالبا المساعدة العسكرية . لم يلب السلطان طلبه بل كان رده انه اوعز للفرنج بعدم التعرض له . كما طلب منهم ان « لا يغيّروا عليه عادة » وان خالفوا لا يلوموا الا انفسهم ، وطمأنه الى حسن نية الفرنج « وان يطيب قلب حجى وان يشرح صدره فان الفرنج لا يغيِّروا عليه عادة » (٩٩) .

٣ ـ تنافس الملوك الايوبيون على التقرّب من الامير حجى ومن خلفه على رأس الامارة التنوخية ، لكسبهم كقوة عسكرية في صراعاتهم الداخلية على السلطة ، متناسين ما كان التنوخيون يعانونه من ظروف صعبة بسبب مضايقات الفرنجة . فبعد ان تمكن العادل سيف الدين ابو بكر من بسط نفوذه على دمشق عام ٥٩٢هـ / ١١٩٦م ، وعزل ابن أخيه الافضل عنها واقطاعه قلعة صرخد (١٠٠) . قام الافضل بمحاولات لاستعادة دمشق ، واخذ يكاتب الامير حجى حيث حفظ صالح بن يحي كتاب الافضل وتاريخه رمضان ٥٩٣هـ / اب ١١٩٧ ، الذي « يرغبه ويستعطفه ويحثه على الجهاد ويقطعه الغرب جميعه مطالبا اياه ان يحلف واقاربه على الطاعة السلطانية » (١٠١) .

وبعد وفاة العادل عام ٦١٥هـ / ١٢١٨ م ، انفرط عقد اولاده بعد ان حافظوا على تماسكهم وتضامنهم بقيادة الكامل محمد ، اثناء تصديهم للحملة الفرنجية الخامسة على ثغر دمياط بمصر اواخر عام ٦١٥هـ / ١٢١٨ م . اذ بفضل هذا التضامن تمكنوا من التغلب على الحملة المذكورة (١٠٢) . عاد الايوبيون الى صراعاتهم بعد انتهاء الخطر الفرنجي ، وبسبب اطماع المعظّم عيسى صاحب دمشق (٦١٥ ـ ٦٢٢هـ / ١٢١٨ ـ ١٢٢٧ م) ، الذي اراد التوسع ليس على حساب الفرنجة بل على حساب ممتلكات اخوته واقاربه (١٠٣) . وفي اثناء هذا الصراع طمع العزيز عثمان بن العادل في تملك

دمشق وكان في اثناء ذلك صاحب قلعة بانياس ، واخذ العزيز عثمان يحاول التقرّب من الامير حجى وغيره من الامراء التنوخيين . فكتب لحجى منشورا بتاريخ جمادى الاول ٦١٩ / تموز ١٢٢٢ « يعترف بامارته وباجرائه على ما بيده من جبل بيروت على قاعدته المستقرة » (١٠٤) .

تمكّن الامير جمال الدين حجى من المحافظة على الامارة التنوخية في جبل الغرب ، والنهوض بها على الرغم من الظروف الصعبة التي عاشت فيها . كما تمكن من بسط جناحها على الاشواف وربما على الخارجة من كسروان وان يدين له الامراء المحليون في هذه المناطق بالولاء والتبعية . دليلنا على ذلك هو مقتل ولديه الاميرين نجم الدين محمد وشرف الدين علي اللذين خلفاه في الامارة في ثغرة الجوزات بكسروان عام ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م (١٠٥) . ولعل مقتلهما كان اثناء حملة قاما بها اما لرد غارة فرنجية عن المنطقة ، او لاخضاع قوى محلّية في جبل كسروان كانت ترفض الولاء والتبعية للامارة التنوخية (١٠٦) .

خلال امارة نجم الدين محمد وشرف الدين علي كان الصالح نجم الدين ايوب صاحب مصر يعمل على ضم دمشق ، وكان فيها الصالح اسماعيل (٦٣٨ – ٦٤٣هـ / ١٢٤٠ – ١٢٤٥ م) فعمل الملك الصالح نجم الدين أيوب على استقطاب الامير نجم الدين محمد بن حجى الى جانبه في صراعه مع صاحب دمشق الصالح اسماعيل ، فأرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب الى الامير محمد نسخة مثال يطلب منه ان يجهر من يقدر عليه من القوات للقائه . وجاء في نسخة المثال :

« الامير الاجل الاخص المقدم نجم الدين زين القبايل عمدة الملوك والسلاطين أطال الله بقاه وأدام توفيقه وحراسته وتسديده ورعايته ، شكرنا لخدمته ومضاء عزمته (مضاء عزمه) ومحض ولاية (ولائه) وطاعته ، فيطيب قلبه ويشرح صدره ويثق منا باجرائه على مشكور قائمه ومستقر قاعدته والاحسان الذي يقر عينه وينبسط به امله والزيادة في معلومه الشريف له ولمن معه فيستجلب كلمن (كل من) يقدر عليه للخدمة ويعرّفهم ما لهم منها وفي المحافظة عليها من سابغ النعمة ، ونحن بمشيئة الله واصلون الى البلاد عن قريب ، فليكن الامير على أهبة للقائنا هو ومن معه لنظهر عليهم اثر الإنعام وليحرزوا من الاكرام والتقريب اوفر الاقسام » .

«كتب في شهر الحجة .... (١٠٧) .

العلاقات الودية مع الفرنجة

اثناء امارة جمال الدين حجى بن كرامة شهدت بيروت خلال حكم جان ابلين الاول لها ازدهارا اقتصاديا لم تشهده من قبل . فقد عمل سيد بيروت الشيخ على استدراج التجار الاوروبيين الى بيروت ، فاتسعت اسواقها وامتلأت مستودعاتها (١٠٨) . ففي حين يذكر صالح بن يحي « ان الامير حجى، كانت اه حوادث كثيرة مع الافرنج لأن في ايامه كانت قوة شوكتهم وكانوا قد قتلوا اخوته » (١٠٩) .

لكن ما ذكره صالح عن الامير حجى لا ينفي البدء باقامة العلاقات التجارية بين امارة الغرب و فرنجة بيروت اثناء فترة امارته الطويلة حيث شكّلت منطقة الغرب اداة العبور التجارية الاساسية بين الداخل وبيروت . اذ لعل الدروب التي كانت تسلكها التجارة قبل ذلك ، الواقعة عبر جبل كسروان ، او عبر ممر زحلة ترشيش – بيروت من جبل المتن .

نمت العلاقات التجارية بين امارة الغرب و فرنجة بيروت، وبشكل ملحوظ في عهد حفيدي الامير حجى جمال الدين حجى الثاني الملقب بالكبير المتوفى ٦٩٧هـ / ١٦٩٧م واخيه سعد الدين خضر المتوفى ٧١٣هـ / ١٣١٧م ، اللذين خلفا والدهما نجم الدين محمد في الامارة بعد مقتله . حيث ان الفرنجة لم يعودوا تلك القوة التي تشكل خطرا يمنع التنوخيين من التعامل معهم ، فأوضاع الفرنجة لم تكن احسن حالا من اوضاع الايوبيين ، فقد ابتلوا بما ابتلي به الايوبيون من انقسام في كلمتهم وتضعضع في شؤونهم (١١٠) . وبصورة خاصة بعد وفاة جان الاول ابلين الذي نعم بمكانة رفيعة واعتبر القائد الحقيقي للشرق الفرنجي (١١١) . هذا وان العلاقات التجارية بين الفرنجة وممالك الشام لم تتوقف حتى في اشد فترات الصراع بينهما . فعندما مرّ

الرحالة ابن جبير الاندلسي بالشام عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م . وصلاح الدين محاصر للكرك ، تعجّب من ان « نيران الفتنة تشتعل بين المسلمين والنصارى (الفرنج) ، وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ، وأرفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم . وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم ، وتجار النصارى يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم ، والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الاحوال واهل الحرب يشتغلون بحربهم والناس في عافية والدنيا لمن غلب » (١١٢) . ويذكر صالح بن يحي ان الامير سعد الدين خضر قد تزوج امرأة من كفرسلوان « كان ابوها من ذوي الايسار وسعة الرزق ، فاق اهل بيروت في زيادة الاموال » (١١٣). فان سألنا عن سبب ثراء والد زوجة سعد الدين خضر لرأينا انه من مردود التجارة، اذ على الارجح ان امراء المتن ومنهم الامير المذكور كانوا الاسبق في اقامة العلاقات التجارية مع الفرنجة . كما يستدل ان الامير سعد الدين خضر كان صديقا لامير بيروت الفرنجي الذي تبادل معه الهدايا ، ومن جملة الهدايا التي وصلت الى الامير خضر منه كانت مجموعة من الطيور الجوارح ، اذ يذكر صالح بن يحي ان سعد الدين خضرا « قد غوى الخيول الملاح والصيد وهو اول من لعب بالطيور الجوارح من آل بحتر وكانت هذه الطيور هدايا من صاحب بيروت » (١١٤) .

لم تقتصر هدايا الفرنجة على الامير سعد الدين خضر ، بل ان امير صيدا الفرنجي قد أهدى الى الامير حجى الثاني شكارة بذار في قرية الدامور تكون ملكا له ولاولاده ولمن يقوم مقامه بواسطة كتاب تاريخه عام ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م (١١٥) .

الامارة التنوخية بين شقي رحى

اثناء امارة جمال الدين حجى الثاني واخيه سعد الدين خضر . وكـان يعاصرهما ابن عم والدهما الامير زين الدين صالح بن علي بن بحتر في عرامون، وقع الصراع بين الايوبيين والمماليك . فعند وفاة الصالح نجم الدين ايوب عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٩ م اثناء تصديه لحملة لويس التاسع على مصر (١١٦) . وكـان الصالح قد تمكن من ضم دمشق الى مملكته واعـاد توحيد الدولة الايوبية ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م ، استطاع عز الدين أيبك اكبر مماليك الصالح من خلع ولده طـوران شـاه وقتلـه ، وتأسيس دولـة المماليك في مصر عـام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م (١١٧) . رفض الناصر يوسف الايوبي صاحب حلب الاعتراف بالحكم المملوكي الجديد في مصر، واستولى على دمشق. واخذ يعد قواته للهجوم على مصر وخلع أيبك الذي تلقب بـ « المعز » واعادتها الى سلطة الدولة الايوبية ، وقام الناصر بحملة على مصر لكن حملته منيت بالفشل . وعلى الرغم مـن الصلح الذي تم بمبادرة الخليفة العباسي المستعصم ، الذي تراءى له الخطر المغولي القادم من الشرق بين الناصر والمعز ايبك ، على ان تكون مصر حتى نهر الاردن للمماليك وما وراءه من بلاد الشام للايوبيين (١١٨) . فان كلا من طرفي النزاع اخذ يعمل لتقويض سلطة الآخر .

ترك الصراع الايوبي ـ المملوكي على الامارة التنوخية آثـارا سلبية ، بحيث اصبح يتجاذبها طرفا للنزاع . كان الامير الفعلي للامـارة حجى الثاني قد وصله منشور من الناصر يوسف يقطعه قرى عديدة في الغرب (١١٩) . فان المعز أيبك الذي حذا حذو ملوك مصر الايوبيين أخذ يعمل على استمالة امراء الغرب الى جانبه نظرا لاهمية موقع امارتهم وللاستفادة من قدرتهم العسكرية في ضم دمشق الى مملكته ، فأرسل الى الامير سعد الدين خضر اخي حجى

منشورا يقطعه فيه عددا من قرى الشوف بالاضافة الى ظهر الاحمر وتنورا من وادي التيم (١٢٠) ، ولعل هذا المنشور واحدا من جملة اتصالات قام بها المماليك مع الامراء التنوخيين ، وغيرهم من القوى في بلاد الشام اثناء صراعهم ضد الناصر يوسف الايوبي .

لم يخبرنا صالح بن يحي هل تورط التنوخيون في الصراع الايوبي المملوكي . لكننا نرجح انهم اتبعوا كعادتهم اثناء الصراعات الاسلامية الداخلية، سياسة متوازنة بين القوتين المتصارعتين . لكن هذه السياسة لم ترض ملك الشام الايوبي الناصر يوسف ، واصدر امره بارسال حملة عسكرية ايوبية الى الغرب للاقتصاص من التنوخيين وحلفائهم . فقدمت الحملة التي انضم اليها عشائر بعلبك والبقاع في عام ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م . لما وصلت الحملة الى بلدة عيتات في الغرب جرت معركة شديدة هزم فيها عسكر السلطان والعشائر المنضمة اليه. وكان للامير زين الدين صالح بن علي والذي ورد لقبه في السجل بـ « أبي الجيش » ، دور كبير في تحقيق الانتصار التنوخي (١٢١) ، فبرز الامير المذكور كأمير متساو مع ابني عمومته من الفرع البحتري في عبيه الاميرين خضر وحجى .

ثم ظهر المغول على مسرح الشام بعد دخولهم بغداد وانهاء الخلافة العباسية فيها . فحاول الناصر يوسف التحالف معهم والاستعانة بهم ضد المماليك في مصر (١٢٢) . لكن الناصر عندما أفاق على حقيقة الخطر المغولي بعد اكتساحهم لشمالي الشام ، ارسل يستنجد بكل القوى لمساعدته ضدهم بما في ذلك المماليك في مصر (١٢٣) .

لبى التنوخيون دعوة الناصر يوسف ، وتوجه الامير حجى الى دمشق للمشاركة مع القوات الايوابية ضد قوات الغزو المغولي . لكن القوات التي كان الناصر قد جمعها ، والتي ناهزت مائة الف من العساكر ما بين عرب وعجم سرعان ما تفرّقت عند سماعها بسقوط قلعة حلب بيد المغول . وفرّ الناصر بعياله الى مدينة غزة (١٢٤) . ولعل الامير حجى قد تباطأ في المسير الى دمشق للمشاركة . ويعود ذلك على الارجح لسوء العلاقات مع الناصر اثر الحملة الايوبية على الغرب ، وحدوث موقعة عيتات « فلم يلحق الناصر فيها » ، اذ كان قد استولى عليها كتبغا القائد المغولي وانهى الحكم الايوبي فيها . فما كان من الامير حجى الا ان « اجتمع بكتبغا » وقدّم له الولاء. فأصدر كتبغا الى

جحى منشورا يثبته فيه على اقطاعه الذي كان الناصر يوسف قد حدده له في منشور سابق (١٢٥) . ولعل الامير حجى في موقفه هذا استهدف الى جانب محافظته على زعامته واقطاعاته ، ابعاد الخطر المغولي عن الامارة التنوخية .

لحق الامير زين الدين صالح بابن عمه الامير حجى في دمشق في حين بقي الامير سعد الدين خضر وحده في الغرب . ولما تواصلت الاخبار الى دمشق بقدوم السلطان المملوكي المظفَّر قطز الذي حل مكان المعز أيبك في السلطنة عام ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م ، على رأس القوات المملوكية لمقاومة المغول . اجتمع الاميران التنوخيان وتشاورا فيما يمكن عمله ، واتفقا على خطة تقضي بأن يبقى الامير حجى ومن معه عند التتار بدمشق ، في حين يتوجه الامير زين الدين صالح لمساعدة القوات المملوكية المتقدمة نحو فلسطين « ليكون أي من انتصر من الفريقين كان احدهما معه فيسد خلّة رفيقه ، وخلة البلاد قصداً بذلك أصلاح الحال » . على حد قول صالح بن يحي (١٢٦) .

وصف بعضهم هذه السياسة التي انتهجها الاميران حجى وصالح بأنها « سياسة ملتوية » (١٢٧) و « موقف متذبذب » (١٢٨) . ولكن لا بد من الاشارة الى ان ما يمكن ان يكون قد أملى عليهما هذا الموقف، هو الحفاظ على منطقتهما سليمة من التعرض لهجمات من قبل أحد طرفي النزاع . فحملة الناصر يوسف على الغرب كانت لا تزال ماثلة امام اعينهما ، ولم يكن قد مضى وقت طويل على حدوثها ، كذلك ما رافق الغزو المغولي للعراق وبلاد الشام من تدمير وخراب .

شارك الامير صالح ومجموعته مع القوات المملوكية في موقعة عين جالوت عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، والتي كان النصر فيها للمماليك . ويذكر صالح بن يحي ان الامير صالحا اظهر اثناء المعركة شجاعة ومهارة و « كان يرمي عن قوس قوي فأعجب مماليك السلطان رميه ، وصاروا يقدمون له النشاب من تراكيشهم » (١٢٩) . موقف زين الدين صالح هذا كاد يكلفه حياته عند معرفة السلطان المملوكي باتصاله بالتتار لولا شهادة مماليكه بأفعاله اثناء المصاف .

نجحت الخطة التي رسمها الاميران ، وشفع الامير صالح بعد عفو السلطان عنه، عن قريبه الامير حجى. وعادا كلاهما الى امارة الغرب التنوخية، التي بقيت بعيدة بفضل سياستهما عن اي سوء .

بعد موقعة عين جالوت قام المماليك بحركة تطهيرية سريعة في داخلية الشام ، واستردوا دمشق من التتار ولاحقوا فلولهم حتى حلب (١٣٠) ، ثم رتب السلطان قطز أمور الشام ، واستناب علم الدين سنجر الشجاعي عليها.

حلّ الظاهر بيبرس مكان المظفر قطز في السلطنة (٦٥٩ ـ ٦٧٦هـ / ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م) بعد ان اغتاله في طريق العودة الى مصر . وبعد ان أضفى بيبرس على الدولة المملوكية الناشئة الصفة الشرعية باحيائه الخلافة العباسية ، واصبح يحكم بتفويض من الخليفة موطدا بذلك سلطنته (١٣١) ، قدم الى دمشق ليستانف حركة الجهاد ضد الفرنجة . اثناء وجود بيبرس في دمشق اقر الامير حجى على امارته بموجب منشور جدد له فيه اقطاعه، وطلب منه مساعدة القوات المملوكية التي قدمت للمثاغرة قبالة صيدا وبيروت . كما تسلّم الاميران حجى وصالح من نواب السلطنة في دمشق مناشير يستدل منها ان امراء الغرب قد تفرقت جموعهم في ايام سلطنة بيبرس ولم يعد بامكانهم القيام بالمهمات العسكرية المطلوبة منهم ضد الفرنجة دون مساعدة القوات المملوكية ؛ على الرغم من ان الفرنجة كانوا في غاية الضعف. فاقتصرت الخدمات التي قدّمها التنوخيون للمماليك على اطلاعهم على اخبار الفرنجة ، ومساعدة العساكر السلطانية . وفي احد المناشير الموجهة الى الاميرين حجى وصالح يطلب نائب السلطنة بدمشق منهما ردّ رجالهما، الذين كانوا مثاغرين امام صيدا وقد تم سحبهم . وجاء في ملحق احد المناشير التي اثبتها صالح بن يحي في تاريخه : « وقد بلغنا ان جموعكم تفرّقت وانتم تعلمون ان هذا الوقت الذي تظهر مناصحة الدين والدولة القاهرة . فيتقدم الامراء ايّدهم الله بردّ الرجال الى جهة صيدا ويجتهدون في المساعدة في حفظ هذا الثغر مؤيدين انشاء الله » (١٣٢) .

لم يصلنا ما يفيد عن اسباب الاضطراب الذي حدث في الامارة التنوخية . وهناك احتمالات عديدة منها ان صراعا قد نشب بين الاميرين زين الدين صالح وحجى على الامرية الكبيرة، خاصة وان صالحا كان قد انقد الامارة مرتين الاولى خلال معركة عيتات والثانية في عين جالوت ، ومما يدعم هذا الاحتمال ان مناشير ومراسيم نواب السلطنة في دمشق وكذلك مرسوم الظاهر بيبرس، لم يحدد صالح بن يحي تاريخها ، اصبحت ترد باسم الاميرين حجى وصالح .

وجاء في مرسوم الظاهر بيبرس للاميرين حجى وصالح :

العلامة : « المستعان بالله »

« الى الاميرين المختارين المحترمين الاخصين المجاهدين جمال الدين وزين الدين فخري القبايل والعشاير مجدي الامراء، اختياري الدولة، عمدي الملوك والسلاطين أدام الله رفعتهما وجدّد مسرتهما تتضمن سلامنا عليهما واهداء تحيتنا اليهما ، ونعلمهما بأنا وقفنا على مكاتبتهما الواصلة الى نوابنا بدمشق يذكرون فيها استمرارهما على الخدمة والنصح لدولتنا القاهرة ، ووصل الينا كتاب نوابنا بدمشق المحروسة يذكرون ما الاميرين عليه من الخدمة والاجتهاد في المناصحة ، وفرحنا بذلك ووقع عندنا اهتمام الاميرين في الخدمة احسن موقع فليستمرا على ذلك ، وليهتما به وليطيبا قلوبهما وليشرحا صدورهما فسوف يجنيان واخيهما (اي الامير سعد الدين حضر) ايضا ثمرة خدمتهما ومحبتهما وليطالعونا بالاخبار والمتجددات والله يوفقهما » (١٣٣) .

هذا الاضطراب الذي حدث في الامارة التنوخية قد يعود الى وقوف فريق من التنوخيين ضد قطع العلاقات مع الفرنجة اذ يمكن ان يكون الامير سعد الدين حضر الكبير المعروف بصداقته لهم ، قد وقف على رأس هذا الفريق متخذا موقفا مغايرا لموقف اخيه في التصدي لهم ، مدعوما من الامير زين الدين صالح الذي بقي على علاقة جيدة مع الفرنجة ووصلة كتاب من همفروا دي مونفور زوج اشيف ابلين عام ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠م ، يهب صاحب بيروت في الكتاب صالحا شكاره بذارها غرارة ينصبها كرم في العمروسية ، مشروطة بأن : « لا يخلّى في بلاده هارب من بيروت وان يرده صلحا ، وان لا يمكّن احدا من بلاده ان يفسد في بلد بيروت » (١٣٤) . لكن السبب الاهم الذي ادى الىهذا الاضطراب في الموقف التنوخي هو ان المماليك بدأوا في استقطاع مناطق من الامارة التنوخية الى اجنادهم ، حيث اعتبروها جزءا من سلطنتهم ، وكل ما فيها وعليها ملك للسلطان .

نتيجة الانقسام بين الامراء التنوخيين حاولت مجموعة من فرع عرامون من أقرباء زين الدين صالح بن علي ، اسماهم صالح بن يحي ببني ابي الجيش توثيق العلاقة بنواب السلطنة ، طمعا في حيازة اقطاعات عن طريق وشايات

ودسائس ضد الامراء الثلاثة المذكورين . ويذكر صالح بن يحي ان تقي الدين نجا بن مفرج كان على رأس تلك المجموعة (١٣٥) . وكان الظاهر بيبرس يعمل على استعادة السواحل من الافرنج ، وفي اثناء ذلك تزايدت شكوكه في علاقة الامراء التنوخيين الثلاثة بالفرنج ، واصدر الامر بالقاء القبض عليهم ووضعهم في السجن في حدود عام ٦٦٩هـ / ١٢٧٠ م . فوضع الامير صالحا في سجن مصر ، والامير حجى في قلعة الكرك ، والامير خضرا في قلعة عجلون ، الى ان جمع الثلاثة في سجن مصر بعد ذلك. وعندما توسَّط بعض الامراء من المماليك لدى الظاهر بيبرس للافراج عنهم ، كان جواب السلطان : « هؤلاء ما افرج عنهم ولا آذيهم حتى افتح طرابلس وبيروت وصيدا » (١٣٦) .

اثناء اعتقال الامراء الثلاثة لم تؤخذ اقطاعاتهم منهم . لكن نواب السلطنة في دمشق اخذوا يقطعون بعض مناطقهم الى امراء المماليك ومن هؤلاء قطب الدين السعدي الذي استقطع قرية كفرعميه . وكانت هذه القرية ضمن اقطاع الامير زين الدين صالح في مرسوم من الصالح نجم الدين ايوب تاريخه عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م (١٢٧) . عندما حضر السعدي الى هذه القرية لضبط خراجها وُجد في اليوم التالي مقتولا ، حيث نسب قتله الى الامير نجم الدين محمد بن جمال الدين حجى (١٢٨) .

يعتبر صالح بن يحي ان مقتل السعدي كان السبب في قدوم الحملة المملوكية التأديبية الى امارة الغرب . لكننا نرجِّح انه على اثر اعتقال الامراء الثلاثة وبدء نواب السلطنة بدمشق في اقطاع اجزاء من الغرب لامراء المماليك. قامت في الغرب حركة مناهضة للدولة المملوكية اتخذت طابع الاغتيالات لامراء المماليك وكانت حادثة مقتل السعدي احداها . شكّلت هذه الحادثة السبب المباشر في قدوم الحملة المملوكية عام ٦٧٧هـ / ١٢٧٨ م واشتركت فيها عشائر البقاع . ويذكر صالح بن يحي ان « العسكر والعشران اقاموا في الغرب سبعة ايام في اسر ونهب وحريق وخراب » . كما يذكر ان المهاجمين لم يكتفوا بالقتل والتخريب ، بل عاملوا اهالي الغرب معاملة لا أسوأ منها ، حتى انهم اخذوا حريم الفلاحين واطفالهم فجعلوا الحريم جوارى وباعوا قسما من الاطفال مماليك . ويقول : « ما سمعنا ان جرى في الغرب كاينة انحس منها » (١٣٩). وكان الاميران نجم الدين محمد بن حجى وشرف الدين علي بن صالح على رأس القوات المدافعة عن الغرب في وجه الحملة المملوكية. وتمكّنت القوات المملوكية

من اعتقالهما في شقيف كفراغوص الذي هربوا اليه ليتحصنوا به بعد هزيمة قواتهما ، ثم أفرج عنهم بعد ذلك (١٤٠) .

لعل حادثة مقتل السعدي وما سبقها ورافقها من انتشار الفوضى في منطقة الغرب كان لها اثرها على السلطان السعيد بركه خان (٦٧٦ ـ ٦٨٧هـ / ١٢٧٧ ـ ١٢٧٩م) فأطلق سراح الامراء الثلاثة واعادهم الى بلادهم لاعادة ضبط الامور فيها ، كما اصدر مرسوما الى نواب السلطنة في الشام في رد ما سباه العسكر المملوكي اثناء الحملة على الغرب. وجاء في مرسوم السلطان بركة خان:

« ان الامراء الاجلاء المقدمين الاعزاز زين الدين وجمال الدين وسعد الدين اولاد امير الغرب أيَّدهم الله قد احاط علمه المبارك ان صدقاتنا قد شملتهم بالاحسان اليهم صدقة عن مولانا الشهيد رضي الله عنه ورحمة من ابوابنا العالية ، وهم الآن ملازمون الباب العزيز ، وكانوا منقالين من المفسدين في بلادهم ولو انهم اولادهم (١٤١) ؛ لاجل ما شملتهم من الصدقات واعترافهم بذلك . والان انهوا الى بين ايدينا الامر الذي جرى من تجريد (١٤٢) عسكر الى البلاد بعد قطب الدين السعدي في النوبة التي جرى فيها تجريد المجلس السامي الامير سيف الدين الزيني (١٤٣) . وما تمَّ من اخذ حريم فلاحيهم واطفالهم وشيء منهم بيعوا وشيء اعيدوا اليهم بالبيع . واخذ الحريم وجعلوا جواري والاولاد وجعلوا مماليك واخذت خيولهم واغنامهم وابقارهم وقماشهم . ولما بلغنا هذا الانها (كذا) ما اعجبنا ذلك ، ولا وافق ذلك غرضنا واباه عدلنا . وما كان القصد الا طلب المفسدين الذين اعتمدوا الفساد في البلاد ومن وافقهم على ذلك . وقد سألوا ان يتوجه الامير الاخص جمال الدين حجى الى خدمة المجلس العالي والتمسوا من صدقات هذه الدولة ، ورحمتها ان يتقدم المجلس العالي بطلبه حريم فلاحيهم واولادهم في أي جهة كانوا وان يعادوا ، وكذلك من بيع واسترد وقبض الثمن منهم عنه من الحريم والاولاد . ونحن نأمر بأن يعتمد المجلس العالي طلب ذلك الشخص الذي اعتمد هذه الامور ويستعيد منه الثمن . . . لأنا قد انكرنا كون حريم المسلمين يسبون وتسترق اولادهم . . . كتب بتاريخ جمادي الاول سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م » (١٤٤) .

هوامش الفصل الثالث

(١) من اشترك في حملات الغزو الاوروبي على المشرق الاسلامي ، كانوا يطلقون على انفسهم Chrétéins اي « مسيحيين » او Pélerins اي حجّاج ، اما الاصول العربية فتطلق عليهم اسم « الفرنجة » او « الافرنج » ، لكن الاوروبيين استحدثوا كلمة Croisades من الجذر اللاتيني Crux بمعنى الصليب . واستعمال مصطلح الحملات الصليبية في العربية ما هو الا ترجمة متأخرة للعبارة الاوروبية ولم تستعمل قبل القرن التاسع عشر للميلاد .

(٢) محمد سرور ، **النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق** ، ص ١٩ .

استولى تاج الدولة تتش بن ألب ارسلان السلجوقي على دمشق عام ٤٧١هـ / ١٠٧٨م ، بعد ان كان احد قواد اخيه السلطان ملكشاه ، اتسز بن أوق قد انهى النفوذ الفاطمي في بلاد الشام . وعند وفاة تتش عام ٤٨٨ هـ ، دبّ النزاع بين والديه دقاق ورضوان على مملكة الشام ، الى ان تم الاتفاق بينهما على اقتسامها بحيث تكون حلب لرضوان ، ودمشق لدقاق الملقّب بشمس الملوك .

ابن العديم ، **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(٣) ابن القلانسي ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٩٦ .

ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج ٨ ، ص ١١١ .

(٤) ابن الاثير ، **المصدر ذاته** ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، ويذكر ابن الاثير ان الحملة المصرية استعادت مدن عكا وجبيل وصيدا .

م. سرور ، **المرجع السابق** ، ص ٦٣ .

(٥) ستيفن رنسيمان ، **تاريخ الحروب الصليبية** ، (ترجمة السيد الباز العريني) ج ١ ، ص ١٢٠ ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٧ ــ ١٩٦٨ .

(٦) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ١٢٨ ــ س. رنسيمان، **المرجع السابق**، ج١، ص٤٧٥

(٧) الامير عضد الدولة علي هو نفسه الامير شرف الدولة علي ، والد الامير بحتر جد الاسرة البحترية .

(٨) ابن الاثير ، **المصدر السابق**، ج٨، ص٢٠٤ ـ ابن القلانسي، **المصدر السابق**، ص١٢٨-١٢٩

(٩) **السجل الارسلاني** ، (مخطوط) اثبات عام ٥٠٣ هـ .

ش. ارسلان، ((**ذيل**)) **روض الشقيق في الجزل الرقيق** ، ص ١٩٩ .

الشدياق ، **اخبار الاعيان في جبل لبنان** ، ج ٢، ص ٥٠٦ . ويذكر الشدياق : ان الامير عليا قطع نهر الكلب على ريموند امير تولوز المتوجه الى بيت المقدس . فاستنجد المذكور بالملك بغدوين ، الذي حضر بعسكره اليه . فاضطر الامير علي الى التراجع الى داخل اسوار بيروت . ولعل رواية الشدياق تفسيرا لما جاء في السجل الارسلاني .

(١٠) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٥٩٥هـ . ـ ش. ارسلان ، **المصدر ذاته** ، ص ١٨٧ .

(١١) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٨ ، ص ٢٠٤ ، ٢١١ ـ ٢١٢ ، ٢٥٩ . ـ ابن القلانسي، **المصدر السابق** ، ص ١٣٩ ـ ١٤٤ . ستيفن رنسيمان، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ١٢٠، ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(١٢) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ـ س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(١٣) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٨ ، ص ٢٥٩ .

كانت طرابلس قد عادت الى سيادة الدولة الفاطمية قبل سنة من سقوطها بيد الفرنجة ، وذلك عندما غادرها اميرها فخر الملك ابن عمار الى بغداد طالبا المساعدة العسكرية. راجع: ابن الاثير ، **المصدر ذاته** ، ج ٨ ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(١٤) ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٧ .

René Grousset, **Histoire des Croisades** , vol 11 ; p. 851 , Paris : Librairie plan , 1936 .

س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(١٥) ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٧ .

(١٦) س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ١٤٩ .

(١٧) ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(١٨) Gorusset R. **Histoire des croisades** , vol. II p. 851 .

(١٩) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٥٩٥ هـ.

(٢٠) ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٤ .

(٢١) ابن القلانسي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ . ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ . س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٢٢) ابن الاثير ، **المصدر ذاته** ، ج ٨ ، ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ـ ابن القلانسي ، **المصدر ذاته**، ص ١٤٥.

(٢٣) ابن القلانسي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٦٢ وراجع ص ١٤٩ ـ ١٦١ .

(٢٤) ابن القلانسي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٦٤ ـ ١٧١ .

ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٨ ، ص ٢٥٦ .

حصني المنيطرة وابن عكار في لبنان الشمالي .

(٢٥) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٥٩٥ .

(٢٦) الشدياق : **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ .

يورد « **السجل الارسلاني** » قائمة بأسماء الامراء التنوخيين الذين قتلوا في حصار بيروت وواقعة الغرب حيث لم ينج سوى الامير ناهض الدين بحتر . ويذكرهم الشدياق ، **المصدر ذاته** ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ .

(٢٧) س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٨ ، ص ٢٦٠ .

(٢٨) الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ .

(٢٩) Jean Richard , Le **Rayaume Latin De Jerusalem** , p. 81 Paris : Presses Universitairs de France , 1953 .

الاب هنري لامنس ، « الحياة في بيروت على عهد الصليبيين » ص ٧٢٣ ، **المشرق** عدد ٣١ (عـام ١٩٣٣) .

(٣٠) Jean Richard. Le rayaume Latin de Jerusalem , p. 38 .

حصن كلافيان : يحدد لامنس حصن كلافيان بأنه قرب بيت مري، ولعله دير القلعة. انظر: « الحياة في بيروت على عهد الصليبيين » **المشرق** ، عدد ٣١ (عام ١٩٣٣) ص ٨٥٣ .

(٣١) Grousset , R. Histoire des Croisades , Vol. II p. 851 .

تل صافية حصـن بفلسطين .

(٣٢) س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ص ١٥١ .

(٣٣) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٥٩٥ هـ . ــ ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٧ .

(٣٤) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٨ ، ص ٢٦٥ .

ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٨ ــ ١٧٩ ، ويذكر ان طغتكين : « نهض في فريق من العسكر الى ناحية صيدا واغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية واحرق تقدير عشرين مركبـا للفرنج » .

(٣٥) س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩ .

ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٨ ــ ١٨١ ، ٢١١ .

(٣٦) ابن القلانسي ، **المصدر ذاته** ، ص ٢١٣ .

ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ٨٣ .

(٣٧) Richard J. Le Rayaume Latin de Jerasalem , p. 39 .

(٣٨) Grousset , R. Histoire des Croisades , vol II , p. 67 .

س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ .

يعتبر غليوم الصوري ما فعله النصارى الجبليون في لبنان خيانة للفرنج نتيجة لخوفهم ، او لارتشائهم من قبل المسلمين . مما حدا بريموند الثاني امير طرابلس الغاضب لمقتل

والده بونز الى الانتقام منهم ، وليس من الاتابكة حكام دمشق . فجمع شمل قواته وصعد جبال بشري وفتك بمن اعتبرهم خونة وسبى اولادهم ونساءهم ثم عرضهم دقيقا في ساحات طرابلس . و « كان هذا الدرس مطلوبا لا بل ضروريا ضد النصارى (الموارنة) كي لا يتعاطفوا مع اي نهوض اسلامي جديد » . على حد قول غليوم .

Grousset R. , Histoire des Croisades , vol. 2 , p. 69 - 70 .

(٣٩) س. رنسيمان ، **المرجع ذاته** ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ – ٣٢٧ .

Grousset , R. Histoire des Croissades vol . 2 p. 82 .

حصن بعرين : حصن مهم يقع غربي مدينة حمص .

(٤٠) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٥٩٥هـ .

الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٥٠٧ . ويذكر الشدياق ان الامير محمدا كان قد وصلة من طغتكين ، كتاب عام ١١٢٦م . يوليه فيه الامارة .

البرج : برج البراجنة في ضواحي بيروت الجنوبية .

(٤١) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٨ ، ص ٣٤٢ .

شقيف تيرون : اعتبره راي Rey في كتابه Les Colonies Frangues

حصن نيحا الذي يقع على بعد ١٣ ميلا الى الشرق من صيدا . لكن القلقشندي فيحدده انه بالقرب من شقيف ارنون ، وهو من جند الاردن على مسيرة يوم واحد من صفد .

صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ١٥٤ .

(٤٢) Richard J. Le rayume Latin de Jerusalem p. 38 .

ك. الصليبي ، **المرجع السابق** ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٤٣) ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٤٤) برنار لويس ، **الدعوة الاسماعيلية الجديدة** (الحشيشية) ، (ترجمة سهيل زكار) ، ص ١٢٢ – ١٢٤ ، بيروت : دار الفكر ١٩٧١ .

(٤٥) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٩٥ .

ويرى الدكتور الصليبي ان اسم القسم من الشوف المعروف حاليا بالشوف السويجاني، قد نسب الى بني شويزان ، وكان يعرف بالشوف الشويزاني ، وحرّف الاسم فيما بعد » ، **المرجع السابق** ، ص ١٥٠ .

(٤٦) ابن **القلانسي** ، **المصدر** السابق ، ص ٢٤١ .

(٤٧) Richard J. Rayaume Latin De Jerusalem , p. 38 .

(٤٨) ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩٥ .

(٤٩) ابن العديم ، **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ – ابو شامة ، **كتاب الروضتين** في اخبار الدولتين، ج ١، ص٢٤. س. رنسيمان، **المرجع السابق**، ج ٢، ص ٣٦٥–٣٦٦. اسامة بن منقذ ، **كتاب الاعتبار** ، (تحقيق فيليب حتي) ، ص ١٣٥ – ١٣٩ . الولايات المتحدة: مطبعة برنستون ١٩٣٠ .

(٥٠) Grousset R. Hidtoire des Croisades Vol II . p. 470

س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ٦٠١ .

(٥١) Richard J. Le raycume Latin De Jerusalem , p. 81 .

(٥٢) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ٥٩٥ هـ . ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٧ .

(٥٣) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٠ .

المنشور : هو كتاب التعيين في المناصب ، وبتولية الاقطاع ، وكانت المناشير حسب الرتب. راجع منشور أبق الى الامير بحتر ، في الملاحق .

(٥٤) س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ . يورد رنسيمان عن وليم الصوري : « انه يخطيء القرار الصليبي، لان مملكة دمشق هي التي انفردت بالحرص على الصداقةمع الافرنج » .

(٥٥) ابن القلانسي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ .

(٥٦) ابو شامة ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٥٢ ـ ابن القلانسي، **المصدر السابق** ، ص ٢٩٩

(٥٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٠ .

(٥٨) سعيد عبد الفتاح عاشور ، **مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك** ، ص ٨ ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٢ .

(٥٩) ابو شامه ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٩٤ .

ابن العديم ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٦٠) العسقلاني ، **الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة** ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

احمد بن علي المقريزي ، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك** ، (تحقيق محمد زيادة) ج ٢ ، ق ٣ ، ص ٨٣٤ . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ .

(٦١) صالح بن يحي ، **تاريخ بيروت** ، ص ٤٢ — ٤٣ . راجع نص منشور كرامة في الملاحق .

المرسوم : هو الامر السلطاني .

(٦٢) الدكتور ابراهيم طرخان ، **النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى** ، ص ٢١ القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .

عبد العزيز الدوري ، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي** ، ص ٨٦ — ٨٩ — بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٨

(٦٣) الدوري ، **المرجع ذاته** ، ص ٩٦ — ٩٧ .

(٦٤) المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ١ ، ص ٥٠٩ .

(٦٥) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٨٥ .

في العهد الفاطمي كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة ، لمن شاء من الامراء ، والاجناد واهل النواحي . انظر : ا. طرخان ، **المرجع السابق** ، ص ٣٣ .

والقبالات جمع قبالة وهي الارض التـي يتقبلها اصحابها ، أي يضمنونها بمبلغ من المـال يؤدونه عنها في كل سنة .

(٦٦) ابو شامه ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .

Grousset R. Histoire des Croisades , vol 2 p. 390 .

(٦٧) ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١٠٥ .

(٦٨) Grousset R. Histoire des Croisades , vol , p. 851 .

يعيد غروسيه سبب تنازل غوتيه الثالث عام ١٦٦١ م. عن امارة بيروت للملك عموري الاول الى حاجته للمال لتحرير والدته المأسورة ، بعد ان استفكته ، ووضعت نفسها ، رهينـة مكانه ، دون تحديد الجهة التي كان أسيرا لديها .

(٦٩) صالح بن يحي . **المصدر السابق** ، ص ٤٥ — ٤٨ .

الدوير : قرية دارسة قرب عرمون ، في الغرب — قضاء عاليه .

(٧٠) Richard J. Le rayaume Latin de Jerusalem , p. 39 .

(٧١) شيخو ، **بيروت تاريخها وآثارها** ، ص ٦٩ .

(٧٢) الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١٠٥ .

(٧٣) ابن العديم ، **زبدة الحلب** ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ . ابن الاثير ، **المصدر السابق**، ج ٩، ص ٩٤.

س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ٦٠١ .

(٧٤) س. رنسيمان . **المصدر ذاته** ، ص ٦١٠ — ٦١١ .

(٧٥) ابو شامه . **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٢٢٢ وما بعدها .

ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٩ ، ص ١٢٦ — ١٢٨ .

شمس الدين ابن المقدم كان كبير الامراء الزنكيين ، والمتحكّم بالملك الصالـح اسمـاعيل الايوبي .

(٧٦) ابن سباط ، **تاريخ ابن سباط** (مخطوط) ورقـة ٤٢ .

(٧٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٦ . لم نتمكن من تحديد موقع قرية جبعة .

صلاح الدين بوسف بن ايوب كان قد سار برفقة عمه شيركوه في حملة الى مصر ، لمسـاعدة الخليفة الفاطمي العاضد ، لقمع ثورة قام بها احد وزرائه عـام ١١٦٨ واصبـح وزيرا للعاضد بعد وفاة عمه ، وفي عام ١٩٧١ م ، خلع صلاح الدين العاضد من الخلافة ، ونادى بشعار العباسيين والدولة الزنكية .

(٧٨) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٩ ، ص ١٠٥ .

س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ٩٢١ — ٦٢٧ .

س. عاشور ، **مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك** ، ص ١٩ — ٢٢ .

(٧٩) بنيامين القطيلي الاندلسي ، **رحلة بنيامين** ، (ترجمة عزرا حداد) ص ٩٢ بغداد : ١٩٤٥.

الدروز الذين يصفهم بنيامين هم من كانوا في شوف صيدا . والمقصود بملك أو امير ، ملك اورشليم الفرنجي وامراء صيدا .

(٨٠) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٩ ، ص ١٠٥ .

(٨١) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٨ .

(٨٢) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٩ ، ص ١٢٩ .
ابن العديم ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ، ص ١٢ .

(٨٣) ابن العديم ، **المصدر ذاته** ، ج ٣ ، ص ٢٠ وما بعدها .
ابن الاثير ، **المصدر ذاته** ، ج ٩ ، ص ١٣٠ وما بعدها .

(٨٤) ابن الاثير ، **المصدر ذاته** ، ج ٩ ، ص ١٥٦ . ابن العديم، **المصدر السابق**، ج ٣، ص٥٦.

(٨٥) الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ .

(٨٦) ابو شامة ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٧٦ وما بعدها .

(٨٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٨٨) هو احد أمراء السلطان صلاح الدين الكبار ، وعز الدين اسامة بن منقذ هذا ، هو غير مؤيد الدولة ابو المظفّر اسامة بن منقذ الكناني صاحب كتاب الاعتبار ، الذي توفى عام ٥٨٤ هـ. / ١١٨٨ م. اي قبل استعادة بيروت .

(٨٩) س. عاشور ، المرجع السابق ، ص ٥٧ .
Grousset R. **Histoire des croisades** , vol II , p. 834 - 835 .

(٩٠) ابن العديم ، **زبدة الحلب** ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .
ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٩ ، ص ٢٢١ .

(٩١) س. عاشور ، **المرجع السابق** ، ص ٦١ .

(٩٢) س. عاشور ، **المرجع السابق** ، ص ٦٩ .

(٩٣) ابو شامة ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ . صالح بن يحي، **المصدر السابق**، ص ٢٢.

(٩٤) Grousset R. **Histoire des croisades** vol II , p. 825 .

(٩٥) فؤاد افرام البستاني ، « ابلين » ، **دائرة المعارف** ، ص ٣٨٣ ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٨ .

(٩٥) س. رنسيمان ، **المرجع السابق**، ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٩٦) Grousset R. **Histoire des croisades**, vol III , p. 186 .

(٩٧) Grousset R. **Histoire des croisades** , vol III , p. 192 .

(٩٨) ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١١٠ .
س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ١٨٠ . يورد رنسيمان صلح العادل سيف الدين ابي بكر عام ١١٩٨ م. مع الفرنجة ، وفيه اقرار منه بتسليمهم بيروت وجبيل ، ويناصفهم على صيدا .

(٩٩) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٧ .

(١٠٠) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٩ ، ص ٢٣٨ .

(١٠١) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٧ .

(١٠٢) ابن الاثير ، **المصدر السابق** ، ج ٩ ، ص ٣١٨ — ٣٢٣ .

س. عاشور ، **المرجع السابق** ، ص ٧٢ — ٨٢ .

(١٠٣) س. عاشور ، **المرجع ذاته** ، ص ٨٢ .

(١٠٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٧ .

ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١١١ .

(١٠٥) صالح بن يحي . **المصدر السابق** ، ص ٥٠ . **لعل ثغرة الجوزات هي وطا الجوز في جرد كسروان .**

(١٠٦) Kamal Salibi , « The Buhturids of the Gârb Medieval lords of Beirut and of southern Lebanon » **Arabica** vol. 8 , (January 1961) .

(١٠٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٩ — ٥٠ .

المثال : يدل على معنى الامر العادي او القرار الذي يصدره السلطان ، لانهاء اي خبر بالاضافة الى دلالته على معنى الوثيقة الاقطاعية .

ا. طرخان ، المصدر السابق ، ص ٥٠٣ .

(١٠٨) لامنس « الحياة في بيروت على عهد الصليبيين » **المشرق** ، ص ٨٥٩ .

ف. ا. البستاني « ابلين » **دائرة المعارف** ، م ٢ ، ص ٢٨٤ .

(١٠٩) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٧ .

(١١٠) ف. حتي وغيره ، **تاريخ العرب (مطوّل)** ج ٢ ، ص ٧٣٣ .

ان الفرنجة في هذه الفترة كانوا قد وصلوا الى درجة من الضعف الشديد نجمت عن الفتنة التي وقعت في عكا بين البنادقة والجنويين سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٨ م بسبب المنافسة التجارية بين المدن الايطالية (جنوا ، بيزا والبندقية) التي أدت الى حروب اهلية هناك وانعكست على الفرنجة في بلاد الشام .

انظر : سوبرنهايم ، « بيبرس الاول » ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٣٦٥ .

(١١١) س. رنسيمان ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ وما بعدها .

(١١٢) محمد بن احمد بن جبير الاندلسي « **رحلة ابن جبير** » ، ص ٢٠٠ . بيروت : دار الكتاب اللبناني .

(١١٣) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٧ .

(١١٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٦ .

(١١٥) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٤٧ — ٤٨ .

(١١٦) المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ١ ق ٢ ص ٣٣٩ .

(١١٧) المقريزي ، **المصدر ذاته** ، ص ٣٦٨ .

(١١٨) المقريزي ، **المصدر ذاته** ، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ، جمال الدين ابو المحاسن ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، ج ٧ ، ص ١٠ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب بالقاهرة ، اصدرتها وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر .

(١١٩) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥١ .

(١٢٠) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٥٦ . راجع منشور أيبك للامير سعد الدين خضر ، في الملاحق .

(١٢١) صالح بن يحي . **المصدر ذاته** ، ص ٥٩ .

(١٢٢) المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١٠ ـ ٤١١ .

(١٢٣) المقريزي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١٦ ـ ٤١٩ .

س. عاشور ، **مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك** ، ص ٣٠٠ .

(١٢٤) المقريزي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٢٣ .

ويذكر المقريزي . ان المدة ما بين سقوط حلب بيد المغول ، وسقوط دمشق ، كانت ستة عشر يوما .

(١٢٥) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢ . راجع منشور هولاكو للامير جمال الدين حجى ، في الملاحق .

كتبغا : هو قائد مسيحي نسطوري في جيش هولاكو المغولي ، تسلّم الامور في دمشق بعد احتلالها ، وقتل في وقعة عين جالوت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .

(١٢٦) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(١٢٧) فؤاد قازان ، **لبنان في محيطه العربي** ، ص ٢٠٢ . بيروت : دار الفارابي ١٩٧٢ .

(١٢٨) ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١١٦ .

(١٢٩) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٦٠ .

(١٣٠) ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج ٧ ص ٨٢ .

(١٣١) المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٤٧ ـ ٤٥٦ .

(١٣٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥١ ، ٦٠ ـ ٦١ .

(١٣٣) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(١٣٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٤ .

العمروسية : منطقة من بلدة الشويفات حاليا .

(١٣٥) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٦٣ .

(١٣٦) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٦٤ .

(١٣٧) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

كفرعميه : قرية من قرى الغرب في وادي نهر الصفا .

(١٣٨) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٦٧ .

(١٣٩) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٦٧ – ٦٩ .

(١٤٠) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٦٨ .

كفراعوص : منطقة حرجية في خراج بلدة كفرمتى ، من الغرب – قضاء عاليه .

(١٤١) قاصدا الوشايات التي قام بها افراد من بني ابي الجيش .

(١٤٢) التجريده : جمعها تجاريد بمعنى الحملة العسكرية .

(١٤٣) احد الامراء المماليك في عهد الظاهر بيبرس .

(١٤٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٦٩ .

(١٤٥) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٧١ – ٨٥ – ٨٦ .

(١٤٦) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٢٣ .

الفصل الرّابع

التنّوخيّون

دورهم السّياسي في العهد المملوكي

١ - التنوخيون يستعيدون أملاكهم بعد انخراطهم في أجناد الحلقة .

٢ - الحملات المملوكية على كسروان وأثرها على الامارة التنوخية .

٣ - منطقة الغرب إمارة وراثية .

٤ - علاقة آل بحتر التنوخيين بالأسر الحاكمة في الأشواف .

٥ - علاقة آل بحتر التنوخيين بامراء تركمان كسروان .

التنوخيون يستعيدون أملاكهم بعد انخراطهم في أجناد الحلقة

عمل المماليك منذ قيام دولتهم في مصر وبلاد الشام ، على تطبيق تنظيم اداري متقن ، ورثوه عن الايوبيين ، بعد ان طوروه لصالح الطبقة العسكرية الحاكمة ، فجاء نظاما اقطاعيا حربيا (١) ، وقسَّموا بلاد الشام ، الى ست نيابات او ممالك ، على رأس كل منها نائب للسلطان المملوكي . وكانت نيابة دمشق ، التي عرفت بنيابة الشام ، او مملكة الشام ، اكبر النيابات الشامية، قد قُسِّمت بدورها الى اربع مناطق ادارية عرفت بالصفقات . ارتبط القسم الاوسط من «لبنان الحالي» بما فيه منطقة الامارة التنوخية في جبل الغرب، بالصفقة الشمالية من مملكة دمشق ، التي كانت قاعدتها بعلبك (٢) .

ومع كون الاقطاع في الاسلام على نوعين: اقطاع تمليك واقطاع استغلال، لم يعرف المماليك النوع الاول من الاقطاع ، بل كانت الاقطاعات استغلالا . اذ لم يكن للمقطع حق الرقبة ، وانما كان له حق الاستغلال ، او الارتفاق (٣) . كمالم يكن الاقطاع المملوكي وراثياً ، اذ ان مبدأ الوراثة في الاقطاع لم يكن موجودا الا في اقطاع التمليك (٤) . وانما اصبحت الوراثة تجوز فيما بعد لما اشتراه صاحبه من بيت المال (٥) . وبخصوص ابناء الامراء المتوفين ، فكان المتبع في غالب الاحيان ، ان يعطوا الجوامك (الرواتب) او يمنحهم السلطان امرة خمسة ، وذلك رعاية لأسلافهم وليس بموجب اي حق اقطاعي، فالاقطاع هبة من السلطان (٦) .

ان اختلاف مفهوم اقطاع المماليك عمن سبقهم من الدول التي حكمت بلاد الشام ، والتي جعلت من الاقطاع وراثيا ، وتأثر التنوخيين بالتنظيمات الاقطاعية الغربية ، التي انتقلت من اوروبا مع الفرنجة الى المشرق الاسلامي، وحيث كان التنوخيون طيلة العهد الايوبي يتصرفون بمناطق امارتهم دون

تدخل من السلاطين الايوبيين . هذان العاملان وعوامل اخرى كانت وراء الصراع الذي قام بين التنوخيين والدولة المملوكية ، وادى الى تجريد الامراء التنوخيين من اقطاعاتهم على يد السلطان قلاوون عام ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م ، بعد ان قويت شوكة المماليك ، واستقرت دعائم سلطتهم في بلاد الشام (٧) . ذلك ان المماليك رغم سجنهم للامراء التنوخيين الثلاثة اثناء سلطنة الظاهر بيبرس « لم يخرجوا عنهم اقطاع ولا ملك » (٨) بصورة رسمية . وتمّت مصادرة املاك التنوخيين بعد ان رفضوا تلبية طلب السلطان قلاوون ، عندما استدعاهم مع امراء الجبال الى مصر (٩) .

وكان المماليك قد انشأوا فرقاً من الجند عرفت بأجناد الحلقة ، وتشكّلت من الفرسان الاحرار من العناصر المحليّة في مختلف مناطق السلطنة للمساعدة في الحفاظ عليها . وكان هؤلاء الفرسان يأتمرون بأمر السلطان دون أن يكونوا ملكا له (١٠) .

غير ان آل بحتر التنوخيين قد تأخروا في الانضمام الى هذه الفرق في حين ان عشائر البقاع ، ومنهم بنو تعلب قد التحقوا بها منذ تكوينها . ويذكر صالح بن يحي ، انه كان لبني تعلب دور تحريضي لنواب السلطنة في الشام في مصادرة املاك آل بحتر التنوخيين (١١) . هذا وقد عمل الامير حسام الدين لاجين نائب الشام (٦٧٩ ـ ٦٩٣ هـ / ١٢٨٠ ـ ١٢٩١م) اثر وفاة قلاوون ، وسلطنة ولده الاشرف خليل (٦٨٩ ـ ٦٩٣هـ / ١٢٩٠ ـ ١٢٩٣م) على ربط الامراء التنوخيين بأجناد الحلقة ، حيث حفظ لنا صالح بن يحي ما تضمّنه كتاب لاجين الى الامير جمال الدين حجى ، اذ طلب منه : « ان يحضر الى دمشق بمفرده ، واولاده طيبين منشرحين الصدور ، ليجددوا الايمان على نفوسهم ، كما جددوها الامراء مقدّمي الحلقة . وان لا يتأخروا كي لا يسبقهم الى الطاعة الشريفة غيرهم »(١٢) . ولعل كتاب حسام الدين لاجين المذكور كان واحدا من مجموعة كتب مشابهة الى بقية امراء الغرب التنوخيين، الذين لم يكونوا قد اعترفوا حتى ذلك الوقت بالتنظيمات المملوكية الجديدة .

وعلى الارجح ان الامير جمال الدين حجى لم يلبِّ طلب لاجين ، لانه لم يجد من اللائق به ، وهو الامير الكبير المتقدم على بقية الامراء في الغرب ، والزعيم في عشيرته وقومه ان يذهب الى دمشق لاستجداء اقطاعات كان

يعتبرها ملكا شرعيا وراثيا وصلته عن اسلافه (١٣) . في حين ان أخاه الامير سعد الدين خضر وولده ناصر الدين الحسين ، والامير زين الدين صالح بـن علي ، واولاده واقرباءه من الفرع البحتري في عرامون ، قد يكونون لبوا طلب لاجين ، وذهبوا الى دمشق واعلنوا خضوعهم للسلطان الجديد . ولهذا نجد ان المماليك بعد انهائهم الوجود الفرنجي على السواحل عام ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م بدأوا في اعادة الاعتبار للبحتريين . واخذ السلطان الاشرف خليل يعيد اليهم اقطاعاتهم المصادرة ، كما أعاد الامراء الآخرين في الجبال الى مناصبهم (١٤) ، وما لم يستعيده آل بحتر التنوخيون في سلطنته من اقطاعات استعادوه في سلطنة اخيه الناصر محمد بـن قـلاوون الاولى (٦٩٣ ـ ٦٩٤هـ / ١٢٩٤ ـ ١٢٩٥ م) (١٥) . ومما لا بد من الاشارة اليـه هـو ان المماليك ربطوا اعادة الاقطاعات المصادرة للتنوخيين ، مقابل الدرك والمثاغرة (١٦) ، على ثغر بيروت، أي ان الدولة حمَّلتهم مهمـة حراسة الموانيء ، والثغـور والمنـاظر بساحل بيروت (١٧) . كما يمكن ان يكون المماليك قد عملوا على ضرب الامارة التنوخية بحرمان الامير الكبير حجى من الاقطاعات، وابراز الفرع البحتري في عرامون، لخلق صراعات داخل الامارة بين فرعي عرامون وعبيه . لكن هذه السياسة لم يكتب لها النجاح ، اذ افشلها التصرف الحكيم للاميرين حجى وزين الدين صالح ، فرضي الاول بالتنازل عـن الامـارة للثـاني ، وعاش عيشة قانعة زاهدة (١٨) . في حين تنازل الثاني وولده ناهض الدين بحتر عن قسم مـن اقطاعهما للامير حجى ، ليعتاش منه بقية حياته ، وكذلك فعل الامير سعد الدين خضر أخو حجى (١٩) . ويستدل مما ذكره صالح بن يحي من ان الامارة التنوخية في الغرب ، قد حافظت على وحدتها بزعامة الامير زين الدين صالح، واستمرت الزعامة بيد الفرع العراموني من آل بحتر الى ان استعادها الامير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين خضر من فرع عبيه بوفاة الامير كرامة بن بحتر بن صالح عام ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م .

الحملات المملوكية على كسروان وأثرها على الامارة التنوخية

ان اعادة الاعتبار للتنوخيين في الغرب ، وارجاع اقطاعاتهم اليهم ، قد يكون بسبب المشكلة التي تمثلت امام السلطنة المملوكية في اخضاع اهالي كسروان ، الذين رفضوا الولاء لها . وحاجة الدولة للتنوخيين في صراعها ضدهم ، وبصورة خاصة بعد اخفاق حملة الامير بدر الدين بيدرا نائب الشام عام (٦٩١هـ / ١٢٩٢م) على جبل كسروان (٢٠) .

حملة بيدرا تلك ، قد يكون سبقها حملة مملوكية على كسروان ، قام بها الامير سنقر المنصوري اثناء نيابة الامير حسام الدين لاجين على دمشق . لكن الحملة لم تحقق سوى اعتقال عدد من اهالي كسروان ، أجبر بيدرا على اطلاق سراحهم بعد فشل حملته (٢١) . وقد حفظ صالح بن يحي ، ما جاء في كتاب لاجين بتاريخ ٦٨٦هـ / ١٢٨٧ م الى الاميرين التنوخيين جمال الدين حجى وزين الدين صالح ، يطلب منهما فيه : « ان يتوجها بجموعهما واهويتهما برفقة العساكر المنصورة الى كسروان والجردين لاستئصال شأفتهم وسبي ذراريهم » (٢٢) .

وفي عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م ، تعرّضت بلاد الشام لهجوم قام به المغول بقيادة قازان بن أرغون ، وتمكنوا من ايقاع الهزيمة بالجيش المملوكي، ودخول دمشق ، (٢٣) . وعند فرار العسكر المملوكي من امام القوات المغولية ، تعرّض اهل كسروان وجزين لهم بالاذى ، « فأمسكوا بعض الهاربين وباعوهم من الفرنج ، كما نهبوا وقتلوا عددا كبيرا منهم » (٢٤) .

في الوقت الذي استغل فيه اهل كسروان ضعف السلطنة المملوكية ، امام العدو الخارجي المغولي . فان الامراء التنوخيين من آل بحتر في الغرب ، اظهروا تعاونا كبيرا مع السلطة ، فكانوا يستضيفون الهاربين من العسكر ويحسنون اليهم . و«عندما تمكن المماليك من رد المغول عن دمشق، واخراجهم

من بلاد الشام ، عمل المماليك على تقوية مركز التنوخيين في الغرب ، فخلع السلطان على الامير ناهض الدين بحتر بن صالح ، وجعل منه امير اربعين (طبلخناه) في الحلقة الشامية ، وذلك في عام ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م (٢٥) . قد يكون امراء الغرب التنوخيون شاركوا في حملة نائب الشام اقوش الافرم الاولى ، التي توجهت الى جبل كسروان في شوال ٦٩٩ / حزيران ١٣٠٠ بمساعدة نواب السلطنة في بلاد الشام ، حيث « اضطروهم (الضمير يعود للكسروانيين) لطلب الامان » (٢٦) .

بقي الكسروانيون على موقفهم من السلطنة المملوكية ، التي اتهمتهم بالتعاون مع الفرنج ، الذين هاجموا السواحل الشامية عام ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م، ونزلوا في الدامور ، حيث جرت بينهم وبين التنوخيين معركة قتل فيها عدد من الاجناد ، كما قتل الامير التنوخي فخر الدين عبد الحميد بن الامير حجى وأسر أخوه الامير شمس الدين عبدالله ، ثم اطلق الفرنج سراحه بعد معرفتهم له مقابل فدية ضخمة (٢٧) .

حاولت الدولة المملوكية اعادة اهل كسروان الى الطاعة بواسطة الوسائل السلمية ، فأرسل نائب الشام أقوش الافرم نقيب اشراف دمشق زين الدين محمد بن عدنان ، ثم الإمام تقي الدين بن تيمية كبير أئمة الشام عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م ، الى جبل كسروان لاقناعهم بذلك (٢٨) . وقد يكون صحيحا ما ذكرته بعض المصادر من ان سبب قدوم الشريف زين الدين بن عدنان كان ليأمر اهل كسروان والجبال ، بأن يصلحوا شؤونهم مع التنوخيين ، ويدخلوا في طاعتهم بوصفهم اصحاب الاراضي والاقطاعات (٢٩) .

سار امراء الغرب التنوخيون في ٢ محرم ٧٠٥هـ / ٢٥ تموز ١٣٠٥ ، بقواتهم وعلى رأسها الامير ناصر الدين الحسين بن خضر برفقة الحملة المملوكية ، التي كان قد دعا اليها تقي الدين بن تيمية ، واعدّها الافرم ، وقادها بنفسه ، للاقتصاص من الكسروانيين ، بعد فشل الوسائل السلمية معهم (٣٠) . وفي الموقعة الكبرى مع اهل كسروان وكانت في قرية نَيبَيه قُتِل اثنان من الامراء التنوخيين ، وهما نجم الدين محمد واخوه شهاب الدين احمد ، ولدي الامير حجى ، كما قتل من اهل الغرب ثلاثة وعشرون نفرا (٣١).

يستدل من خلال رسالة الامام ابن تيمية الى السلطان الناصر محمد

حول ما اسماه الإمام بـ «فتوح كسروان» ان اهله كانوا من الشيعة الاسماعيلية والنصيرية والقرمطية والامامية ومن الموحدين (الدروز) الذين يسميهم بالحاكمية (٣٢) ، كما نعتت بعض المصادر اهل كسروان بـ « الرافضة » (٣٣) ، وهو اصطلاح كان يطلقه اهل السنة على الشيعة (٣٤) .

ولكن الذي لا بد من التوقف عنده ، هو ما ذكره المقريزي وابن خلدون من ان الحملات المملوكية على الجرد وكسروان كانت موجهة ضد « الدرزية » (٣٥) . وقد اعتبر الدكتور الصليبي ان ما ذكره المقريزي حول درزية اهل كسروان خطأ وقع فيه . يعود الى قلة معرفة المؤرخين المصريين في ذلك الوقت بشؤون الشام الداخلية ، بالرغم من اعتقاده ان بعض الدروز كانوا يقيمون آنذاك في قرى الخارجة من كسروان (٣٦) .

لكن ما نعتقده ان السبب فيما أورده المقريزي وابن خلدون ، قد يكون نتيجة لوجود فعلي للموحدين (الدروز) في جبل كسروان مع الفرق الشيعية الاخرى ، وليس في منطقة الخارجة فقط . كما قد يكون سبب ذلك هو كون الدروز والشيعة في كسروان يتحدرون بأصولهم العصبية من عشائر عربية واحدة ، وبصورة خاصة التنوخية منها ، ولعل قسما منهم كان يحمل في ذلك الوقت اسماء فروع مشتركة لتلك العشائر . وما يحملنا على مثل هذا الاعتقاد هو ما ذكره الاشرفاني ، انه خلال الدعوة التوحيدية ، كان اهل القرية الواحدة في وادي التيم ، بل الاسرة الواحدة فيها ينقسمون فريقين احدهما يتقبل الدعوة ويلتزم بها ، في حين ان الفريق الاخر يبقى على مذهبه السابق . كما وانه اثناء حركة الرّدة كان من جملة المرتدين في وادي التيم ، المدعو ابو حصيه، الذي ذكر الاشرفاني انه كان أخا لاحد كبار الدعاة في الوادي المذكور، وارفعهم منزلة محمد بن ابراهيم المعروف بأبي المعالي (٣٧) . كما وان لدى عائلة عبدالله في خيام مرجعيون من جبل عاملة من الاستدلالات التاريخية ، ما يرجعهم الى بني عبدالله التنوخيين (٣٨) .

كما ان مصلحة المماليك كانت في تجنيد آل بحتر التنوخيين للقتال ضد الكسروانيين ، كانت مصلحة ال بحتر ، وخاصة فرع عبيه في المشاركة في ذلك القتال املا منهم في تثبيت دعائم امارتهم في الغرب ، واستعادة نفوذهم في

جبل كسروان . كما يكون انضمامهم الى المماليك ضد التتار طمعا في ذلك . اذ ان كسروان كان جزءا من منطقة النفوذ التنوخي، يدين امراؤه لامراء الغرب بالولاء والتبعية . كما ان تلك المشاركة ، كانت التزاما من آل بحتر التنوخيين وعلى رأسهم الامير الحسين بنهج التنوخيين السياسي ، الا وهو التشدد في مناهضة الاعداء الخارجيين للبلاد الاسلامية ، وضرب المتعاطفين والمتعاملين معهم . لذا فالمسألة فيما يتعلق بمشاركة البحتريين في الحملات المملوكية على كسروان ، ليست مسألة توسّع على حساب الشيعة ، كما يرى الدكتور محمد مخزوم (٣٩) ، او نتيجة للخلاف المذهبي بين الدروز والشيعة ، كما يرى الدكتور مكي (٤٠) . لكنها مسألة نهج سياسي تنوخي بالدرجة الاولى ، والا لما قاتل آل بحتر التنوخيون اقرباءهم في العصبية واخوة معتقدهم في جبل كسروان . هذا بالاضافة الى عامل المصلحة فياستعادة نفوذهم القديم فيالجبل المذكور ، لا سيما وان السلطنة كانت قد اعادت الاعتبار اليهم ، وردّت لهم اقطاعاتهم المصادرة في الغرب .

لكن السلطنة حالت دون تحقيق ما اراده آل بحتر ، اذ انها أقطعت جبل كسروان لبعض امراء المماليك ، في دمشق وبعلبك (٤١) . ثم جاءت اليه بعد ذلك بعشائر من التركمان عرف زعماؤهم بأولاد الاعمى (٤٢) .

أبرزت الحملات المملوكية على كسروان الامير ناصر الدين الحسين بن خضر (٦٦٨ — ٧٥١هـ / ١٢٦٩ — ١٣٥٠م) ، الذي قاد قوات الغرب ، مع انه اثناء ذلك كانت مرتبته في السلم الاقطاعي المملوكي ، دون الامرية، حسب الرتب الاقطاعية المملوكية . اذ ان منشور الحسين الاول من السلطان الاشرف خليل عام ٦٩١هـ / ١٢٩١م ، الذي حدّد له اقطاعه بالمشاركة مع ابن عمه الامير شهاب الدين احمد بن حجى لم يذكر له امرة (٤٣) . وذلك يدل على ان امرة الحسين كانت دون امرة خمسة . ومما لا بد من الاشارة اليه ان الامرة دون الامرية (امرة اربعة او ثلاثة) ، التي اقتصرت على الامراء التنوخيين ، وبعض أمراء العرب في العهد المملوكي ، لم تكن مما يستهان بها من حيث الاقطاع . كما يرى ابراهيم طرخان (٤٤) .

هذا وان الامراء لم يتقيدوا بالعدد المذكور في رتبهم ، والمسموح لهم به قانونا من الفرسان ، بل كانوا يزيدون عدد فرسانهم تبعا لمقدرتهم ، وللوظيفة

التي يشغلونها ، ومقدرة السلطان (٤٥) . وبوفاة الامير كرامة بـن بحتر وكان وكان امير عشرة ، اخذ الحسين امريته بموجب منشور من السلطان الناصر محمد تاريخه عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧ م ، ثم زيدت امرته ، وصار امير عشرين بعد الروك الشامي عام ٧١٤هـ / ١٣١٤ (٤٦) ، فأصبحت مرتبته الاقطاعية في الحلقة الشامية اعلى مرتبة بين امراء الغرب ، مع عدم وجود هذه المرتبة في السلم الاقطاعي المملوكي (٤٧) . مع العلم ان سلطة الامير الحسين الفعلية لم يستمدها من اللقب ، والاقطاع الممنوح له من السلطنة المملوكية بمقدار ما استمدها من زعامته في عشيرته وقومه (٤٨) .

منطقة الغرب امارة وراثية

تمكّن الامير ناصر الدين الحسين من المحافظة على ما تمتع بــه الامراء التنوخيون من آل بحتر من ثورات منطقة الغرب ، وابقى عليها بعيدة عــن الحكم المملوكي المباشر ، كغيرها من المناطق التي شكّلت فيها القبائل والعشائر العربية قوة عصبية ، وبصورة خاصة في مناطق الاطراف من السلطنة . هذا وقد انشأت السلطنة المملوكية امارة رسمية للعرب واعتبرت امراء القبائل في مصر وبلاد الشام مــن ارباب السيوف ، يقلدون الامرة مــن قبل السلطان ، ويرتبطون به مباشرة (٤٩) . هذا مع تميز التنوخيين عن بقية القبائل ، لقدم استقرارهم في مناطقهم ، وترسخ نزعة الكيانية لديهم .

كانت الخطوة التي قام بها الحسين الــى تحقيق ذلــك ، عندمــا بدأت الدولة في روك بلاد الشام ، وادخلت منطقة الغرب فيه (٥٠) . تخوّف الامراء وعلــى راسهــم الامير الحسين مــن تعويضهم عــن اقطاعاتهم في الاشواف ، باقطاعات في مناطق اخرى من السلطنة . وقد كان آل بحتر على علم بما جرى من هذا القبيل بعد الروك الحسامي لمصر ، عام ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م (٥١) .

أسرع الامير الحسين بالتوجه الى دمشق ، وقدم قصّة (ملتمسا) الى نائب السلطنة الامير سيف الدين تنكز (١٣١٢ — ١٣٤٠م) ، طالب فيها بابقاء آل بحتــر واقربائهم في منطقة الغرب علــى اقطاعاتهم الموروثة عــن آبــائهم واجدادهم ، وهي مساكنهم ، وبها رجا لهم وعشيرتهم . ويحفظ صالح بــن يحي ما ذكره الحسين في ملتمسه من: « انه واقاربه ملتزمين بحفظ ثغر بيروت ومجتهدين في خدمة السلطان ، وان اقطاعهم الذين يخدمون عليه هــو املاكهم الثابتة بالشرع الشريف . ومتى دخلت هذه الملكيات في الروك هلك المماليك

(الامـراء) ، ومـا ينتفعـوا بعدهـا لانهـا مساكنهـم ، وفيهـا رجـالهم وعشيرتهم » (٥٢) .

اقتنع تنكز بمطالب الامير التنوخي ، وكتب له مطالعة الـى السلطان الناصر محمد ، ذاكرا للسلطان فيها قدم املاك امراء الغرب . فما كان من السلطان الا ان استثنى المنطقة التنوخية من الروك ، و « ورسم ان تستمر الاقطاعات بأيدي الامراء على ان تزاد العِدّة (الفرسان الملزمين بالمثاغرة على الساحل) اثنين وستين فارسا ، وكتب المثالات للامراء بذلك » (٥٣) .

والسؤال الذي لا بد من اثارته هو لماذا قبل السلطان بمثل هذا التنازل، الذي يتضمن معنى الاعتراف المملوكي بامارة الغرب التنوخية امارة وراثية ؟ هل كان ذلك نتيجة لقناعته بعـد مطالعة نائب الشام علـى ملتمس الحسين المذكور ؟ أم لتأكده ان زعامة الحسين لم تكن بسبب امرة العشرة في الحلقة الشامية الممنوحة له من السلطنة ، وانما لما ناله من الرتبة العالية في قومه وعشيرته ، كوريث للامير سعد الدين خضر الكبير التي يُركّز عليها صالح بن يحي (٥٤) ، ولقناعته ان نقل الاقطاعي التنوخي كان يعني اقتلاع قومه جميعهم من أرضهم ، وهذا يسبب للدولة المملوكية الكثير من المتاعب ، وهو الارجح . ومن هنا جاءت موافقة السلطان على مطالب الحسين مؤثـرا بذلـك عـدم التصادم مع التنوخيين ، طالما انهم ارتضوا الطاعة والولاء له ، والتزموا القيام بالمهمات العسكرية المطلوبة منهم ، وان كانوا يقومون بها في كثير مـن الاحيان علـى كـره منهـم ، الا فيمـا يرونها مرتبطة بمصلحتهم ومصلحـة امارتهم ورعاياهم (٥٥) .

ان نجاح الامير الحسين في خطوته تلـك ، أدت الى اقامة نظام اقطاعي خاص بالتنوخيين في منطقة الغرب ، يقـوم علـى توريث الاقطاع لأولادهم . يتقدّم الامراء فيه امير اكبر يدين له الآخرون بالولاء ، ولهم وضعهم الخاص فيما يتعلق بتنظيم شؤونهم الداخلية ، يمارسون زعامتهم ليس على جبـل الغرب فقط بل على الاشواف ، ويتزعمون عددا من الاسر المحلية السائدة فيها (٥٦) ، ثم في جبل كسروان فيما بعد .

ان نزعة الامراء التنوخيين نحـو الوراثـة الاقطـاعية فـي منـاطقهم (الاشواف) ، التي انتموا اليها هم وعشائرهم وقومهم ، وتفاعلوا معها منذ

القدم بقدر كبير من الحرية والاستقلالية بمفهومهما في تلك الفترة ، واعتبروها حسب مصطلح شاع في ذلك الوقت بـ « البلاد » . هذه المناطق ، التي كان الفضل لأجدادهم في اعمار واستصلاح الارض الموات التي اقطعت لهم عند قدومهم ، والتي جبلت بدمائهم دفاعا وذودا عنها ، ضد الاعداء الخارجيين ، من روم بيزنطيين ثم فرنجة وغيرهم . لذا فالامتياز الذي حصل عليه الامير ناصر الدين الحسين يمكن ان يعتبر النواة الاولى لامارة اقطاعية مركزية ، او ما يمكن ان يوصف بكيانية مميزة .

كانت بيروت الثغر الرئيسي لامارة الغرب التنوخية . وقد كثرت على بيروت وعلى الثغور الساحلية الاخرى غارات ملوك قبرس والقراصنة الجنويين وغيرهم (٥٧) ، بقصد السرقة والنهب واشاعة الفوضى . فاهتم الامير الحسين والامراء الاخرون في المحافظة على امن الساحل ليس نتيجة الزام السلطة لهم بذلك بل انطلاقا من حرصهم على مصلحتهم في تأمين تسهيل الحركة التجارية التي استفاد منها التنوخيون في اواخر ايام الوجود الفرنجي، واستفاد منها الامير الحسين نفسه وآخرون في مطلع القرن الرابع عشر للميلاد . ويمدح احد الشعراء الحسين والامراء الاخرين لمحافظتهم على بيروت قائلا :

أيَا بنَ أميرِ الغربِ شَرقاً ومَغرباً
ومن كُلِّ عُرفٍ غَيرَ عُرفِهِم نُكرِ
باحسانكَ المشهورِ بيروت بلدة على
الساحلِ المَعمُورِ صارَ لها ذِكرُ
تَبَسَّم عُجباً ثَغرُها وتَرَنَحت
مَعاطِفُها تِيهاً وجَلَّلها البُشرُ
وكانَ عَليها الكُفرُ والشُركُ دايماً
فَمُذ حلَّها مولاي عَادَ لها الفَخرُ

وعاوَدَها أُنس بِقُربِ ركابِكم
ولَولاكُم ما افْتَرّ يوماً لها ثَغرُ
بكمْ قرّ عيناً للغريب وإنَّما
حُسينُ بنُ خَضرٍ ظِلُّهُ فوقَه سِترُ
هو الناصر المعرُوفُ بالجُودِ والتُقَى
لَه الفضلُ والإحسانُ والعَطفُ والبِرُّ (٥٨)

وقد اتخذت السلطنة تدابير لحماية بيروت والساحل ، ومنها تجريد اجناد الحلقة من بعلبك ابدالا اليها . وربطت السلطنة بيروت بدمشق ، بواسطة بريد منتظم ، بالاضافة الى حمام البطاقة ، وايقاد النار التي تصل منها الى دمشق في ليلة واحدة، ويقول صالح بن يحي في تاريخه «. . . وحمام بطاقة مدرَّج الى دمشق وخيل بريد ، وجعلوا اربع بُرُد ، الحصين بريد ، ومنه الى قرية زبدل بريد ، ومنها الى خان ميسلون بريد ، ومنه الى دمشق بريد . وقرروا نارا تصل الى دمشق في ليلة جعلوا من ظاهر بيروت يشعلونها فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة ، ومنه الى جبل بوارش ، ومنه الى جبل يبوس ، ومنه الى جبل الصالحية ، ومنه الى قلعة دمشق . والنار للحوادث في الليل وحمام البطاقة للحوادث في النهار، والبريد للأخبار » (٥٩). على الرغم من هذه التدابير فان امراء الفرب كثيرا ما ردوا بامكاناتهم الذاتية الغارات المتكررة على بيروت والساحل ، قبل وصول النجدات المملوكية للمشاركة (٦٠) . واصبحت بيروت قاعدة آل بحتر الثانية بعد بلدة عبيه ، مع عدم ميلهم الى السكن فيها ، ولعل ذلك يعود الى تعودهم على الحياة الجبلية لفترة طويلة من الزمن ، بالاضافة الى ذهنية بعض اهالي بيروت التجارية . اذ قال الامير ناصر الدين الحسين عندما راى ما انكره على اهل بيروت :

متى أرى بيروت لا عمرت تُحرثُ يوماً بالمحاريث
فما بها خير يراهُ الفتى إلا أفاعي أو براغيث

أو حاسد نذلٌ قليل الحيا   للشرِّ مخلوقٍ ومبعوث

فشيخهم أفسقُ من ظلمه   وأولادهم جمعاً مخانيث

فيعملُ الله لهم ما أتى   لقوم لوطٍ وهو محثوث

لكن ذلك لم يمنع الامراء آل بحتر التنوخيين من تشييد المباني الضخمة والفخمة لاقامتهم في بيروت . ومنذ ذلك الوقت استعادت المنطقة الجبلية (الاشواف) ، كمركز للعصبية ، ومصدر للقوة العسكرية المدافعة عن أمن السواحل وحمايتها ، الزعامة السياسية على بيروت والساحل .

لمّا جاوز الامير الحسين الثمانين من عمره بعد ان استمر بتولي الامارة قرابة نصف قرن ، تنازل عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م ، عن اقطاعه لولده الامير زين الدين صالح ، الذي اصبح الامير الكبير على امارة الغرب التنوخية (٦١) ، الى ان توفى عام ٧٧٩هـ / ١٣٧٧ م . وتنازل الامير صالح عن اقطاعه لولديه شهاب الدين احمد وسيف الدين يحي (٦٢) . وقد يقال ان الدولة المملوكية قد انشأت ديوانا عرف بديوان البدل ، لتتم عبره البيوع والنزولات عن الاقطاع، عام ٧٤٦هـ / ١٣٤٥ (٦٣) . لكن هناك امثلة عن نزولات عن الاقطاع في امارة الغرب قبل الاعتراف المملوكي القانوني بذلك ، ومن امثلة ذلك تنازل الامير الحسين عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧ م ، عن اقطاعه القديم للامير علم الدين سليمان بن غلاب بن معن الرمطوني ، بعد ان حاز على امرة العشرة التي وصلته من الامير كرامة بن بحتر العراموني (٦٤) .

وبامكاننا التعرف على الامراء التنوخيين الذين توارثوا امارة الغرب ، وعرف الواحد منهم بـ « الكبير » و « بأمير الامراء » . فبعد الامير سيف الدين يحي بن صالح المتوفى عام ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م ، خلفه في منصب الامارة ولده الامير فخر الدين عثمان المتوفى ٧٩٦ هـ / ١٣٩٤ م (٦٥) . فانتقلت الامارة الى ابن عمه شرف الدين عيسى بن احمد المتوفى عام ٨٢٦هـ / ١٤٢٤م(٦٦) ، فورثه فيها ولده الامير عز الدين صدقه بن عيسى المتوفى ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م (٦٧) . ثم اخوه زين الدين عمر المتوفى عام ٨٦٠ هـ / ١٤٥٦ م (٦٨) . ثم انتقلت الامارة بعد وفاته الى الامير بدر الدين حسين بن عز الدين بن صدقة المتوفى عام ٨٦٣هـ / ١٤٥٩م (٦٩) ، فالى اخيه سيف الدين زنكي المتوفى عام ٨٦٤هـ /

١٤٦٠م (٧٠) . ومن الامراء المشهورين في اواخر القرن الخامس عشر الامير سيف الدين ابي بكر بن زنكي ، الذي جعل منه تلامذة الامير جمال الدين عبدالله التنوخي بعد وفاته مشيرا لهم (٧١) . فجمع الى جانب منصب الامارة، الرئاسة الدينية للموحدين (الدروز) . ومن الامراء المتأخرين ، الذين عاصروا نهاية الدولة المملوكية ، الامير جمال الدين حجى بن موسى والامير شرف الدين يحي بن سيف الدين أبي بكر ، واستمرا يتوليان امارة الغرب في مطلع العهد العثماني (٧٢) . هذا بالنسبة للامراء الكبار ، اما الامراء الاخرون فقد توارثوا اقطاعات آبائهم ، الذين وصلتهم مناشير بها مع منشور الامير ناصر الدين الحسين (٧٣) . كما حصل بعض الامراء التنوخيين على اقطاعات جديدة ، ومنها ما كانت خارج منطقة الاشواف ، ومنهم الامير حسام الدين علي بن عبد الحميد ، الذي نال مباشرات بالبقاع وصفد بالاضافة الى اقطاعه في جبل الغرب (٧٤) . وقد تبادل الامراء اقطاعاتهم عن طريق البيوع والنزولات ، كما اشترى بعضهم اقطاعات من بيت المال ، في حين ان بعضا منهم لم يحوزوا على اقطاعات وكانوا اما يشكلون فرسان الامراء الكبار ، او يعملون في صناعات وحرف ، كما اهتموا بالعلوم وعلى رأسها علوم الدين وسنشير الى ذلك عند تطرقنا للحياة الاقتصادية والفكرية عند التنوخيين . ولم يكن امراء الغرب من فرع بحتر في عبيه فقط ، بل شاركهم في ادارة الاقطاعات الفرع البحتري في عرامون ، وبنو ابي الجيش وهم آل ارسلان ، الذين اعتبرناهم فرعا بحتريا من سلالة احد اولاد شرف الدين علي بن بحتر . كما شاركهم من اسماهم صالح بن يحي بالرمطونيين نسبة الى « رمطون » وهم اولاد الامير علم الدين سليمان بن غلاب بن معن ، الذي حاز على الامرية بنزول الامير الحسين له عن امريته القديمة .

علاقة آل بحتر التنوخيين بالاسر الحاكمة في الاشواف

ان المصادر المتوفرة لدينا لم تخبرنا عن علاقة آل بحتر التنوخيين بجيرانهم ، او حتى عن حدود امارتهم على وجه الدقة او الحصر ، خاصة فيما يتعلق بجبل الشوف او ما عرف بـ « شوف صيدا » . لكن من بعض الاشارات القليلة ، التي وردت في تاريخي صالح بن يحي وابن سباط ، اللذين خصصا لذكر اخبار البحتريين في الغرب ، نتمكن وبصعوبة من القاء بعض الضوء على تلك الاسر ، التي حكمت جبل الشوف ، والتي كانت تدين للامراء آل بحتر بالولاء والتبعية . هذه الاسر التي لاقت ما لاقته الاسرة البحترية في جبل الغرب من مصادرة املاكهم ، ثم اعادة الاعتبار والاقطاع اليهم ، كما حدث لآل بحتر في الغرب في مطلع العهد المملوكي .

من هذه الاسر ، التي كانت تحكم جبل الشوف بنو معضاد ، اذ اورد صالح بن يحي ذكرهم عندما اشار الى الشيخ العلم ، وهو علم الدين بن سابق بن حسان بن طارق بن هرماس من اصول بني عبدالله التنوخيين، الذين تحدَّر منهم آل بحتر ويقول صالح صالح بن يحي عنه : « انه رُزِق دين ودنيا واسعة وحرمة وافرة وكان مشكورا عند اهل زمانه » (٧٥) . وقد ترك الشيخ العلم بلدته طردلا ، وسكن في كفرفاقود ، في « كنف قريبه ولزمه مقدم الاشواف الامير فارس الدين معضاد بن عز الدين فضايل بن معضاد » (٧٦) . كما ويرد ذكر عز الدين فضايل بن علي بن عز الدين فضايل المتوفى عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦م، على انه كان مقدَّما على بلاد الجرد من جبل الغرب، وعند وفاته خلفه ولده سيف الدين فرج في الرياسة ، واستمر في حكم الجرد حتى وفاته عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م (٧٧) .

بنو معضاد الذين يذكر صالح بن يحي ، ان كفرفاقود وعين دارا كانتا

مركزي حكمهما ، يذكر ان موطنهما الاصلي هو قرية شمليخ ، وفيها كانت مدافنهم ، واليها حُمِل جثمان الامير سيف الدين فرج عند وفاته في دمشق (٧٨) . وكانت بين أسرة معضاد والاسرة البحترية علاقات زواج تؤكد انتماءهم التنوخي ، ولعلهم ينتسبون الى الفخذ التنوخي الذي سكن في فلجيْن وقام بدور رئيسي في مطلع القرن الخامس للهجرة ، وكان على رأسه الامير ابو الفوارس معضاد .

ويورد صالح بن يحي ذكر بني شويزان وكانوا يقومون بمهمات حراسة ميناء الدامور ، ومعهم بنو العدس في مطلع القرن الرابع عشر للميلاد (٧٩) ، ولعل بني شويزاني كان لهم اقطاعاتهم في جبل الشوف ، والزموا من قبل السلطنة بأعمال الحراسة على ثغر الدامور مقابل تلك الاقطاعات .

اما بنو معن فلم يرد ذكرهم كأمراء على جبل الشوف الا في اواخر عصر دولة المماليك الجراكسة حيث يذكر ابن سباط : « ان فخر الدين عثمان ابن معن امير الاشواف من اعمال صيدا قد توفي في ربيع الاخر ٩١٢ / تموز ١٥٠٦ » (٨٠) . كما يذكر وفاة امير آخر هو يونس ابن معن ، ويذكر ان « يوم دفنه كان عظيما لانه في توفي شابا، عام ٩١٧هـ / ١٥١١م» (٨١) . ولعل الامير يونس المذكور هو ابن فخر الدين عثمان المتوفى عام ١٥٠٦م . وفخر الدين عثمان ورد اسمه على نقش في اسفل مئذنة جامع دير القمر الذي شيَّده الامير المذكور عام ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣ م (٨٢) . في حين ان رواية لحيدر احمد الشهابي تتحدث عن قدوم الامير معن بعشيرته من العرب الايوبية من الجبل الاسود في الديار الحلبية ، الى جبل الشوف عام ١١٢٠م ، وقد وجهه اليه طفتكين اتابك حاكم دمشق ، بعد ان مكث الامير معن فترة في سهل البقاع . وتضيف الرواية ان الامير المذكور عند قدومه الى جبل الشوف ، « جعل له مودة مع الامير بحتر التنوخي » ، كما يذكر الشهابي في روايته نفسها ان الشوف كان آنذاك « خالياً » (٨٣) .

رواية الشهابي نفسها يوردها الشدياق ، مضيفا اليها سلسلة بأعيان بني معن (٨٤) . لكن رواية قدوم الامير معن بعشيرته هذه تجد من يشكك بصحتها لانها تتناقض مع ما امدتنا بـه المصادر المعاصرة عن وجود امارة بني جندل في جبل الشوف في نفس الوقت ، التي جعلت الرواية تاريخا لقدوم معن وعشيرته ، وبدء امارته في جبل الشوف (٨٥) . كما ان عدم ورود ذكر بني

معن في جبل الشوف في تاريخ صالح بن يحي، وذكره لامارة بني معضاد في مطلع العهد المملوكي، حمل بولياك على القول : « ان هذه الرواية ليست سوى خرافة لا صحة لها » (٨٦) .

لقد أورد صالح بن يحي ذكر اولاد معن في مواضع كثيرة من تاريخه ، كفرع تنوخيي يعود نسبهم الى علم الدين معن بن معتب بن ابو المكارم بن عبدالله بن عبد الوهاب بن هرماس بن طريف ، وهرماس هو ابو طارق ، الذي ينتسب اليه الطوارقة وهم فخذ من بني عبدالله ، كما ان هرماس هو مجمع الخلف التنوخي في طردلا وعين كسور (٨٧) . لكن اولاد معن المذكور لم يكونوا امراء على جبل الشوف ، وانما كانوا يسكنون في بلدة عبيه ، ثم رحل عنها سيف الدين غلاب بن معن واخوه عبد المحسن الى رمطون بعد ان ناصبهما العداء ، وتسلط عليهما الامير نجم الدين محمد بن حجى بن محمد اثناء فترة اعتقال والده وعمه والامير زين الدين صالح في مصر ، في حدود (١٢٧٠ ــ ١٢٧٧م) . في حين ان اخاهما كرامة بن معن بقي في عبيه ولم يبارحها الى رمطون مع اخويه « فراوس وحلف ما يرحل عن وطنه » (٨٨) . وافادنا صالح بن يحي ببعض اخبار الامير علم الدين سليمان بن سيف الدين غلاب . كما افادنا عن بعض ابنائه واحفاده ، الذين اسماهم بالرمطونيين وعلى انهم حازوا على الاقطاعات ، معتبرا اياهم جزءا من البيت التنوخي معددا الزيجات ، التي كانت تتم بين آل بحتر في عبيه وبينهم (٨٩) . واشهر اولاد علم الدين سليمان المذكور الامير عز الدين جواد ، الذي ترك ابن حجر العسقلاني ترجمة مقتضبة له في طبقاته المعروف بـ « الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة » (٩٠) ، وما ذكره صالح بن يحي عن الرمطونيين ، ينقله ابن سباط في تاريخه دون اشارة الى من عاصروه منهم (٩١) . ولربما كان ذلك اما تجاهلا منه لهم لأسباب سياسية، واما انه لم يكن يعرف عنهم شيئا بسبب مغادرتهم رمطون الى عين دارة ، نتيجة عدم صلاحية رمطون للسكن لكثرة الاوبئة التي تفشَّت فيها . اذ يذكر صالح بن يحي ، ان اولاد عز الدين حسن بن ظهير الدين علي الرمطوني ماتوا جميعهم بالطاعون باستثناء واحد هو محمد عام ٧٩٦هـ / ١٣٩٤م (٩٢) . ويورد امين آل ناصر الدين في مخطوطه رواية متواترة تقول : « ان المنافع كثرت في رمطون حيث فسد هواؤها فاضطر التنوخيون الى براحها على غير رغبة منهم، واتخذوا عين دارا مستقرا لهم ، وكان ذلك في اوائل المئة التاسعة للهجرة على الارجح » (٩٣) .

ومع ما انبأنا صالح بن يحي به عن الامير علم الدين سليمان بن غلاب ، وعن علاقته الحميمة مع معاصره الامير ناصر الدين الحسين الكبير وارتباطه به ، وتقديم الحسين له على بقية الامراء التنوخيون باستثناء الامير شجاع الدين عبد الرحمن بن حجى (٩٤) . يعتبر الشدياق الامير سليمان جدا لعائلة علم الدين ، التي كان لها دور سياسي في العهد العثماني ، ويجعله خطأ يتبرأ من آل تنوخ عام ١٣٠١ م (٩٥) . لكن صالحا او ابن سباط لم يفيدانا بشيء عن عبد المحسن بن معن وذريته ، او نور الدين مجلي اخي علم الدين سليمان ، في حين يورد صالح بن يحي اسماء من اعتبرهم اولاد معن كفرع آخر غير الرمطونيين وموطنهم عبيه ، لكنه لم يذكر انهم حازوا على اقطاعات ، وما يذكره عنهم يدل على قرابة شديدة كانت تربطهم بالأسرة البحترية . اذ يذكر مثلا : « ان الامير ناصر الدين الحسين ساعد احد اولاد معن في عمارة عليّه فوق بيته ، ليسد فضا علية حسام الدين كما سد حسام الدين فضا عليته » (٩٦) . وحسام الدين المذكور هو حسام الدين عبد القادر بن احمد بن حجى ، أحد ابناء عم الامير الحسين . هذا ويورد صالح بن يحي ، ذكر ناصر الدين ابي الفتح ابن معن ، الذي كان أحد فرسان الحملة التي ذهبت من امارة الغرب للمشاركة في حصار الكرك عام ٧٤٣هـ / ١٢٤٢م (٩٧) . كما ويورد ذكر عدد من اولاد معن وهم ناصر الدين ابن معن ، واخوه الحاج احمد ، والحاج حسن ولد ناصر الدين ، الذين كانوا قد رافقوا الامير سيف الدين يحي (والد المؤرخ) في سفره الى مكة عندما حجّ الى بيت الله الحرام (٩٨) . هذا ولا يزال يوجد في بلدة عبيه نبع ماء يعرف بـ « عين معن » . وعلى الارجح ان ما قصده صالح بن يحي بأولاد معن هم ذرية كرامة بن علم الدين معن التنوخي ، الذي لم يغادر عبيه الى رمطون مع أخويه . ولعل هذه النسبة الى علم الدين معن كجد متأخر لهم لم تكن تقتصر في ذلك الوقت على ذرية كرامة فقط ، بل كانت تشمل ذرية أخويه الذين اسماهم صالح بالرمطونيين . ذلك ان صالحا بن يحي ينسب ذرية الامير نجم الدين محمد بن حجى التنوخي ، الذي غادر عبيه واتخذ من عيناب مقرا له ، الى عيناب . ويدعوهم بالعينابيين او « الامراء بعيناب » ، دون ان ينفي هو او ابن سباط نسبهم البحتري (٩٩) .

هذا ويتبادر الى الذهن سؤال ، هل اذا ما كان آل معن امراء الشوف اما من ذرية كرامة بن علم الدين معن، واما من ذرية اخويه الرمطونيين ، الذين

غادروا قريتهم رمطون الى عين داره . ومما يلح في طرح هكذا سؤال هو استمرار علاقات الزواج بين آل بحتر في عبيه ، وآل معن في الشوف . ذلك ان الامير قرقماش ابن معن امير الشوف المتوفى ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م والد فخر الدين (الكبير) ويونس كان زوجا لاخت الامير سيف الدين يحي التنوخي ، ويعتبر الشيخ احمد الخالدي الصفدي الامراء البحتريين اقرباء للامير فخر الدين المعني (١٠٠) .

اما في جبل المتن فلا تشير المصادر المتوفرة سوى الى زواج الامير سعد الدين خضر الكبير من كفرسلوان ، ولكن صالحا بن يحي لا يذكر اسم الامير الكفرسلواني الذي لعله من عشيرة الخضر (١٠١) . كما قد يكون بنو ابي اللمع الذين ينتسبون الى عشيرة بني فوارس التنوخيين (١٠٢) ، اكتسبوا لقب مقدمين في العهد المملوكي، لتقدمهم أجناد الحلقة في وقت الحرب، ثم اكتسبوا لقب امراء بعد خوضهم معركة عين دارة بجانب الامير حيدر الشهابي عام ١٧١١م (١٠٣) ، ومن المحتمل ان يكون آل الصوّاف الذين كانوا مقدّمين على جبل المتن ، وكان احدهم علم الدين الصوّاف من تلامذة السيّد الامير جمال الدين عبدالله التنوخي (١٠٤) ، فرعا من التنوخيين .

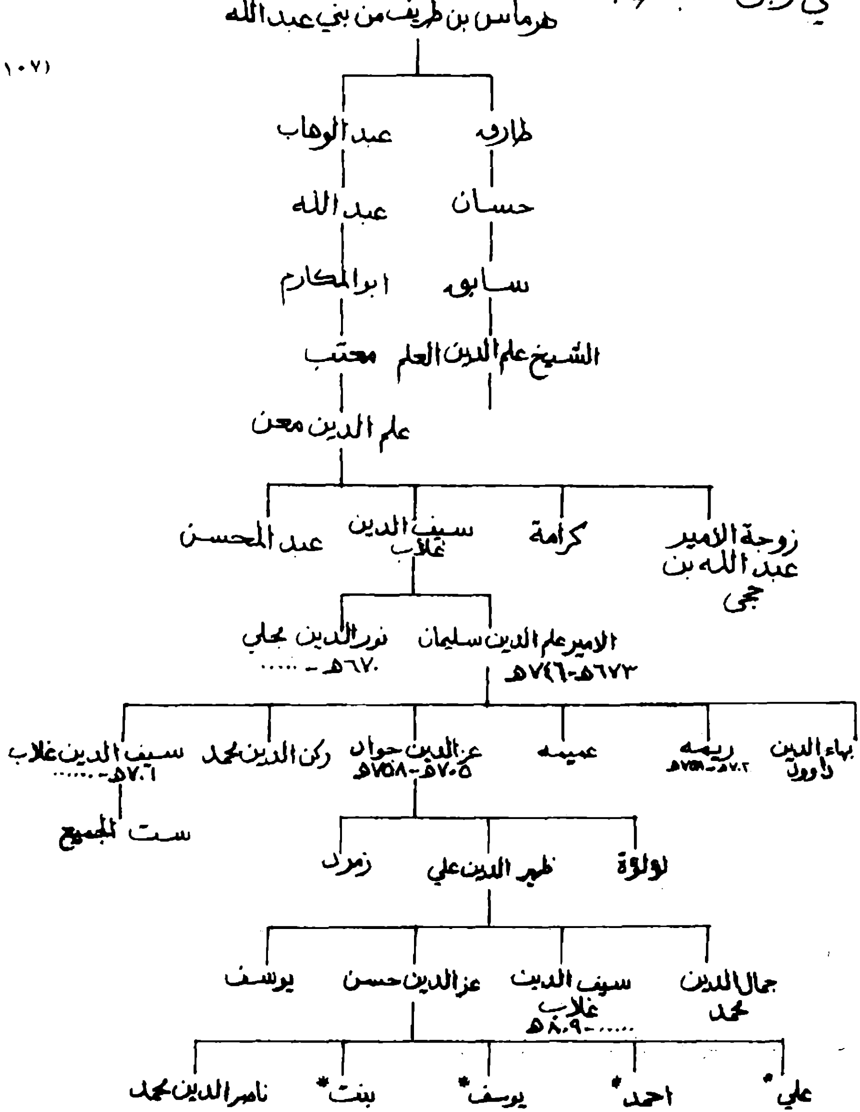
ولما كنا قد ذكرنا ان آل بحتر التنوخيين كانوا قد تزعموا الاسر التي حكمت الاشواف ، ومنها من تعرفنا بهم آنفا فلا بد من الاشارة الى بعض الأمثلة ، التي يوردها صالح بن يحي تأكيدا على هذه الزعامة . منها :

١) ان مقدّم جبل الشوف فارس الدين معضاد الذي كان يحسن النجارة قد آل على نفسه مساعدة الامير ناصر الدين الحسين في عمائره بأيام كثيرة . وكان « يحضر من كفرفاقود مقر اقطاعه الى عبيه لهذا الفرض» (١٠٥) .

٢) ان الامير شهاب الدين احمد بن زين الدين صالح المتوفى ٧٨٣هـ / ١٣٨١ م ، الذي طلب منه نائب الشام ان يكشف على ما في عين زحلتا ، وهي قرية من قرى الشوف ، « من خشب القوق (البرقوق) النافع لعمل النشاب » . فأجاب الامير المذكور نائب الشام بعدم صلاحية الاخشاب الموجودة في عين زحلتا . ويعلّق صالح بن يحي على هذا بقوله : « انه ربما كان لشهاب الدين تطلّعا الى التوفره على البلاد » (١٠٦) .

٣) ان تعبير « البلاد » عندما يرد في تاريخي صالح وابن سباط والمصادر المحلية الاخرى، التي وصلتنا لم يكن يقصد به جبل الغرب فحسب، بل كامل الاشواف وكسروان .

سلسلة نسب الرمطونيين والشيخ العلم عن تاريخي صالح بن تحي وابن سباط :



* ماتوا بالطاعون عام ٧٩٦هـ .

علاقة آل بحتر التنوخيين بامراء تركمان كسروان

كنا قد اشرنا الى ان السلطنة المملوكية ، قد اقطعت جبل كسروان بعد حملة عام ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م لعشائر من التركمان ، عرف زعماؤهم بـ «أولاد الأعمى» . كان لتسليم السلطنة كسروان للتركمان اثره العميق في نفوس امراء الغرب التنوخيين ، الذين شاركوا في الحملات المملوكية طامحين في استعادة نفوذهم القديم فيه . فبدأ صراع طويل بين آل بحتر التنوخيين ، وامراء كسروان عسكري حينا ، وسياسي احيانا ، زاد من حدة ذلك الصراع اشتراك التركمان مع التنوخيين في حراسة السواحل ، ذلك ان السلطنة ناطت بالتركمان مسؤولية حراسة الشاطىء الممتد من انطلياس شمالي بيروت حتى حدود نيابة طرابلس ، وكان امراء التركمان ، « يمنعون من يستنكرونه من التعدي في دربند نهر الكلب الا بورقة طريق من المتولي ببيروت (والي بيروت) او من امراء الغرب » (١٠٨) . ولعل التركمان قد حظيوا بدعم كبير من دولة المماليك طيلة حكم المماليك الاتراك والمعروفين بالبحرية في وجه آل بحتر التنوخيين .

واثناء امارة زين الدين صالح بن الحسين ، تعرّضت الاسكندرية عام ٧٦٧هـ / ١٣٦٣م لحملة قام بها بطرس الاول لوز جنان ملك قبرس ، فاستباح جنوده المدينة ، واعملوا السيف بأهلها ونهبوا اموالها وحلاها (١٠٩) . نتيجة تلك الحملة تخوّفت السلطنة من غارات قبرسية مماثلة على السواحل الشامية . واجبرت السلطنة آل بحتر على البقاء في بيروت، والزمتهم بالسكن فيها من ضمن التدابير الاحترازية لحماية الساحل ، وكان البحتريون قبل ذلك يتجردون الى بيروت ابدالا شهرية. وشرع بيدمر الخوارزمي نائب الشام في بناء السفن الحربية في بيروت للرد على الغارة القبرسية . يمكن ان يكون آل

بحتر قد تلكأوا في القيام بالمهمات العسكرية المفروضة عليهم في تلك الظروف الاستثنائية ، وقد يكون هذا التلكؤ سببه الى جانب امتعاضهم من كل الالزامات المفروضة عليهم من قبل السلطنة ، وبصورة خاصة عندما تكون هذه المهمات لا تعود بالمصلحة عليهم وعلى امارتهم . وهناك اسباب اخرى منها عدم ميل التنوخيين للسكن في بيروت ، اذ يقول صالح بن يحي عن هذه التدابير : « ازداد تعب امراء الغرب وكثرت كلفتهم على العساكر وكابدوا الامور بمشقة زايدة » (١١٠) .

استغل تركمان كسروان الفرصة ، وكان الصراع بينهم وبين امراء الغرب على أشده . وتقدموا بعرض على بيدمر الخوارزمي يقضي بتقديمهم الف رجل معدّة تساعده على غزو جزيرة قبرس مقابل مصادرة اقطاعات البحتريين وتحويلها اليهم (١١١) . قبل بيدمر بالعرض ، وصادر اقطاعات آل بحتر التنوخيين ، وساعد أمراء التركمان لدى الامير المملوكي الكبير يلبغا الخاصكي المتكلّم عن السلطان الصغير الاشرف شعبان (١٣٦٣ – ١٣٧٦ م) . فصدرت المثالات لتركمان كسروان في الاقطاعات التي كانت لآل بحتر التنوخيين أساسا .

قبل ان يتسلم امراء التركمان اقطاعات آل بحتر المصادرة ، عمل الامير زين الدين صالح بن الحسين على الاحتفاظ بالاقطاعات عبر الطرق الشرعية، معتمدا على ما لديه من علاقات جيدة مع من كان لهم القدرة في التأثير على الامير يلبغا الخاصكي . فأرسل الامير صالح ولده سيف الدين يحي ، وابن عمه الامير سعد الدين خضر بن عز الدين الحسن الى مصر ، حيث « اجتمعا بالقاضي علاء الدين بن فضل الله العمري ، كاتب السر فيها » (١١٢) ، الذي ساعدهما في مقابلة الامير يلبغا حيث طلب الاميران من يلبغا بالإبقاء على اقطاعات امراء الغرب التنوخيين بأيديهم . وقد حفظ صالح بن يحي ما قاله العمري للأمير يلبغا : « هؤلاء من غرس الملوك الاوائل ، ان كان فيهم نفع فقد استحقوا اقطاعاتهم ، وان لم يكن فيهم نفع فحاشا الله ان يكون معروفا أسدوه الملوك الاوائل ينقطع في ايام الامير الكبير » (١١٣) .

نجح الاميران التنوخيان في مهمتهما ، وقبل الامير يلبغا وساطة كاتب السر ، وامر بتمزيق مثالات التركمان ، وابقى امراء الغرب على اقطاعاتهم (١١٤) .

وبقطع النظر عن الوعد ، الذي قطعه امراء التركمان على انفسهم بتقديم الف فارس للمشاركة في غزو قبرس ، كانت عليهم التزامات مالية مقابل اقطاعاتهم في كسروان فيما يخص بناء السفن الحربية ، التي شرع بيدمر في بنائها ببيروت . الا ان بعضهم عجز عن الايفاء بما يترتب عليهم من التزامات . وعندما طالبهم بيدمر بذلك « هربوا الى الروم » (١١٥) أي (الدولة العثمانية) . ومنذ ذلك الوقت بدأ امراء تركمان كسروان يخسرون موقعهم المميز في السلطنة ، في حين أخذ يتزايد دور الامراء التنوخيين .

بعد قيام دولة المماليك الجراكسة بزعامة برقوق ٦٨٤هـ / ١٣٨٢ م. قامت ضد السلطان ثورة تزعمها تمربغا الافضلي المعروف بمنطاش أحد كبار الامراء المماليك ، وتمكّن منطاش بتحالفه مع نائب حلب الامير يلبغا الناصري من خلع برقوق ، وعينا مكانه المظفّر حاجي بن شعبان عام ٧٩١هـ / ١٣٨٩م ، ونفيا برقوق الى سجن الكرك (١١٦) .

مع ان التنوخيين كانوا يقومون بالمهمات العسكرية على السواحل للحفاظ عليها خير قيام ، بالرغم من نزاعاتهم مع امراء تركمان كسروان ، وان كانوا يمتعضون ويتلكأون عن القيام بالإلزامات المملوكية الاخرى. ويذكر صالح بن يحي، خبر قدوم تعميرة جنوية عام ٧٨٤هـ / ١٣٨٢ م الى بيروت، وكان فيها عسكر شامي ، لكنه « تقهقر من مدافع الفرنج ونشاب جنودهم ، واستتر بالحيطان ، وان الفرنج نزلوا من مراكبهم الى البر وطلع منهم شرذمة الى جوانب القلعة القديمة ، لنصب سنجق (علم) على شرفة عالية ، اشارة الى انهم ملكوا البر . . . ولما راى الامير سيف الدين يحي بن صالح (والد المؤرخ) ذلك هجم بمن معه (من القوات التنوخية) من اصحاب النخوات ورمى بنفسه على الذين معهم السنجق حتى وصل اليه ، وقتله . لما شاهد الفرنج ما جرى ، « لم يسعهم الا الرجوع الى المراكب » . . . حيث وقع جماعة كبيرة منهم في البحر وقضوا غرقا اثناء تدافعهم (١١٧) .

وكان التنوخيون يبتعدون قدر الامكان عن الصراعات المملوكية الداخلية، لكنهم وقفوا بحماس شديد الى جانب السلطان برقوق عندما تمكّن المذكور من الخروج من معتقله بالكرك عام ٧٩٢ هـ / ١٣٩٠م ، وهبّوا بقواتهم الى دمشق، وشاركوه في حصاره لها ، وأمدوه بالأدوات اللازمة لذلك من « منجنيق والنجارين ، الذين ببيروت » (١١٨) .

هذا التأييد التنوخي للسلطان برقوق لم يكن مرتبطا بالصراع الدائر بين المماليك الاتراك والمماليك الجراكسة ، بل كان السبب فيه يعود لوقوف اخصام التنوخيين ، امراء تركمان كسروان الى جانب الثورة المنطاشية . كما وقد يكون حافز التنوخيين في ذلك هو السعي لتحقيق مكاسب سياسية جديدة من خلال استعادة برقوق لسلطنته. وهنا لا بد من الاشارة الى مرسوم برقوق للامراء التنوخيين ، عندما دعاهم لنصرته اثناء حصاره لدمشق : « ان امتنع دولت يار المتولي ببيروت عن الحضور معهم ان يركبوا اليه ويمسكوه » (١١٩).

استغل علي بن الاعمى فرصة غياب امراء الغرب عن مناطقهم اثناء حصار دمشق ، وقدوم ارغون المنطاشي متوليا على بيروت ، فأغار بنو الاعمى بمساعدته على الغرب . حيث جرت معركة مع الامراء التنوخيين الموجودين وأجنادهم عند الساحل قُتِل اثناءها تسعون نفرا من اهل الغرب ، ونهبوا ممتلكات آل بحتر وبضائعهم التجارية ببيروت، من « زيت وصابون وقماش »، اكثرها للامير فخر الدين عبد الحميد بن يحي . كما هاجم ابن الاعمى الغرب مرة اخرى بعد مسير الامراء التنوخيين الى مصر للحاق ببرقوق بعد انتصاره في معركة شقجب (بظاهر دمشق) على منطاش فأوقع علي ابن الاعمى وعساكره بالامراء التنوخيين الموجودين الهزيمة . حيث قُتِل في هذا الهجوم اربعون نفرا كان من بينهم الامير عماد الدين موسى بن حسان بن رسلان ، كما نهب ابن الاعمى قرى عيناب وعين اعنوب وشملال (شملان) وعيتات وغيرها (١٢٠).

لما استقرت قواعد سلطنة برقوق وترسخت اقدام دولة المماليك الجراكسة ، طلب السلطان من علاء الدين بن الحنش ومؤيديه من عشائر البقاع، تجريد حملة على تركمان كسروان لمساعدة امراء الغرب في الاقتصاص منهم . قُتِل علي بن الاعمى على اثر الحملة ، وأسر اخوه عمر ، حيث حيث سِجِن مدة من الزمن ، ثم اطلق سراحه (١٢١) .

بعد مقتل زعيم تركمان كسروان لم يعد لأولاد الاعمى ذكر في جبل كسروان بعد ذلك ، حتى آخر العهد المملوكي ، باستثناء احدهم الذي تولى بيروت عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م (١٢٢) . اما آل بحتر التنوخيون فنالوا الجزاء الحسن على ولائهم لبرقوق وصفت لهم الزعامة ، ليس على جبل الغرب فحسب كما يرى الدكتور الصليبي (١٢٣) ، لكن باعتقادنا ان آل بحتر

التنوخيين الى جانب اشتمال نفوذهم على الاشواف فانهم بدأوا منذ ذلك الوقت يستعيدون نفوذهم على جبل كسروان . ففي حين يذكر صالح بن يحي، ان الامير عز الدين صدقة كان المتولي على بيروت عام ٨٢٧هـ / ١٤٢٨م (١٢٤) ، فان ابن سباط يذكر : « ان الامير صدقة كان يحكم من حدود طرابلس الى حدود صفد بالسواحل البحرية وجبالها » (١٢٥) . وعلى الارجح ان ما عناه ابن سباط هو كامل المنطقة الممتدة من حدود نيابة طرابلس شمالا حتى حدود نيابة صفد جنوبا ، اي ولايتي صيدا وبيروت ، بالاضافة الى الاشواف وكسروان . كما اصبحنا نجد في تاريخ ابن سباط اصطلاح « عرامون الفرب » (١٢٦) ، بعد ان كان صالح يكتفي بذكر « عرامون » مما يدل على ان نفوذ التنوخيين اصبح يشمل عرامون الفرب ، وعرامون كسروان ، والا ما حاجة ابن اسباط الى تحديد عرامون الفرب .

هوامش الفصل الرابع

(١) انطوان ضومط ، **الدولة المملوكية** (التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري) ص ٩٩ بيروت : دار الحداثة ١٩٨٠ .

(٢) القلقشندي ، **صبح الاعشى في صناعة الانشا** ، ج ٣ ، ص ١٠٨ ــ ١١٠ . مصر : دار الكتب ١٩١٣ . ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١٣١ .

شملت الصفقة الشمالية نيابة بعلبك او البقاع البعلبكي ، وثلاث ولايات هي : ولاية البقاع العزيزي وقاعدتها كرك نوح (الكرك الحالية) ، وولاية بيروت بما فيها جبل الغرب والمتن والجزء الاكبر من كسروان ، وولاية صيدا بما فيها جبل الشوف .

(٣) ابراهيم طرخان : **النظم الاقطاعية في العصور الوسطى** ، ص ٢٢

(٤) طرخان ، **المرجع ذاته** ، ص ٢٧٨ .

(٥) صالح بن يحي ، **تاريخ بيروت** ، ص ٩٨ .

(٦) ا. طرخان ، **المرجع السابق** ، ص ٢٧٨ .

ربما رأى السلطان توريث الابن متى توفرت فيه صلاحية لان يلي سلفه ؛ على ان التوريث كان ينظر اليه على انه من البر والصلة ، فضلا عما فيه من تكريم للمقطع السابق واعترافا بخدماته ، هذا بجانب العامل الاساسي في تدعيم القوة الحربية ، والعامل الاقتصادي في تعمير الاقطاعات . وعمليات التوريث هذه كانت قليلة في عصر المماليك ، وان تمّت كانت اقتداء بما فعله اساتذتهم الايوبيون من قبل الذين كانوا قد اقتدوا بدورهم بما سنّه نور الدين زنكي . ا. طرخان ، **المصدر نفسه** ، الصفحة ذاتها .

(٧) أ. بولياك ، **الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان** (ترجمة عاطف كرم) ص ٨١ ــ ٨٢، بيروت : منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ١٩٤٩ .

(٨) صالح بن يحي ، **تاريخ بيروت** ، ص ١٣٧ .

(٩) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٧٠ ــ ٧١ .

(١٠) أ. بولياك ، **المرجع السابق** ، ص ١٧ .

(١١) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٠ ــ ٨٥ .

(١٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٣ — ٥٤ .
مقدَم الحلقة هو امير اربعين من اجناد الحلقة ، يأتمرون بأمرة اثناء الحرب . انظر :
أ. بولياك ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

(١٣) هناك العديد من الاستدلالات التاريخية ، التي تفيد بأن الامير جمال الدين حجى ، كان حتى تاريخ تنازله عن الامارة للامير صالح ، يجمع بالاضافة الى زعامته السياسية ، كأمير متقدم بين الامراء التنوخيين في الاشواف ، منصب الرئاسة الروحية لجماعة الموحدين (الدروز) . راجع : ص ١٧٣ من الدراسة .

(١٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٧١ — ٧٢ .
العسقلاني ، **الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة** ، ج ٢ ، ص ٥٥ .
Salibi . K « the Buhturids of the Garb » **Arabica** , vol 8 , p. 89 .

(١٥) صالح بن يحي ، ص ٧١ — ٧٢ .

(١٦) ا — الدرك : لغويا بمعنى اللحاق ، اصطلاحا حماية الاطراف او الثغور ودلت كذلك على معنى المساهمة في الحرب وحماية الامن الداخلي ، والدرك في نظام الاقطاع المملوكي من الالتزامات المفروضة على المقطعين ، وكان يسجل في ديون الجيش أمام المقطع ان كان عليه درك او غيره . والمثاغرة : هي ان يقم المقطع الحربي أو المقاتلة أو الحامية على الثغور لحفظها ، ا. طرخان ، **المرجع السابق** ، ص ٤٨٢ و ٥٠٢ .

(١٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٢ — ٧٣ .

(١٨) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٥٥ .

(١٩) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٢٠) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٢٤ — ٢٦ .
المقريزي ، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٧٧٩ .
ابو الفدا الحافظ بن كثير الدمشقي ، **البداية والنهاية** ، ج ١٣ ، ص ٣٢٨ بيروت : مكتبة المعارف ١٩٦٦ .

(٢١) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٢٥ .

(٢٢) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٥٣ .

(٢٣) ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج ٨ ، ص ١١٨ — ١٢٥ .
ابو الفدا ، **المصدر السابق** ، ج ١٤ ، ص ٦ وما بعدها .

(٢٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٧ — ٧٨ .
المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٩٠٢ .

(٢٥) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٧٨ — ٧٩ .
كان الامراء المماليك على اربع مراتب اعلاها امير مئة، اوسطها امير اربعين ، ثم امير عشرة، فامير خمسة، والعدد المذكور في الرتب يشير الى عدد الفرسان التابعين للامير دون المشاة. وكان يحق للامير من الرتبة الاولى والثانية تنظيم فرقة موسيقية ملحقة بالجند عرفت بـ « طبلخاناه » . راجع القلقشندي ، **صبح الاعشى** ، ج ٤ ، ص ١٤ — ١٥ .

(٢٦) المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ١ ق ٣ ص ٩٠٢ .

(٢٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٥٦ ــ ١٥٨ .

(٢٨) ابو الفدا ، **البداية والنهاية** ، ج ١١ ، ص ٣٥ .
المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٢ .

(٢٩) **السجل الارسلاني** (مخطوط) اثبات عام ٧١٤ هـ .
الشدياق ، **اخبار الاعيان** ، ج ٢ ، ص ٥٠٩ .
س. عاشور ، **مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك** ، ص ٣١٥ .
كرد علي ، **خطط الشام** ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٣٠) المقريزي ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤ ــ ١٥ .
صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٨ .

Saliba k. (The Buhturids of the Garb) **Arabica** vol. 8 p . 90 - 91 .

(٣١) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٩٦ .
ويروي ابن سباط من احداث سنة ٧٠٥هـ ، هذه الواقعة كما يلي : « في هذه السنة سار جمال الدين أقوش الافرم نايب الشام بعساكر الشام ، وغيرها يوم الاثنين ثاني المحرم الى جبال كسروان. وكانوا سكانها عصاة مارقين من الدين، فأحاطت العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة ، وترجّلوا عن خيولهم ، وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات ، وقيل ان العساكر الاسلامية كانوا نحو خمسين الف فارس وراجل ، ووصل نايب الشام أقوش الافرم الى جبال جرد كسروان واحتووا على جبالهم واخرب القرايا وقطع كرومها، ووطن العسكر اوضا لم يكن اهلها يظنون احد من خلق الله تعالى يصل اليها ، وقتلوا واسروا من بها من الدرزية والكسروانيين وغيرهم من المارقين وتطهرت تلك الجبال منهم . وكانوا امراء الغرب برجالهم في هذه الفتوح ، وقتل منهم الامير نجم الدين محمد واخيه الامير شهاب الدين ، ولدي الامير جمال الدين حجى ابن محمد ابن حجى ابن كرامة ابن بحتر التنوخي ، بقرية نيبيه من كسروان ... ثم ان العساكر بواسطة اهل كسروان احرقوا عين صوفر وشمليخ وعين وزيه وبحطوش وغيرهم من بلاد الجرد » .
تاريخ ابن سباط ، (مخطوط) ، ورقة ٢٢٨ ــ ٢٢٩ .

(٣٢) نص رسالة الشيخ الامام ابن تيمية عن كتاب « مختصر في ذكر حال الشيخ الامام ابن تيمية الحراني » جمع الحافظ ابن عبد الهادي ، ملحق رقم ٤١ في **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور** ، ج ٢ ، ص ٥٦٩ .
لامنس ، تسريح **الابصار في ما يحتوي لبنان من آثار** ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٣٣) المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٦ .
ابو الفدا ، **البداية والنهاية** ، ج ١٤ ، ص ٣٥ .

(٣٤) ابو الحسن محمد بن احمد ابن جبير الاندلسي ، **رحلة ابن جبير** ، ص ١١٦ بيروت : دار الكتاب اللبناني .

(٣٥) المقريزي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٩٠٢ .
ابن خلدون ، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر** ، ج ٥ ، ص ٤١٥ .

(٣٦) ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١٣٥ .

(٣٧) الاشرفاني ، **عمدة العارفين** (مخطوط) ج ٣ ، ورقة ١٩٧ .

(٣٨) امين ناصر الدين ، **تاريخ الامراء آل تنوخ** (مخطوط) **ومجلة اوراق لبنانية** (نيسان ١٩٥٦ ص ٢٧٤ لعل آل عبدالله هؤلاء من تنوخيي كسروان ، وتركوه أثر الحملات المملوكية المشار اليها الى جزين . ثم تحدروا جنوبا نحو جبل عامل ، ولعل ما يذكره صالح بن يحي من ان اهل جزين حضروا مأتم الامير شهاب الدين احمد بن صالح المتوفى عام ٧٨٩هـ / ١٣٨١ ، يدل على قرابة كانت تربط بين الامراء التنوخيين ، واهل جزين الشيعة . انظر صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٩١ .

(٣٩) محمد مخزوم ، « جبل عامل في العهدين الصليبي والمملوكي » **صفحات من تاريخ جبل عامل**، ص ٤٠ ، بيروت : المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ، دار الفارابي ، ١٩٧٩ .

(٤٠) م. مكي ، **لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني** ، ص ٢١٧ .

(٤١) المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٦ .
صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩ .

(٤٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .
ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١٣٧ .
لعل هذا الاسم حسب ما يرى الصليبي هو تعريب للاسم التركي كور أوغلو .

(٤٣) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٨٤ .

(٤٤) ا. طرخان ، **المرجع السابق** ، ص ٢٧٨ .

(٤٥) ا. ضومط ، **الدولة المملوكية** ، ص ١٦٣ .

(٤٦) الروك مصدر من الفعل الثلاثي راك ، ومعناه في الاصل مسح الارض الزراعية في بلد من البلاد ، لتقدير الخراج المستحق عليها لبيت المال ، الذي كانت تصرف منه اعطية الجند ورواتب الولاة وغيرهم . ولما حل النظام الاقطاعي محل الاعطية ، كان يجري الروك لاعادة توزيع الاقطاعات بين السلطان وبقية الامراء والاجناد . راجع : المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٨٤١ – ٨٤٢ حاشية رقم ٣ .

(٤٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٨٤ – ٨٥ . ويعتبر صالح بن يحي امارة العشرين تساوي طبلخاناه ، **المصدر ذاته** ، ص ٩١ .

(٤٨) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٨٧ .
Salibi K. , « The Buhturids of the Garb » Arabica , vol 8 , p. 91 .

(٤٩) م. الحياري ، **الامارة الطائية في بلاد الشام** ، ص ٨١ وما بعدها .

(٥٠) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٨٦ . يذكر صالح « ان الروك يقتضي تبديل الاقطاعات بمناقلاتها من مقطع الى اخر »

(٥١) نسبة الى حسام الدين لاجين الذي تسلطن عام ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ / ١٢٩٦ - ١٢٩٨ م .
المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٨٤٥ - ٨٤٦ .

(٥٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٨٦ .
انظر : نص القصة التي تقدم بها الامير الحسين ، في الملاحق .

(٥٣) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٨٧ .

(٥٤) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٨٢ ، ١٣٢ .

(٥٥) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٩٩ - ١٠٢ . يخبرنا صالح عن ورود المراسيم الى الامراء التنوخيين من نائب الشام بتجريد الرجالة الى الكرك. وذلك اثناء النزاع، الذي نشب بين أولاد الناصر محمد على السلطنة ، وأدى الى خلع شهاب الدين احمد وسلطنة الصالح اسماعيل ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م ، واعتكاف الاول في الكرك . واثناء حصار الكرك قتل الامير عز الدين الحسن اخو الامير الحسين ، الذي قاد قوات الغرب للمشاركة وقتل معه آخرون ، وجاء في قصيدة رثاء الحسين لاخيه بعد ذكره لصفاته ومزاياه وذمه للكرك .

غريب لا يعرف فيك بقعة ولا أتى اليك فيك راغبا
بل مكرها أتى اليك كونه جاه من السلطان امرا لازبا

(٥٦) المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ٢ ، ق ٣ ، ص ٨٣٤ .
Salibi. K. « The Buhturids of the Garb » **Arabica, vol. 8 , p, 87 .**

(٥٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٣٤ .
الجنويين : نسبة الى مدينة جنوا الايطالية .

(٥٨) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٣٨ .

(٥٩) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، حمام البطاقة اي الرسائلي ، انظر : **صبح الاعشى** ، ج ١٤ ، ص ٣٨٩ - ٣٩٤ .
كان موقع خان الحصين على طريق الشام بين عاليه وبحمدون - وزبدل : من قرى البقاع - وخان ميسلون : في وادي الحرير على طريق دمشق - بيروت العتيقة : هو موقع دير القلعة خارج قرية بيت مري من المتن الشمالي - وجبل بوارش : هو جبل الكنيسه وتقع على سفحه الشرقي قرية بوارش (بوارج حاليا) وجبل يبوس : من قمم سلسلة لبنان الشرقية ، والصالحية : هو جبل قاسيون المطل على دمشق .

(٦٠) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٣١ - ٣٣ و ١٩٤ .

(٦١) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .
المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ٢ ، ق ٣ ، ص ٨٣٤ .

(٦٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٧ .

(٦٣) ا. طرخان ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٣ و ٢٦٨ .

(٦٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٣ .

(٦٥) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٣٦ . صالح بن يحي، **المصدر ذاته** ، ص ٢١١ .

(٦٦) صالح بن يحي ، المصدر ذاته ، ص ٢٤٨ .

(٦٧) ابن سباط ، المصدر السابق ، مخطوط ورقة ٣٤٣ .

(٦٨) ابن سباط ، المصدر ذاته ، ورقة ٣٤٦ .

(٦٩) ابن سباط ، المصدر ذاته ، ورقة ٣٤٧ .

(٧٠) ابن سباط ، المصدر ذاته ، ورقة ٣٤٩ .

(٧١) ابن سباط ، المصدر ذاته ، ورقة ٤٠٤ .

(٧٢) ابن سباط ، المصدر ذاته ، ورقة ٣٦٧ — ٣٧٣ .

(٧٣) صالح بن يحي ، المصدر السابق ، ص ٨٧ — ٨٩ . — راجع المناشير المرسلة الى الامراء التنوخيين في الملاحق .

(٧٤) صالح بن يحي ، المصدر ذاته ، ص ٢٠٠ .

(٧٥) صالح بن يحي ، المصدر ذاته ، ص ٥٧ — ا. ن. بولياك ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٧٦) صالح بن يحي ، المصدر ذاته ، ص ٥٧ .

(٧٧) صالح بن يحي ، المصدر ذاته ، ص ١٤٨ .

(٧٨) صالح بن يحي ، المصدر ذاته ، ص ١٤٨ .
(شمليخ : قرية دارسة في الجرد بين صوفر والعزونية) .

(٧٩) صالح بن يحي ، المصدر ذاته ، ص ٩٦ .

(٨٠) ابن سباط ، المصدر السابق ، ورقة ٤٢١ .

(٨١) ابن سباط ، المصدر ذاته ، ورقة ٤٢٣ .

(٨٢) Kamals. Salibi, « The secret of the house of Ma'n »
International jornal of middle Eastern studies, Vol. 4 (London, 1973) p. 227.

(٨٣) الشهابي ، الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان ، ص ٣٢٢ — ٣٢٤ .

(٨٤) الشدياق ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، ج ١ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ و ٢٣٥ .

(٨٥) الصليبي ، منطلق تاريخ لبنان ، ص ١٠٦ .
حول امارة بني جندل في جبل الشوف . راجع : الفصل الثالث من هذه الدراسة ، ص ٨٨ — ٨٩ .

(٨٦) ا. ن. بولياك ، المرجع السابق ، ص ٤٧ — ٤٨ .

(٨٧) صالح بن يحي ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٨٨) صالح بن يحي ، المصدر ذاته ، ص ٦٤ ، ١٤٩ .

(٨٩) صالح بن يحي ، المصدر ذاته ، ص ٩٣ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٥ .
رمطون : قرية دارسة غربي كفرمتى في الغرب — قضاء عاليه .

(٩٠) العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٥٤٠ — ٥٤١ .

(٩١) ابن سباط ، المصدر السابق ، ورقة ٣٧٦ — ٣٧٩ .

(٩٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٧ .
راجع سلسلة نسب الرمطونيين ، ص ١٤٤ .

(٩٣) ا. ناصر الدين، **تاريخ الامراء آل تنوخ** (مخطوط) **واوراق لبنانية** (اذار ١٩٥٦) ص ٢٧٦

(٩٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٨ .

(٩٥) الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٩٦) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٩ .

(٩٧) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٠١ .

(٩٨) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

(٩٩) صالح بن يحي، **المصدر ذاته**، ص ٩٣-١٦١-١٦٢ - ابن سباط، **المصدر السابق**، ص ٢٤٥

(١٠٠) احمد الخالدي الصفدي ، **كتاب تاريخ الامير فخر الدين المعني** ، (تحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، ص ١٧ ، بيروت : منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٦٩ .

(١٠١) هذا ما يؤكده الشيخ ابو محمود سلمان المغربي من كفرسلوان ، مقابلة شخصية .

(١٠٢) رئيف ابي اللمع « ابو اللمع » **دائرة المعارف** ، م ٥ ، ادارة فؤاد افرام البستاني ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٤ .

Churchil. C., **Mount Lebanon, A Ten Years Residence From 1842 - 1852** vol. I p. 99 .

(١٠٣) ي. القنطار ، **الامراء اللمعيون** ، ص ٩ .

(١٠٤) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٤٠٧ .

(١٠٥) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٥ .

(١٠٦) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٠ .

(١٠٧) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٥٧ ، ١٦٧ ، ١٧١ - ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، ٢٠١ - ٢٠٢ ، ٢١٧ .
ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ص ٢٧٦ - ٢٧٩ .

(١٠٨) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩ ، ٣٧ .

(١٠٩) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٧٨ .
المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(١١٠) صالح بن يحي، **المصدر ذاته** ، ص ١٧٩ . ك. الصليبي، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١٤٦ .

(١١١) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٧٩ .

(١١٢) كاتب السر هو رئيس ديوان الانشاء والمكاتبات .

(١١٣) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٩ .
ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١٤٦ - ١٤٨ . يرجّح ان المقصود بالملوك الاوائل هم السلاطين الزنكيين والايوبيين ، الذين سبقوا قيام الدولة المملوكية .

(١١٤) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٧٩ .

(١١٥) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٠ .
ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج ١١ ، ص ٣٥٠ ـ ٣٦٦ .
(١١٦) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣٢ .
(١١٧) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .
(١١٨) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .
(١١٩) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٢١٣ .
(١٢٠) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .
Salibi K. « The Buhturids of the Garb » **Arabica** , vol. 8 , p. 95 - 96 .

السجل الارسلاني ، اثبات ٨٣٣هـ. ـ ش. ارسلان ، **« ذيل » روض الشقيق في الجزل الرقيق** ، ص ١٦٨ . يرد في السجل ان تاريخ الواقعة كان عام ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م. وان جميع الامراء الارسلانيين قد قتلوا فيها ، باستثناء الامير سيف الدين يحي بن صالح، ويرد اسماء الامراء القتلى دون اسم الامير عماد الدين موسى، الذي ذكره صالح بن يحي .
(١٢١) صالح بن يحي ، **تاريخ بيروت** ، ص ٢١٥ .
يرد في السجل الارسلاني : ان « الامير سيف الدين يحي ، الذي نجا من هجوم ابن الاعمى هو الذي قاد قوات الغرب الى كسروان . وتمكن من هزيمة أمراء التركمان وقتل ابن الاعمى نفسه » .
(١٢٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٣٣ .
(١٢٣) ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ١٤٨ .
(١٢٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٤٨ .
(١٢٥) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٤٣ .
(١٢٦) ابن سباط ، **المصدر ذاته** ، ورقة ١٦ ، ٣٧ ، ١٣٦ ، ٣١٧ ، ٣٥٢ .

الفصل الخامس

بعض المظاهر الحضاريّة عند التنّوخيّين

١ – الحياة الاقتصادية والعمرانية عند التنوخيين .

٢ – الحياة الاجتماعية .

٣ – الحياة الفكرية والادبية والفنية .

الحياة الاقتصادية والعمرانية عند التنوخيين

يستدل مما وصلنا من معلومات عن الامارة التنوخية ، ان الطابع العام الغالب على الحياة الاقتصادية في الامارة كان قبل قدوم الفرنجة ، هو الطابع الزراعي الرعوي . الا ان ازدهار عملية التبادل التجاري اثناء حكم الفرنجة للسواحل ، والعهد المملوكي فيما بعد ، جعل المنطقة تجنح الى التخصص في بعض الزراعات ذات الصفة التجارية بالاضافة الى بعض الصناعات الحرفية .

كانت حاصلات الزيتون والكرمة على رأس قائمة الحاصلات الزراعية في المنطقة ، وكانت الفواكه ، التي يذكر ابن بطوطه انها كانت تصدر من بيروت الى ديار مصر مع الحديد (١) ، من المنتجات الزراعية المهمة . كما وان زراعة التوت لتربية دود الحرير كانت تغطي حيِّزا كبيرا من الاراضي الزراعية (٢) .

وتعددت الصناعات التي عرفتها الامارة حتى ان الامراء التنوخيين انفسهم كانوا يزاولون بعضها، اما ليستعينوا بها الى جانب اقطاعاتهم لتحسين اوضاعهم الاقتصادية ، او كاحدى الهوايات لملء فراغهم في عمل مفيد . ومن هذه الصناعات صناعة الزيت والصابون ، ويذكر صالح بن يحي ان والده الامير سيف الدين يحي كان « يستعين الى جانب اقطاعه بطباخة الصابون والمتاجرة بالزيتون » (٣) . وقامت معاصر العنب لصناعة الدبس (٤) . وكانت صناعة النسيج احدى الصناعات التي اتقنها اهل البلاد ، اذ كانت بلاد الشام في العصر المملوكي قد اشتهرت بصناعة الانسجة المتنوعة المطرّزة التي عرفت بالدمقس (٥) . وقد اوردنا آنفا ما جاء في امر السلطان السعيد بركة الى نوابه في الشام ، عند اطلاقه سراح أمراء الغرب التنوخيين الثلاثة المعتقلين بمصر ، « بأن يردوا اليهم قماشهم مع خيلهم واغنامهم وابقارهم » . كما يذكر صالح ان والده كان ينتج نحو اربعين رطلا من الحرير سنويا (٦) .

هذا ويرد ذكر الحرير كسلعة في وصية الامير جمال الدين عبدالله التنوخي المتوفى (٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م) ، حيث أوصى بكمية من الحرير لأحد تلاميذه زين الدين جبرايل (٧) . وقد تعاطى عدد من الامراء التنوخيين الصناعة النسيجية ، وتفننوا في الخياطة والتطريز (٨) .

ومن الصناعات التي أتقنها الامراء التنوخيون ، والتي كان الاشتغال بها يتطلب جهدا ودقة وصبرا صياغة الحلى للنساء ، والنقش عليها . واكثر من نال شهرة في اجادة هذه الحرفة كان الامير عز الدين جواد بن علم الدين سليمان الرمطوني ، وكانت هذه الصناعة مركّزة في ايدي الصناع اليهود(٩)؛ وربما كان هذا الامير قد أخذ الحرفة عنهم وعمل على تطويرها . اذ يذكر صالح بن يحي : « ان جوادا لم ينتش في البيت مثله في جمعه للصنائع ، وانه صنع قواعد فولاذ نقش عليها ما يطبع عليه فضة سيوف ولجم (للدواب)، وحلى للنساء ، وما غير ذلك ليجري عليها مينا ، ويتوفر على الصائغ التعب في النقش ، وكذا فعل بهرام بقوالبه لكن هذه قوالب رمل » (١٠) . ونسج على منوال الامير عز الدين جواد في اتقان هذه الصناعة امراء عديدون ، منهم الامير ناصر الدين محمد المولود عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م (١١) ، وسيف الدين يحي المتوفى عام ٨٦٤هـ / ١٤٦٠م (١٢) . كما اتقن العديد من الامراء التنوخيين الصناعات الخشبية الدقيقة ، التي كانوا ينزلون فيها التطاعيم الجميلة ومنها الاقلام والاقفال اللطيفة ، على حد قول صالح (١٣) . وما يجدر ذكره هو معرفة بعض الامراء « بتحضير الادوية من اشربة وكحول ودهونات ، التي كانوا يفرقونها على المحتاجين دون مقابل برسم الثواب » . ومن هؤلاء الامراء زين الدين صالح بن الحسين والقاضي بهاء الدين صدقة وغيرهما (١٤) .

نتيجة اعتماد الامارة التنوخية على الزراعة في منطقة جبلية لا تتوافر فيها المقومات الطبيعية لنمو وتطور الزراعة ، جعل من المنطقة فقيرة نسبيا . ولم تشهد الامارة ازدهارا اقتصاديا الا في اواخر الحكم الفرنجي للسواحل، بعد ان بدأ الامراء بالتعامل التجاري مع الفرنجة . وكان الاميران سعد الدين خضر بن محمد وزين الدين صالح بن علي من المستفيدين من ذلك الانتعاش الاقتصادي . لكن مع بداية العهد المملوكي ، وبسبب الحروب مع الفرنجة توقفت عملية التبادل التجاري مع اوروبا لفترة قصيرة ، الى ان استؤنفت في مطلع القرن الرابع عشر للميلاد . ويقول صالح بن يحي : « ثم بعد ذلك

صارت بعض مراكب الفرنج تتردد اليها (الضمير يعود الى بيروت) بالمتاجر قليلا قليلا » (١٥) . وقد اخذ سلاطين المماليك منذ ذلك الوقت يعملون على حماية التجار الاوروبيين ومنحهم التسهيلات التجارية ، كما عقدوا معهم المعاهدات والاتفاقات التجارية ورتبوا لاقامتهم الخانات(١٦). وصارت بيروت في العهد المملوكي من اشهر الموانيء على البحر المتوسط والمرفأ الرئيسي لبلاد الشام ، واكثرها ازدهارا وحيوية ، وكان يجتمع فيها تجار دمشق وحلب وحماه وبعلبك (١٧) .

استفاد الامير ناصر الدين الحسين من الازدهار التجاري الذي نعمت به بيروت ، وربما كانت ثروته من اشتغاله بالتجارة . كما تشارك عدد من الامراء التنوخيين الآخرين مع امراء كبار من المماليك بمصر ، للقيام ببعض الاعمال التجارية (١٨) . هذا وضمن عدد من الامراء ميناء بيروت ومن بينهم الامير عز الدين جواد الرمطوني ، الذي يذكر صالح « انه ضمن ميناء بيروت وتكلم فيها مدّة » (١٩) .

تعرّضت السواحل الشامية لغارات القبارسة والجنوية والقراصنة الاوروبيين وغيرهم ، في اواخر القرن الرابع عشر للميلاد ، كما كان لهجوم التتار على بلاد الشام عام ٨٠٢ ــ ٨٠٣هـ / ١٤٠٠ ــ ١٤٠١ م الاثر الكبير في شل الحركة التجارية . هذا بالاضافة الى الصراعات الداخلية في السلطنة على اثر وصول الجراكسة بزعامة برقوق الى السلطة (٢٠) . ولم تعد التجارة الى سابق عهدها الا بعد استيلاء المماليك على جزيرة قبرس عام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م . تضرر التنوخيون من توقف الحركة التجارية ، ولهذا نراهم يشاركون في الحملة المملوكية الثانية الى قبرس ، وكان الامير زين الدين صالح بن يحي (صاحب التاريخ) على راس المجموعة المؤلفة من قرابة ماية رجل بحرية ومقاتلة من الامارة التنوخية ، والتي شاركت في الحملة ؛ وقاد الامير صالح غراب بيروت ، الذي وصف بأنه أحسن الاغربة مشيا (٢١) .

لما كانت المظاهر العمرانية والحضارية ترتبط الى حد بعيد بالنمو الاقتصادي والازدهار المادي . فان اماكن سكن الامراء التنوخيين حتى الربع الاخير من القرن الثالث عشر للميلاد كانت بسيطة وصغيرة لا تتميز عن بيوت العامة . فعندما اراد الامير جمال الدين حجى الكبير بن نجم الدين محمد ، اتخاذ بلدة عبيه مركزا لامارته عام ٦٧٨هـ / ١٢٧٩ م ، لم يشيّد فيها قصرا

فخما ، انما « اخذ بيت ابراهيم من الطوارقة وعوّضه عنه ببيته في طردلا » (٢٢) . وهذا يدل على ان الوضع الاقتصادي للامراء التنوخيين لم يكن كوضع الاقطاعيين في مناطق اخرى من بلاد الشام ، ليس فقط بسبب فقر منطقتهم ، انما يعود ذلك لانهم لم يمارسوا نفس العلاقة الاستغلالية للفلاحين التي مارسها الاقطاعيون غيرهم ، الذين كانوا يعملون على الحصول على اكبر كسب ممكن خلال مدة اقطاعهم . فالامراء التنوخيون كان وضعهم يختلف عن الامراء الآخرين ، لتوارث اقطاعهم في منطقة كان فلاحوها من قومهم وعشيرتهم .

لم تشهد امارة الغرب التنوخية حركة عمرانية الا في أواخر القرن الثالث عشر ، فأول من بنى في بلدة عبيه هو الامير سعد الدين خضر ، الذي «تشبه باخيه الامير حجى ، وطلع الى عبيه ، وعمر العليتين المتلاصقتين الواحدة بعد الاخرى، وسكنهما باقي عمره » (٢٣) . كما كان الامير زين الدين صالح بن علي أول من أقام المباني الضخمة في عرامون ، ويقول صالح عنه : « هو اول ما عمّر الحارة التي عند العين، وهي اول العمائر العالية المحسّنة، ولم يبن في الغرب قبلها بيوت احسن منها » (٢٤) . وكان بناؤه لها في حدود عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م . ومن مباني الامير المذكور قلعة في رأس عرامون توفى قبل انجازها ، فحوّلها اولاده الى بيوت سكنية وكانت وفاته عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٦ م (٢٥) .

في اواخر القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر ، ومع استئناف التبادل التجاري، استفاد الامير ناصر الدين الحسين من ذلك. فتعاظمت ثروة الحسين وبنى لنفسه دارا في بيروت مجاورة للبحر ، واستملك فيها الزقاق المعروف بزقاق الخيالة ، كما اكثر من تشييد المباني في قاعدة امارته عبيه ، وكانت اول مبانيه فيها عليتين متلاصقتين عام ٦٩٦هـ / ١٢٩٧ م ، ثم بنى حماما جرّ اليه المياه من شاغور عبيه (منطقة في شرقي عبيه لا تزال تحمل هذا الاسم) بلغت تكاليفه حسب ما ذكره صالح بن يحي عشرة آلاف درهم ، كما بنى في عبيه مسجدا وقبّة ، ناهيك عن مساعدته للعديد من اقربائه في استكمال مبانيهم ، ومن بينهم احد اولاد معن . وكانت آخر عمائر الحسين القاعة عند مدخل الحارة ، عام ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م (٢٦) .

بعد ذكر صالح بن يحي لمباني الامير الحسين المتعددة ، لا يذكر مباني

أقيمت بعده ، سوى تجديد الامير سيف الدين يحي (والد صالح) لبعض من المباني في بيروت وعبيه ، بالاضافة الى قاعة في عبيه بناها الامير المذكور ، و « عمل على ترخيمها وزخرفتها واجرى الماء اليها ، واضاف الى القناة القديمة زيادة كبيرة تسمى بالعين الباردة » (٢٧) . هذا وقام امراء آخرون باضافات على مباني قديمة اقتصرت على « علية واحدة او عليتين » (٢٨) . قد يعود ذلك اما الى اكتفاء التنوخيين من المباني السكنية بعد الحركة العمرانية في عهد الحسين ، واما للشلل الذي اصيبت به حركة التبادل التجاري، وهذا هو الارجح . ذلك ان الامارة التنوخية عادت وشهدت في القرن الخامس عشر حركة عمرانية بعد سقوط قبرس بيد المماليك ، ويذكر ابن سباط ان الاميرين عز الدين صدقة بن شرف الدين عيسى ، واخيه زين الدين عمر ، قد اقاما المباني العديدة ، وان الاخير « كان له رغبة في العمائر الشاهقة ، واكثر من المباني في الغرب وبنى له قصرا مشهورا في بيروت » (٢٩) . هذا وقد شيد الامير بدر الدين حسين بن صدقة قصرا او قلعة على رأس جبل المطير في اعلى بلدة عبيه ، عرفت بـ « رأس المطير » (٣٠) . تعود هذه الحركة العمرانية لاستئناف عملية التبادل التجاري ولتوسع النفوذ التنوخي ليشمل بالاضافة الى الاشواف ، جبل كسروان .

الآثار التنوخية في عبيه

اتخذ الامراء التنوخيون من آل بحتر بلدة عبيه قاعدة لامارتهم ، ومنها اداروا حكم امارة الغرب (٣١) ، مدة تقرب من اربعة قرون . وعلى الارجح ان آل بحتر لم يكن استقرارهم في عبيه من قبيل الصدفة ، بل لما تتميز به البلدة من موقع مهم من الناحية العسكرية ، اذ تشرف البلدة على بيروت وشاطئها. وتقع على سفح جبل يسمى « جبل المطيّر » يقدر الناظر ان يشاهد كامل الشاطيء الممتد من خليج عكار شمالا حتى الناقورة جنوبا ، كما يمكنه ان يرى منه جبال جزيرة قبرس في اليوم الصافي. وينحدر سفح المطير جنوبا نحو وادي الصفا (نهر الدامور) ، حيث يشرف على القسم الاعظم من جبل الشوف . كما يعود سبب سكن الامراء آل بحتر في عبيه الى وجود اسر تنوخية فيها اسبق منهم ، يجمع بينهم وبينها علاقة نسب واحدة ويتحدرون من جدود مشتركين (٣٢) . وقد اشرنا الى ان الوجود التنوخي في عبيه ، قد يعود الى القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد) .

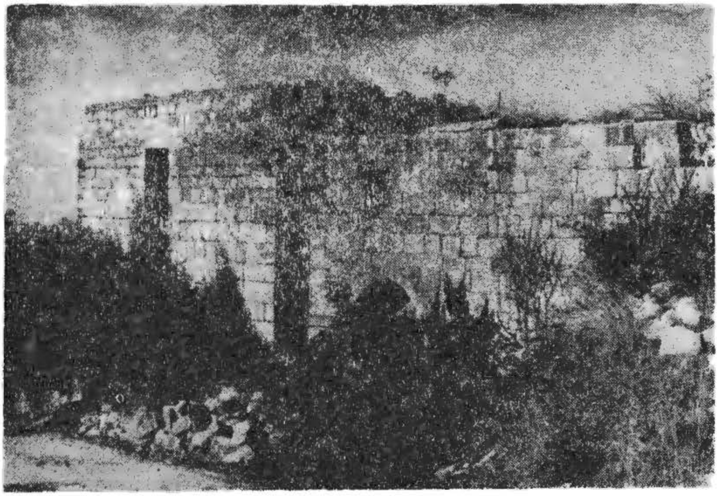
ترك التنوخيون في عبيه بعض المباني ، التي تعود الى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. وتتميز المباني التنوخية بالبساطة والضخامة. اذ انها خضعت لشروط البيئة وظروف الطبيعة . فتوفر الحجارة جعل البناء غالبا ما يبدأ بالعقود المتعامدة القائمة على ركائز حجرية ضخمة قوية تسمح بالبناء فوقها دون الخوف من التصدع . فيتم بعد ذلك بناء العلية تلو الاخرى دون تخطيط مسبق ، تبعا لنمو العائلة وتبعا لمقدرة وارث البناء المادية ، فيجري عليه تعديلات واضافات تغيّر في كثير من الاحيان معالم البناء القديمة.

تتركز المباني التنوخية القديمة في منطقة في اسفل عبيه تعرف في ايامنا بـ « القصور المشرّفة » هذه المنطقة يمكننا اعتبارها موقعا اثريا مهما . اذ فيها استقر الامير جمال الدين حجى عند انتقاله من طردلا ، واقام فيها اخوه الامير سعد الدين خضر أول مبانيه ، ثم بعده ولده الامير ناصر الدين الحسين ، باستثناء القاعة التي كانت آخر مبانيه .



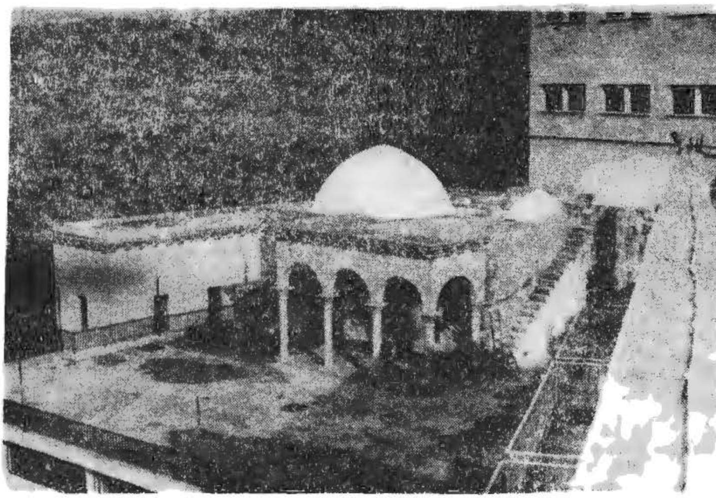
جانب من الموقع الاثري في عبيه « قصور المشرفة »

ولا تزال في هذا الموقع آثار الحمام الذي بناه الحسين وقناة المياه التي جرّها اليه ، والبناء الذي سكنه الامير جمال الدين عبدالله التنوخي المعروف بالسيّد ، والذي قد يعود بناءه للحسين ، حيث وصل الى السيّد الامير بالتوارث (٢٢) . كما توجد في هذا الموقع القاعة التي كان يستعملها السيّد الامير مجلسا يقضي فيها اوقاته مع تلاميذه ، ويستقبل الوافدين عليه من مختلف انحاء البلاد . هذه القاعة هي حاليا كنيسة تسمى بكنيسة



البناء الذي سكنه الامير السيّد جمال الدين عبدالله التنوخي

« مار سركيس » (٢٤) . كما لا يزال في الموقع المذكور المسجد والقبة ، وقد اجري عليهما عمليات اصلاح ، وتعديل عند بناء المدافن التنوخية الملاصقة لهما فيما بعد . وتشكل حاليا مقام السيّد الامير جمال الدين عبدالله التنوخي (٢٥) .



مقام الامير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي في عبيه

اما المباني التنوخية المتأخرة فتتركز في محلة من بلدة عبيه تعرف بـ « الحارة التحتا » ، ومنها قاعة الامير ناصر الدين الحسين ، والقاعة التي بناها الامير سيف الدين يحي بن صالح بن الحسين ، التي اضيفت اليها زيادات كبيرة على يد من جاء بعده ، فأصبح البناء من اجمل واضخم المباني التنوخية ويعرف حاليا بـ « بيت كنعان » . والى جانب هذا البناء توجد السرايا الضخمة التي اقامها الامير منذر بن علم الدين سليمان وبقي حتى استكمل بناءها مدة اربعين سنة (٢٦) .



احد الابنية التنوخية المتأخرة والمعروف بـ « بيت كنعان »

ويوجد على مدخلي السرايا لوحتان محفور على الاولى :

بسم الله الرحمن الرحيم شاد هذا العمار المبارك انشاء الله تعالى فخر الامراء المكرمين الجناب العالي الامير منذر ابن المرحوم علم الدين سليمان ابن الامير محمد بتاريخ شهر ذي الحجة من شهور سنة ثلاث وثلاثين بعد الالف وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



اللوحة الاولى المثبتة على مدخل سرايا الامير المنذر في عبيه

وعلى اللوحة الثانية :

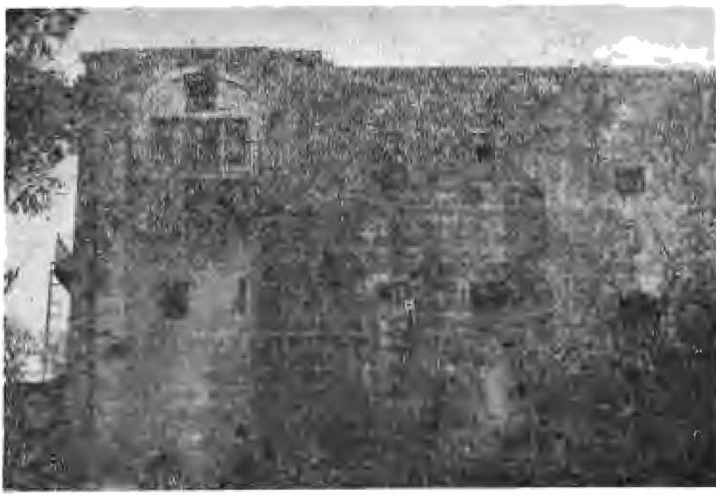
قسماً بمن ضمت اباطح مكة ومنى وزمزم والكتاب المنزل
ما قمتها طمع الخلود وانما هي جنة الدنيا لأهل المنزل



اللوحة الثانية المثبتة على مدخل سرايا الامير المنذر في عبيه



احد المباني التنوخية وقد تحول الى كنيسة تعرف « بالسيدة »



احد المباني التنوخية المتاخرة والذي سكنه الامير قعدان الشهابي
في اواخر القرن الثامن عشر

ومن المباني التنوخية الاخرى ، والتي تحولت في زمن الحكم الشهابي الى كنائس : كنيسة مار مارون ، وكنيسة السيدة ، وكنيسة مار جرجس ،

كما وان بيت الفريب في عبيه قد استعمله كرنيليوس فانديك كنيسة بروتستانتية لفترة قبل بناء كنيسة خاصة للبروتستانت (٢٧) . هذا وان البناء الذي تشغله حاليا المدرسة التنوخية في عبيه هو بناء تنوخي تملكه النكديون ، ثم قاموا بترميمه عام ١٩٢٥م . وما تجدر الاشارة اليه هو ما يتناقله اهالي البلدة من رواية حول وجود « دهليز » او سرداب يصل المباني التنوخية في الحارة التحتا والقصور المشرّفة من جهة ، وبين هذه الحارة و « الحارة الفوقا » ، التي شاد فيها الامير حسين بن صدقة « رأس المطير » من جهة اخرى. هذه الرواية تجد ما يؤكدها من خلال ما اورده الاشرفاني عن وجود ما اسماه : « زقاق ستر قرب حظيرة الامير عبدالله التنوخي » ، ويرجع الاشرفاني حادثة وقعت في الربع الاول من القرن الخامس للهجرة لاحد كبار رجال الدعوة التوحيدية ابي القاسم نصر بن فتوح عندما كان مارا فيه (٢٨) .



ما تبقى من الرواق (المجاز)

وقد تحققنا من صحة وجود الرواق المذكور ، وهو كناية عن رواق من العقد لا يزال يوجد قسم منه ، المنتهي عند الحمام . وعلى الارجح ان بناءه يعود للامير ناصر الدين الحسين ، وذلك بعد انجازه القاعة التي اقامها عند مدخل الحارة اي في المنطقة المعروفة حاليا بالحارة التحتا ، ويذكر صالح بن يحي ان والده قد جدّد هذه القاعة ، وكانت تعرف بايوان عبيه (٣٩) .

وما يؤكد بناء الحسين للرواق المذكور ، هو ورود ذكر « المجاز » في لوحة موجودة في عبيه ومحفور عليها :

« بسم الله الرحمن الرحيم شاد هذا المجاز المبارك
العبد الفقير الى عفو الله تعالى الحسين بن خضر
بن محمد التنوخي عفا الله عنه سنة سبع عشر وسبعماية . »



اللوحة التي تؤرخ بناء المجاز (الرواق)

الحياة الاجتماعية

في حين كان المجتمع المملوكي مجتمعا طبقيا ، وكانت أهمية الفرد فيه تختلف بحسب الطبقة التي ينتمي اليها . وكانت العلاقة بين الطبقات تختلف باختلاف وضعها في السلم الاقطاعي . وكان المماليك يؤلفون طبقة مغلقة تحكم البلاد ، وتتمتع بالجزء الاكبر من خيراتها دون ان يحاولوا الامتزاج بأهلها(٤٠). وقد قسَّم المقريزي المجتمع في العصر المملوكي الى سبع طبقات في القمة ارباب الدولة ، وفي القاعدة سكان الارياف والمعدمون (٤١) .

النظام الطبقي الذي وصفه المقريزي لا ينسحب على الامارة التنوخية ، اذ لم يؤلف الامراء التنوخيون طبقة منغلقة عن الشعب ، كونهم مارسوا الزعامة على عشيرتهم وقومهم . وكان مقياس الامير الكفوء الذي تأتمر الرعية بأمره وتنقاد اليه ، حسب ما شدَّد عليه صالح بن يحي هو : « من احسن في قومه السياسة ، وسادهم بحميد الرياسة ، وكان مشكورا في قومه وبين الناس » (٤٢) . وعلى الارجح ان الامير الكبير ، والذي عرف ايضا بـ « أمير الامراء » (٤٣) ، ظل حتى تنازل الامير جمال الدين حجى الملقَّب بالكبير عن الامارة للامير زين الدين صالح بن علي العراموني ، يجمع بالاضافة الى كونه الامير المتقدم على الامراء والمقدمين في امارته الوراثية المركز الديني الارفع بين رجال الدين الموحدين (الدروز) . اذ يذكر صالح ان الامير حجى « كان رجل ديّن خيّر لم يوجد في زمانه مثله ، وكانوا يعدونه من الاولياء الكبار » (٤٤) . ثم بدأ بعد ذلك يأخذ منصب الامارة الطابع العسكري المملوكي ، الذي ارتبط بالفروسية والحرب . ولهذا نجد ان الامير ناصر الدين الحسين عمل على كسب رجال الدين ، فكان « اذا قعد في مجلس يجتمع فيه الناس لم يقدّم احدا على الامير شجاع الدين عبد الرحمن بن حجى المتوفى عام ٧٤٩هـ ، وعلى

الامير علم الدين سليمان الرمطوني . فكان يقعد الاول عن يمينه ، والآخر عن يساره ، واقاربه تحتهم كل في منزلته » (٤٥) .

ومن خلال ما اورده صالح من ابيات شعر في الزهد والورع لشجاع الدين عبد الرحمن المذكور ، وما وصفه به الشاعر محمد بن علي الفزي ، يستدل انه كان المتقدم بين رجال الدين . اذ جاء في مقامة الغزي فيه :

« كان واسطة عقدهم ، ومحك نقدهم ، وبركة عشيرتهم ، وراس مشورتهم ، قطب فلك المعارف ، قدوة كل محقق وعارف .

شجاعُ الدينِ خيرُ بني أبيهِ ... إمام زادَ في دنيَاه زُهداً

تعبَّدَ خِشيةَ الرحمن طوبى ... لحُرٍ قد أتى الرحمنَ عبداً» (٤٦)

كما واوصى الامير الحسين ولده الامير زين الدين صالحا في قصيدة له عند مفادرته البلاد متوجها الى الكرك ، بالتقرب من رجال الدين . جاء في احد ابياتها :

وقرب الأجوادَ وابعد سواهُمُ ... واعملِ بِسبعٍ فُضِّلت أيمافضَّلى(٤٧)

هذا وقد أشرنا الى اللوحة التي تعود لأحد منشآت الحسين العمرانية ويرد فيها « العبد الفقير الى عفو الله تعالى الحسين بن خضر و ... عفا الله عنه » . كل هذا يدل على مدى تقرّب الحسين من رجال الدين ، ومدى تأثيرهم في الامارة التنوخية .

هذا وينصح الامير الحسين احد امراء المماليك ، موصيا اياه بالعدل والاحسان في الرعايا . قائلا :

ما احسن العدل والاحسان بالأمرا
اذا تولوا أمور الناس والرتبِ
فارجع الى الله عن كسر القلوب وعن
ذمّ الرجالِ وما فيه من النصبِ
وما يدوم سوى فعل الحميد وما
توليه من حسن مسطور في الكتبِ

فاتقِ الله في قول وفي عمل
ولا تكن للأذى والعسف من سببِ (٤٨) .

قامت سياسة الامراء التنوخيين حتى القرن الخامس عشر على التسامح والعدل مع رعاياهم فتحاشوا تكليفهم بأعمال السخرة . واعتبروا انفسهم اهل البلاد . وما يدل على نهجهم السياسي تجاه رعاياهم هو ما ورد في رد الامير الحسين بن خضر على نائب الشام تقدمز الحموي (٧٤٣ – ٧٤٦هـ / ١٣٤٢ – ١٣٤٥م) ، عندما طلب منه اعادة بناء جسر الدامور محاولا جهده اقناع نائب الشام ان تكون تكاليف الجسر المذكور من خزانة الدولة كي لا يقع ذلك العمل على كاهل الفلاحين. اذ جاء في ردّ الامير : « ان كانت كلفة الفعلة بالاجرة فهو اعظم في الآخر وان كان بالسخرة فيحصل لهم عسف وتعجز قدرتهم عنه لان البلاد متداعية الى الخراب » (٤٩) .

وقد أشرنا الى رد الامير شهاب الدين احمد على نائب الشام فيما يخص شجر البرقوق ، بأن ما كان يوجد منه في عين زحلتا هو غير نافع لصناعة النشاب ، قاصدا بذلك المحافظة على ثروة البلاد الخشبية ، وعدم الزام الفلاحين في قطعه بالسخرة . كما ويذكر صالح بن يحي ان الامير شرف الدين عيسى بن شهاب الدين احمد المتوفى ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م ، سعى لإبطال ما فُرض في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق (١٣٩٩ – ١٤١٢ م) على الفلاحين ، « حيث استقطع اقواما فطرة شهر رمضان وغرم عليها من ماله ولم يفرّم احد بها شيئا » (٥٠) .

وعندما نسأل عن اسباب معاملة الامراء التنوخيين العادلة السمحة لرعاياهم ، نردّ ذلك الى عوامل ثلاث :

أ – عامل اخلاقي ديني يتعلق بمسلكية الامراء التنوخيين التوحيدية لالتزامهم بمذهب التوحيد ، والذي يعتبر العدل هو التوحيد بذاته .

ب – عامل اجتماعي ويتعلق بتوارث التنوخيين لاقطاعاتهم ، التي كان يعمل عليها عشائرهم وقومهم الموحدون (الدروز) ، ان في الاشواف او في وادي التيم والبقاع ، وعندما كان الامراء ينالون مباشرات بالاقطاع خارج هذه المناطق ، فكانوا يفضلونها في منطقة صفد ، حيث يوجد اخوة معتقدهم .

ج ــ عامل اقتصادي وهو الاهم ، ذلك ان توارث الامــراء التنوخيين لاقطاعات كانوا يقيمون فيها على خلاف الامراء الاقطاعيين الآخرين ، وبخاصة في العهد المملوكي ، كان يدفعهم لاعادة توظيف الريع العقاري فيها ، واعادة اعمارها واستصلاحها. وهذا يتطلب منهم التعامل الجيد مع الفلاحين العاملين على الارض .

لكن ما قام به الامير الحسين ونصح ولده الامير صالحا به ، لم يتقيَّد به الامراء التنوخيون في القرن الخامس عشر ، بعد الامير شرف الدين عيسى، الذين اخذوا يتحولون الى طبقة ارستقراطية عسكرية ، وابتعدوا عن سنَّة السلف في التقرّب من رجال الدين، ومعاملة رعاياهم بتسامح وعدل، واخذوا يتشبهون بالامراء الاتراك ، وغالوا في الثياب وسروج الخيل ، و « ساقوا انفسهــم سيــاق الملــوك فــي الجنــود والخــدم وترتيب منــازل الرجال وطبقاتها » (٥١) .

ويصف الشيخ ابو علي مرعي من وجهة نظر رجل الدين المجتمع فــي القرن الخامس عشر قائلا : « فيما شاهدناه وحدثت عنــه الابــاء ان الامور انطمست وبطل حلالها وحرامها وامرها ونهيها ، لا من ينظر الى بعث ولا الى نشور ولا حساب ولا عقاب . بــل الالتذاذ بالخمور والفخر باللذات البدنية والشهوات الجسمانية ، وتحليل الربا وكثرة النفاق والريا وما شابه » (٥٢) .

وقد كان هذا التصرف من جملة الامور ، التي اثارت هؤلاء الامراء على السيِّد الامير جمال الدين عبدالله التنوخي عندما قام بحركته الاصلاحية ، فأخذ « يتجنب كثيرا مخالطة من كان متصلا منهم بالدولة . كما كان ينصح للناس ان لا يتعلقوا بخدمة الحكام ولا يقفوا بأبوابهم ، وان يمتنعوا عن التماس الرشحة من ينابيعهم » (٥٣) . وتذكر المصادر انه في خريف الدولة المملوكية استشرى الفساد والظلم ، وكثرت الصراعات والفتن ، التي اتخذت الطــابع العنصري بين الاتراك والجراكسة ، كما عاش السلاطين والامراء حياة بعيدة عــن القيم الاخلاقية . وتسلَّطوا علــى المنتجين يمتصون تعبهم وجناهم . ويصف المقريزي السلطان المؤيد شيخ « انه كان اكبر اسباب خراب مصر والشام ، لكثرة ما اثاره من الشرور والفتن ايام نيابته في طرابلس ودمشق ، وايام ملكه (٨١٥ ــ ٨٢٤هـ / ١٤١٢ ــ ١٤٢١م) من كثرة المظالم ونهب البلاد،

وتسليط اتباعه على الناس يسومونهم الذل ويأخذون ما قدورا عليه بغير وازع من عقل ولا ناه من دين (٥٤) . ولـم تكن الامارة التنوخية بمعزل عـن واقع الدولة المملوكة .

هذا وكان السيِّد الامير جمال الدين عبدالله ، قد تحدَّر من فرع الامير صلاح الدين يوسف بن سعد الدين خضر ، الذي لم يتول احد من افراده الامرية الكبيرة ، بل لا يذكر ان احدا منهم حاز على اقطاعات . وقد عرف عن هذا الفرع اهتمامه بالامور الدينية ، وانه لم يمتلك الثروة. فوالد الامير جمال الدين عبدالله لم يكن له بيت يسكنه ، فسكن في قاعة حمية الامير ناصر الدين الحسين بن ابراهيم بن الحسين بعد زواجه مـن ابنته فاطمة (٥٥) . ويذكر الاشرفاني ان السيد الامير نشـأ يتيمـا فقـيرا (٥٦) . وهـذا يفسر النزعة الاصلاحية عند السيِّد برفع الظلـم عن كاهل فئات الشعب .

اما ما يذكره ابن سباط عن الامير عز الدين صدقة المتوفى ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م . اذ يقول : انه « في أيام صدقة لم يشتهر انه قتل احدا ولا سعى في هلاك احد ، مع اتساع اقطاعاته وتقليده النيابة الواسعة ، وحدثت فـي ايامه امور كثيرة وازدادت الضرائب والمظالم في الرعية . ومع ذلك كان يفرض الحق في حكمه ويستخلص الحق ولو كان من ولده » . ويروى المؤرخ ان ولد الامير صدقة ضرب احد اولاد الفلاحين ، وكسر له سنا . فعرض الامير على والد الصبي ان يعامل ولده بالمثل ، او يأخذ خمسماية درهم حق جناية (٥٧).

ان ما ذكره ابن سباط عن الامير صدقة ، وما اورده حول حادثة ولده الآنفة ذكرها ، فيها الكثير من التكلف لاظهار رغبة الامراء التنوخيين الكبار في الابقاء على العلاقة الحسنة مع رعاياهم ، على الرغم من تحولهم الـى طبقـة ارستقراطية عسكرية في القرن الخامس عشر للميلاد .

يستدل من خلال القصائد ، التي حفظها لنا صالح بن يحي في الزهد ، ان الامراء التنوخيين عاشوا في القرن الرابع عشر حياة قانعة زاهدة ، وكـان العدد الاكبر منهم يمضي اوقات فراغه في سماع الشعر ونظمـه ، وقراءة تواريخ الاقدمين ، ومزاولة مهارات حرفية وفنية . لكن قسما آخر انصرف الى ممارسة انواع من الرياضة ، وعلى رأسها الصيد بالطيور الجوارح كالبزاة او بالكلاب والنشاب (٥٨) . وكان الصيد احد هوايات الطبقة الارستقراطية

في العهدين الزنكي والايوبي . وكما كان الصيد يعد احدى وسائل شغل الوقت من ناحية ، فانه كان مظهرا من مظاهر التنعم من ناحية اخرى ، فضلا عن انه ترجمة واضحة لحياة الفروسية والشجاعة وسمة من سمات الخلق العربي الاصيل ونجد في «كتاب الاعتبار» لأسامة بن منقذ افاضة في الحديث عنه (٥٩) . وكانت طيور الباز من احد اهم الواردات في العصر المملوكي (٦٠) . اما بالنسبة لتربية الخيول وترويضها فقد كانت احدى هوايات الامير سعد الدين خضر ، ثم اصبحت تقليدا عند امراء القرن الخامس عشر الذين اكثروا من الخيول . فالامير عز الدين صدقة « كان في اسطبله ما ينوف عن اربعين مهر ومهرة لم يروّضها راكب » (٦١) . هذا وقد اتخذ الامراء التنوخيون من الاراضي المستوية في عبيه وعرامون ميادين لإقامة حفلات السباق ، ولا تزال في عبيه منطقة تحمل اسم الميدان ، وهي منطقة تشرف عليها المباني التنوخية المتأخرة ، التي تعود الى القرن الخامس عشر .

وكان للتنوخيين تقاليد فيما يتعلق بالاحوال الشخصية تختلف عن باقي مناطق السلطنة المملوكية، هذهالتقاليد هي نتيجة اعتناقهم الدعوةالتوحيدية. ومن هذه التقاليد :

أ ـ الاكتفاء بالزوجة الواحدة ، اذ لم يصلنا ما يفيد ان احدا من الامراء التنوخيين جمع بين زوجتين . وكانت القاعدة المتبعة في الزواج عند التنوخيين هو الزواج من الاقرباء، بحيث لم يشذ عن هذه القاعدة سوى الامير بهاء الدين داود بن علم الدين سليمان الرمطوني ، الذي « خالف سنّة البيت في الزواج لأقاربهم وبنات الزامهم ذوي الاصول ، وتزوج من امرأة مجهولة الاصل تسمى عزيزة من بنات الاتراك » (٦٢) .

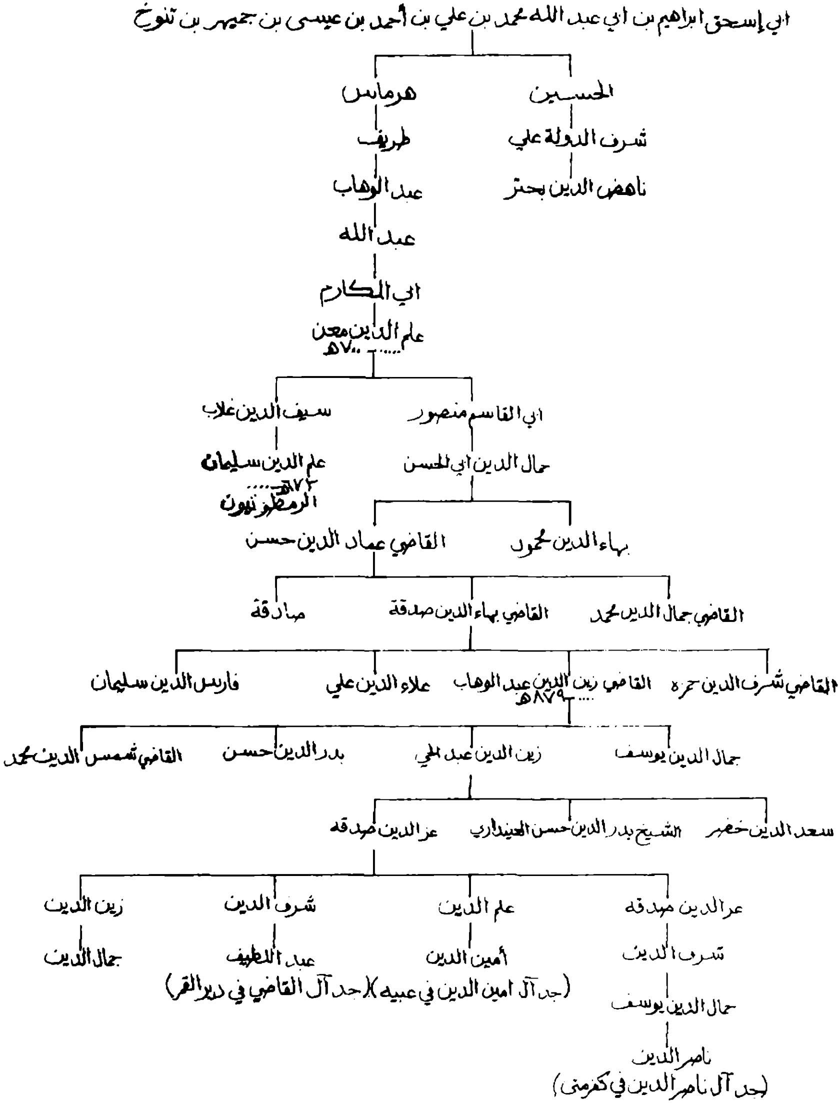
من خلال عادة التنوخيين في الزواج من اقاربهم ، نستدل ان المطاوعة من العزونية (الجرد) ، الذين تزوج منهم الامير نجم الدين محمد بن كرامة المتوفى عام ٦٤٠هـ / ١٢٤٣ م ، وبني سويدان الرمطونيين ، والاسرة التي تولت القضاء في بيصور ، واولاد معن ، الذين كانوا في عبيه ورمطون، واسرة كبّاس من معيسون (ارض زراعية في خراج كيفون ـ قضاء عاليه) من العشائر التنوخية ، وتجمعهم قرابة بالاسرة البحترية .

ب ـ وكان للوصية عند التنوخيين اهمية كبرى فهي حق على كل موحد، ، اذ يجب ان لا ينام ليلته دون كتابتها (٦٣) .

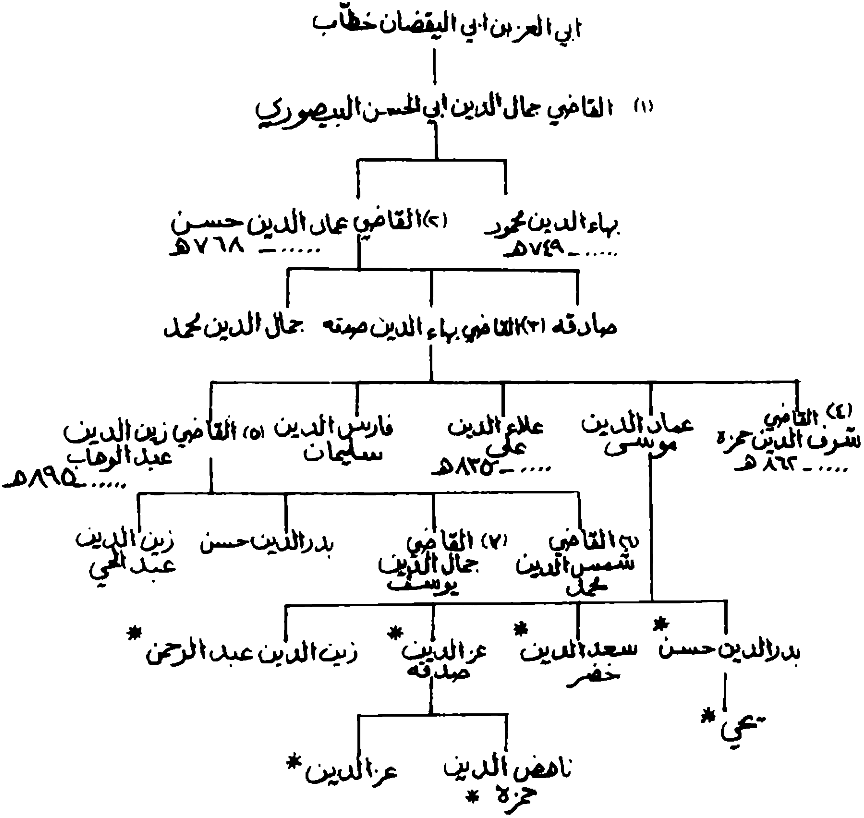
ولما تمتعت بـه منطقة الغرب من حكم ذاتي ، ولتمييز سكان الامارة التنوخية عن غيرهم فيما يتعلق بأمور الاحوال الشخصية . كـان للامـارة قاضيها المعترف بـه رسميا من نواب السلطنة بدمشق . وقد اخذ منصب القاضي الصفة الوراثية كمنصب الامير . ويذكر صالح بن يحي اسمـاء ثلاثة ممن تولوا منصب نيابة القضاء ، وينسبهم الى بيصور . اذ يرد في معرض ذكر صالح للقاضي بهاء الدين صدقة بن القاضي عماد الدين بن جمال الدين أبي الحسن البيصوري : « انه كان يتولى نيابة القضاء في الغرب على قاعدة ابيه وجده ، وكان صغير النفس ، ريِّض الخلق ، وطي الجـانب ، حسـن التدبير لحاله، عاملا بتقوى الله، محبا لاهل الخير معدودا منهم» (٦٤). اما ابن سباط فيذكر: «ان القضاء كان اولا في عين كسور لرجل يسمى اباالسرايا بن ابي القاسم بن مسند بن معتب بن ابراهيم بن ابي المعالي ، واستمر في عين كسور من واحد الى واحد الى ان صار الى ابي اليقظان ، وابو اليقظان هـو جـد جمال الدين ابي الحسن البيصوري ، وقد كان يسكن في كفر زبد قبل قدوم الى بيصور » . ثم يعطينا صورة صورة عمن توارث نيابة القضاء فـي الامار التنوخية من ابناء القاضي عماد الدين حسن ، الذي يُنسب اليه بناء الجسر على نهر الصفا المعروف بـ« جسر القاضي » ، واحفاده الذين كانوا موجودون عند توقف ابن سباط عن كتابة تاريخه عام ٩٢٦هـ / ١٥٢٠ م (٦٥) . كما وان ابن سباط يذكر وفاة القاضي علم الدين سليمان بن جمال الدين في عين دارة عام ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م (٦٦) . لكنه لا يشير الى سبب انتقال القاضي المذكور الى عين دارة .

هذا وقـد استمر التنوخيون يتولون منصب القضـاء خـلال العهـد العثماني، ويُرجع امين آل ناصر الدين اسرة القاضي في دير القمر والمناصف، واسرة امين الدين في عبيه ، واسرة ناصر الدين في كفرمتى ، الى الشيخ بدر الدين حسن العينداري التنوخي ٩٧٠ ـ ١٠٤٠هـ / ١٥٦٣ ـ ١٦٣١م ، الذي عاش في عينداره ، معاصرا للامير فخر الدين المعني ، وعند وفاته دُفن في مدافن التنوخيين في بلدة عبيه (٦٧) .

سلسلة نسب آل القاضي وعلاقتهم بالأسر التنوخية الأخرى، عن مخطوط امين آل ناصر الدين بعنوان: "تاريخ الأمراء آل تنوخ":



سلسلة القاضويين من سلالة جمال الدين ابي الحسن البيصوري عن تاريخي صالح بن يحي وابن سباط :



* موجودون على قيد الحياة عند توقف ابن سباط عن كتابة اخباره سنة ٩٢٦هـ - ١٥٢٠م .

(٦٨)

الحياة الفكرية والادبية والفنية

أ ـ الحياة الفكرية :

عُرف عن التنوخيين اهتمامهم بالعلوم ، ولا سيما التي تدور حول الدين واللغة . فقد اهتم عدد كبير من امرائهم بعلوم الدين والصرف والنحو والتاريخ . كما اهتم بعضهم بالطب وصنع الادوية ، وكذلك بعلم الفلك والنجوم والجبر والمقابلة والحساب والهندسة . ويقول عنهم سليمان ابن نصر : « انهم علماء في الطاعة ، ابرار واخيار لهم الدين والوراعة » (٦٩) .

ومن الذين برزوا في مجالات العلوم الامير شهاب الدين احمد بن صالح بن الحسين المتوفى عام ٧٨٣هـ / ١٣٨١م ، الذي « كان ذا عقل وعلم ودين ، وجمع محاسن كثيرة منها الكتابة الجيدة ، والبلاغة ونظم الشعر وحسن النظر في الامور ، ومحبة اهل العلم ، واشتغل بعلم النحو ومعرفة الكواكب » (٧٠). والامير فخر الدين عثمان بن يحي المتوفى ٧٩٦ هـ / ١٣٩٤م ، الذي يحدثنا عنه اخوه صالح بـ « انه رغم حداثة سنه حوى فنونا من المعارف مع كتابة حسنة ، وكان له رغبة في مطالعة الكتب وتواريخ الاقدمين ، وله معرفة في القريض والنثر سريعة لانتاج المعاني وانشاء الكلام ، وكان له معرفة بالجبر والمقابلة وصناعة الحساب » (٧١) . وكذلك الامير صالح بن يحي الذي ترك لنا تاريخه الذي اعتبره « تذكرة في اخبار السلف من ذرية بحتر بن علي امير الغرب ببيروت » ، والتي جعلها « وقفا على البيت » (٧٢) . فجاءت هذه التذكرة تاريخا لبيروت وسجلا لواقع الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمنطقة الغرب في العهد المملوكي ، وامتاز كتابه بدقة المعلومات الواردة فيه والامانة العلمية الى حد يصعب نظيره (٧٣) . ويصف ابن سباط صالحا بأنه : « الامير الكبير والعالم المشهور في الذكاء والفراسة ، وكان

مغرما بالعلوم وجمع الكتب في علم النجوم والكواكب (٧٤) .

كما يحدثنا صالح وابن سباط عن امراء تنوخيين اشتغلوا في مجال الادب وقرض الشعر ، ومن اشهرهم الامير ناصر الدين الحسين يليه عدد كبير من امراء عصره كالامير شجاع الدين عبد الرحمن بن حجى ، والامير علم الدين سليمان بن غلاب الرمطوني ، والامير جمال الدين حجى بن احمد بن حجى ، ثم الامير سيف الدين يحي بن عثمان في القرن الخامس عشر . فالامير الحسين ازدهرت في ايامه الحياة الادبية (٧٥) .

هذا ومن الملاحظ أن تعاطي الامراء التنوخيين الكبار العلوم ، اختلف في القرن الخامس عشر عنه في القرن الرابع عشر ، وذلك بعد عهد الامير شرف الدين عيسى بن احمد بن صالح المتوفى ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م ، والذي يقول عنه صالح بن يحي : « انه جمع بين علم ودين ودنيا » (٧٦) . ففي حين كان الامراء الكبار في القرن الرابع عشر يتعاطون العلوم بالاضافة الى مراكزهم السياسية ، كالامير زين الدين صالح بن الحسين ، « الذي كانت له معرفة بالطب وكان يصنع الادوية ويوزعها على المحتاجين برسم الثواب » (٧٧) . والامير فخر الدين عثمان (اخي المؤرخ) والامير شهاب الدين احمد اللذين اشرنا اليهما .

هذا وكنا أشرنا الى ان بعضا من الامراء الكبار في القرن الرابع عشر ، تداولوا مهنا ومهارات عديدة . اما في القرن الخامس عشر فان الامراء الكبار لم يعودوا يمارسون العلوم ولا المهن بأنفسهم ، كما توقفوا عن الاهتمام بالعلم واهله باستثناء الامير زين الدين عمر بن صدقة المتوفى ٨٦١هـ / ١٤٥٦ م ، الذي « كان له عناية بالعلم واهله » (٧٨) . ولعل السبب الرئيسي في هذا التحول يعود الى التغيير في طبيعة الامارة ، التي توسعت شؤونها وقوي سلطانها ، واصبحت ذات طابع ارستقراطي عسكري ، ففاق اهتمام الامراء الكبار بالخيول وسروجها المذهّبة والثياب والعمائر الشاهقة على الاهتمام بالعلم واهله . هذا لم يمنع الامراء من الدرجة الثانية من الاشتغال بالعلوم المختلفة مع ايلائهم الاهتمام الاكبر للعلوم الدينية .

هذا وقد وفد الى بلاط الامراء التنوخيين بعض المشتغلين بالعلوم وصنفوا برسمهم كتبا ، نذكر منهم شهاب الدين احمد بن الصلاح البعلبكي

الطبيب المشهور ، حسب ما وصفه صالح بن يحيى ، الذي صنف للامير ناصر الدين الحسين مختصرا في حفظ الصحة واسماه « تعديل الاسباب الضرورية » (٧٩) .

السيّد الامير جمال الدين عبدالله بن سليمان ٨٢٠-٨٨١هـ / ١٤١٧-١٤٧٩م

اشهر علماء التنوخيين على الاطلاق الامير جمال الدين عبدالله بن سليمان الشهير بالسيّد ، الذي عُرف بسعة علمه وتنوع معارفه ولا سيما في علوم الدين . جاء ميل السيّد الامير الى العلم مبكرا ، فأخذ ينهل من العلم والمعرفة حيث وجدهما . وتحدثنا سيرته انه بعد ان جوّد الكتاب العزيز «اخذ يطوف في البلاد مشيا على قدميه يزور الاجواد طلبا للعلم والافادة»(٨٠) . وينفرد ابن سباط بوصف مكتبة السيّد الامير القيّمة التي حوت على عدد ضخم من الكتب حيث « جمع فيها اكثر الكتب اللغوية ، وقصص الملوك ، واخبار الانبياء ، وكتب التواريخ ، ودواوين الشعراء ، والاخبار النبوية ، والكتب الفلسفية ، وكتب الفقه على المذاهب الاربعة ، وكتب النحو . هذا فضلا عن الشرح والتفاسير للقران » (٨١) .

رأى السيّد الامير الحالة الاجتماعية السيئة التي تعاني منها البلاد ، فلم يجد بدأ من ان يقرن العلم بالعمل فحمل على كتفيه رسالة عظيمة هي تهذيب واصلاح المجتمع والقضاء على المفاسد والشرور الاجتماعية ، فكانت وسيلته بالاضافة الى تجنبه الشديد لمن كان من أقاربه على علاقة بالدولة . ونصحه للناس بعدم التعلق بخدمة الحكام والوقوف في ابوابهم ، فانه اخذ يتجول في القرى « ناهيا وآمرا وواعظا وبالحق صادعا » (٨٢) . ونهى عن كل الشبهات والشهوات والخمور والمنكرات والربا ، وحضّ على الصلاة وبناء المساجد وتجديد الجوامع والقراءة الصحيحة للقرآن (٨٣) . وعندما ذاع صيته ، وانتشر ذكره بدأ الناس وبصورة خاصة الاحداث والفتيان بالتوافد عليه ، و « اختار جماعة من التلاميذ المهم اليه وقرّبهم بين يديه » (٨٤) .

كان اختيار السيّد الامير لتلاميذه بحيث يكونون من مناطق متباعدة ، وقام بتعليمهم العلوم التي تضلع بها من صرف ونحو ولغة، بالاضافة الى علوم الدين ، وكان هدفه من ذلك ان يوفد من بلغ من تلاميذه شأوا مرموقا في العلم

الى منطقته ليكون معلما ومرشدا فيها . وكان تلاميذه يتجولون في القرى لافادة الناس ، كما رتب كل منهم مجلسا خاصا كمجلس الامير استقطب المريدين . هذا وجعل السيد الامير « فقهاء لتعليم الاولاد في اماكن عديدة » ، ومن الفقهاء الذين وصلتنا ترجمة لهم وقاموا بالتدريس ، الفقيه شهاب الدين احمد بن صالح الشهير بابن سباط (والد المؤرخ حمزه) . وكان خطيب جامع بلدة عبيه في ايام السيّد الامير وكان من تلاميذه الاوائل (٨٥) . وكان السيّد الامير يعطي اجرة التعليم عن جميع الايتام في جميع البلاد قريبا وبعيدا»(٨٦)، فكان الامير وتلاميذه قدوة صالحة للناس بأخلاقهم وافعالهم ، ونسبوهم الى معلمهم فعرفوا بجماعة السيّد ، كما عُرف السيّد بـ « معلم الخير » (٨٧) . .

تخوّف الامراء التنوخيون من توافد الناس على السيّد الامير ، وقد يكون لهم دور في رحيله الى دمشق، الى جانب سعيه الى طلب المزيد من العلم فيها . فيذكر كاتبو سيرته ان رحيله الى دمشق كان بسبب ما أقامه عليه أهل الاباطيل والاشرار في البلاد . ويقول ابو علي مرعي : « ثم اقاموا عليه اهل الاباطيل فتنحى الى بلاد الشام وسكن بدمشق » (٨٨) ، كما يذكر سليمان ابن نصر : « ان الاشرار واهل الغفلة المتمرحين في ميادين وسع المهلة ، استصغروا منشأه ، واهملوا مبناه ، وجهلوا معناه ، فزادوا فيه ونقصوا ، وتحولوا عنه وما اخلصوا . وقالوا : اطلق اوامر لم يسبق اليها ولا تكلموا العلماء الاوائل فيها ، لذلك طعنوا فيه وبمن به اقتدى » . الى ان يقول مشيرا الى دور اقاربه في رحيله الى دمشق : « وتحوّلت الاخيار عن اولادها وزهدت الاصايل في اجدادها » (٨٩) .

امضى السيّد الامير في دمشق مدة حددها الاشرفاني باثنتي عشر سنة، فجاور علماؤها يستفيد ويفيد . كما انه وجد فيها مجالا ارحب للدعوة الى مبادئه الاصلاحية . حيث يقول الاشرفاني : « اقام بدمشق على السمت القويم والطريقة الحسنة ، واظهر بها ما كان اظهره بالبلاد من الامر بالمعروف والميزة بين العباد ، والنهي عن الشهوات والشبهات والخمور والمنكرات ، وكان له من المستفيدين ، والقائمين معه على المناكر والمحقين عوالم كثيرة » (٩٠) .

عاد الامير الى موطنه ، وقد تضلّع بعلوم ومعارف جديدة ، وبعد ان صارت له السيادة في اوساط واسعة ، فأطاعته الناس واكابر الجهات

ومشايخ البلاد ، واصبحت مكانته ومكانة تلاميذه في مجالسهم اقوى سلطة من الحكام الدنيويين (٩١) .

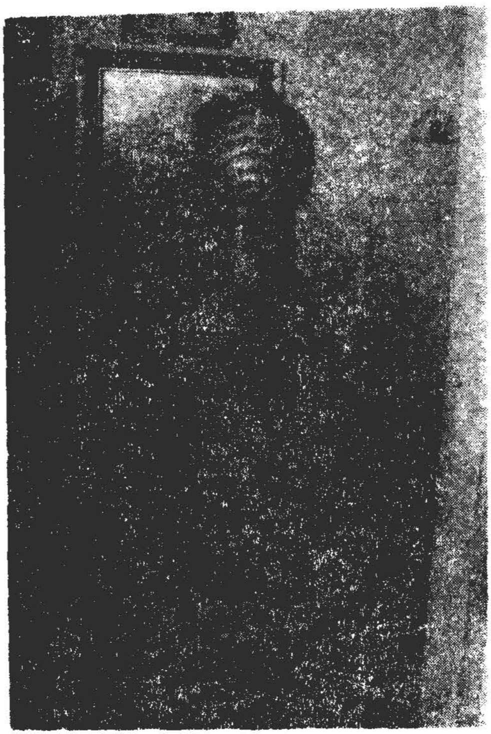
تكاثر على السيد توافد الناس وطلاب المعرفة ، وكان قد خصص يوما من ايام الاسبوع يجتمع فيه بأكابر الناس ، والتلاميذ لاجل الافادة والمباحثة في غوامض العلوم الفقهية والروحانية ، كما خصص اوقاتا لاستقبال من يحضر اليه ممن كانوا على اختلاف بينهم في امور الدنيا ، ويذكر ابن سباط : انه « كان يفد اليه العديد من النصارى واليهود ويسمعون له ويمتثلون ما يحكم به ، ويرجعون راضين بقضائه » . كما يذكر ان السيد الامير « عظم أمره ، وارتفعت اعلامه ، وانصف الخصوم ، وقهر الظالم ونصر المظلوم، وكفّ الناس عن البلية ، فحسنت احوال الناس في جميع الجهات وتجنب المفسد الفساد ، وصارت البلاد في احسن حال من الرخاء وطيب العيش » (٩٢) .

ويصف ابو علي مرعي ازدهار الحركة العلمية ، التي نعمت بها الامارة التنوخية في ايام السيّد الامير قائلا : « كانت البلاد في ذلك الزمان لا تسمع الا هذا حفظ ، وهذا علم ،وهذا فهم ، والدنيا شابة ، وزمانها كأنه ربيع ، والخير يافع والشر ذابل » (٩٣) .

في عصر السيّد الامير اصبحت عبيه الى جانب كونها قاعدة الامارة التنوخية ، قبلة طلاب الحقيقة والحق ، ومنارة هدى وارشاد تنطلق منها الاضواء الى جميع الآفاق (٩٤) . ومدرسة السيّد الاصلاحية الدينية لا يزال أثرها حتى يومنا هذا ، وله في قلوب مريديه وخاصة عند (الموحدين) الدروز كل احترام وتقدير . هذا ولم يزل ضريحه في عبيه مقصدا للمؤمنين المتبركين والناذرين ، كدليل على هذا الاحترام والتقدير .

لم يقتصر جهد الامير الفكري على التعليم ، بل ترك العديد من المصنفات واشهرها بين الموحدين (الدروز) ما يعرف بـ « شروحات السيد »، وهي شرح مستفيض على بعض الرسائل الدينية التوحيدية . وله كتاب في السيرة النبوية بعنوان « سياسة الاخيار في شرح كمالات النبي المختار » . وله معجم فريد للغة العربية بعنوان : « اللغة العرباء » (٩٥) ، ويعرف في الاوساط التوحيدية بـ « سفينة اللغة » . وللامير عدا مؤلفاته ابحاث وادعية وكلام مأثور .

ان سيرة السيّد الامير جمال الدين عبدالله التنوخي اوسع من ان تستوعبها هذه العجالة من البحث ، وما كان يهمنا التركيز عليه هو الجانب الاصلاحي الذي انتهجه السيّد الامير في حياته فأكسبه خصومة الامراء ذوي السلطة وبخاصة من اقربائه ، كما اكسبه ولاء وصداقة عامة الناس . مع العلم ان حركة السيّد الاصلاحية لم تقتصر على مناطق حكم التنوخيين ، بل انه تابعها في دمشق . بحيث يمكن القول ان نضاله من اجل اكتساب العلم والمعرفة رافق نضاله من اجل احقاق الحق ، ونشر العدل بين الناس . لكن هذه الشخصية الفنية تحتاج الى بحث مستقل تبرز مختلف جوانبها الفذّة.



ضريح السيّد الامير جمال الدين عبدالله التنوخي

ب ـ الحياة الادبية :

الشعر عنصر من عناصر الفذاء في الامارات الاقطاعية عند كل الامم والشعوب ، يماشي الفروسية وينعكس على ابهتها ، ويكون وشيا لطرازها وشدو غنائها . كما ان نزعة الشعر في الاصل جزءا من طبيعة العربي على الخصوص ، وهي من غرائزه النامية جاهلية واسلاما ، بادية وحاضرة (٩٦) . هذا وعند استقرار قواعد الامارة التنوخية ، ولم يكن في مقدور امرائها تصوّر امارة بغير مظاهر الابهة والعظمة ، واتخاذ الحاشية وعقد مجالس الشعر ، ومنح الهبات والاعطيات ؛ وذلك وجه من أوجه الرئاسة ومظاهر ممارسة السلطة وجلال الحكم .

لذا تميزت الحياة الادبية عند التنوخيين باهتمام امرائهم بالشعر ، ومجالس الشعر ، وقرض الشعر . وكان شعر بعض الامراء يبلغ من الجودة مبلغا يجعلهم من عداد المجيدين من شعراء عصرهم (٩٧) . لكنه لم يصلنا ما يعطينا صورة عن الحياة الادبية في الامارة التنوخية قبل عصر الامير ناصر الدين الحسين الكبير المتوفى ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ، الذي قال صالح بن يحي عنه : « كان سيدا من السادات المعدودين ، نال الرتبة العالية في قومه ، وشيّد البيت (البحتري) ، وولي رئاسته وسياسته . وكانت ايامه غرر الايام ، وزمانه زائد الابتسام ، ... وكان الزمان ساكنا بأهله راقدا عن الحوادث ، .... وكانت كتابته مليحة مع بلاغة وفصاحة ، كما كان يحب سماع الشعر وحفظه . وقيل انه كان يحفظ اغلب ديوان شعر المتنبي ، وكان يسأل اصحابه عن نسج ديوانه القديمة فيحضرونها له ، وقد وُجد بين كتبه اربع نسخ من ديوان هذا الشاعر (٩٨) ، وهي اقدم النسخ واعتقها . ونظم الشعر الرقيق ، ورغب في جمع الكتب ، وحصّل منها شيئا كثيرا اغلبها دواوين شعر وتواريخ . وكان قد اشتهر اسمه ، فقصده الناس ومدحه الشعراء » (٩٩) ، على ان اشهر الشعراء التنوخيين الامير سيف الدين يحي بن عثمان (٧٨٩ ـ ٨٦٤هـ / ١٣٨٧ ـ ١٤٦٠ م) ، الذي يقول عنه ابن سباط انه : « فاق الاولين والآخرين » (١٠٠) . ويصفه الاشرفاني بـ « شاعر الدارين » (١٠١) .

وقد وصلنا قصائد وابيات للامراء التنوخيين ، كما وصلنا للامير سيف الدين يحي ديوان يتضمن ست عشرة قصيدة وست مقطوعات (١٠٢) . نظم

الامراء قصائدهم في مناسبات مختلفة ، وموضوعاتها تراوحت بين المديح والوصف والرثاء ، واكثرها في الزهد والورع . لكن تلك القصائد والابيات التي وصلتنا لا تخلو من الركاكة ، فالى جانب البيت الذي تراه مستقيما من حيث مبناه ومعناه ، ترى ابياتا يشوبها الضعف من حيث عدم استقامة وزنها ، او من حيث الاخطاء النحوية فيها . ناهيك عن كثير من التعابير العامية ، التي أخلّت احيانا بالتركيب الشعري واضعفته .

وان القاريء ليتساءل كيف يجتمع لنفس الشاعر ، وفي نفس القصيدة ابيات موزونة وجيدة من حيث معناها ، بحيث يمكن نسبتها الى الشعر الجيد الى جانب ابيات ركيكة مليئة بالاغلاط اللغوية ، ومختلّة الوزن . ربما يقع بعض المسؤولية على النسّاخ الذين كان قسم منهم لا يجيد قواعد اللغة مما كان عرضة لأخطاء في القراءة . لكن لا شك ان الشعر في زمن التنوخيين كان يعاني من الضعف والركاكة ليس لدى شعرائهم فحسب ، بل بشكل عام ، اذ مما يؤخذ على الادب شعرا ونثرا في العصر المملوكي ضعف اللغة الفصحى نتيجة للاختلاط بالأعاجم ، فضلا عن دخول كثير من الالفاظ العامية (١٠٣) . لكن لا يحق لنا بأي وجه تصويب ما نراه غير مستقيما في شعر التنوخيين ، او في شعر غيرهم ممن مدحهم ، ما لم يكن لدينا سند يؤكد خطأ النسّاخ . ومن الامراء التنوخيين ، الذين وصلتنا بعض اعمالهم الشعرية :

الامير ناصر الدين الحسين بن خضر الكبير :

رعى الامير الحسين حركة علمية وادبية شهدتها الامارة التنوخية في النصف الاول من القرن الرابع عشر للميلاد . وانقطع الى بلاطه العديد من شعراء عصره ، امثال شمس الدين محمد بن علي بن محمد الغزّي ، المعروف بابن ابي الطرطور المصري المولد والمحتد ، والغزّي المنشأ ، المتوفى عام ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م ، والشريف ابراهيم بن اسماعيل بن المحسن العراقي ، واحمد بن يعيش الحلبي ، واحمد التونسي المغربي وغيرهم . وقد صنّف الغزّي « مقامة مشتركة في مدح الامير الحسين واقاربه جميعا وجعلها برسم الامير ناصر الدين الحسين ، وذكر نسبتهم اصلا وفرعا ، وجعلها على قواعد النحو وأجاد فيها غاية الاجادة » (١٠٤) . كما صنّف الشريف ابراهيم العراقي كتابا برسم الامير الحسين، اسماه: « رياض الجِنان ورياضة الجَنان »، وصفه صالح بن

يحي بأنه « من أنزه الكتب، واحسنها فرجة، اتى فيه بنوادر ملح ولطايف وكل معنى نفيس » ، هذا بالاضافة الى مدائح الشاعر المذكور للامير الحسين واقاربه (١٠٥) . اما الطبيب المشهور شهاب الدين احمد بن الصلاح البعلبكي فقد صنّف للامير الحسين مختصرا في حفظ الصحة أسماه « تعديل الاسباب الضرورية » » (١٠٦) ، كما نسخ شرف الدين يعقوب بن عبد الحق للحسين « كتاب مرآة الزمان » ، وغيره من الكتب ، فبلغ عدد ما نسخه نيف وثلاثين مجلدا (١٠٧) .

وحفظ صالح بن يحي في تاريخه عددا من قصائد الامير ناصر الدين ، اخترنا منها :

في الوصف :

بعد بناء الامير الحسين حماما في بيروت باسم نائب الشام سيف الدين تنكر نظم الامير قصيدة لتعلّق على باب الحمام ، من ابياتها :

وحمام يروقُ العين حسناً　　تحيطُ بهِ المسرّة والنعيم .
يُريكَ الماءَ يسرحُ فوقَ درٍ　　تزولُ به لمنظرهِ الهموم .
كأن قبابهُ والجامُ فيه　　سماء طالعات بها نجوم . (١٠٨)

في الرثاء :

ومن رقيق شعره في الرثاء عند وفاة طفله بحتر عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧ م :

أيا بحتر يا مهجتي　　يا من له أصبحتُ ثاكل .
سوّدت أيامي فلم　　أدرِ الغُدُوَّ من الأصايل .
وأطلتَ ليلاتي وكنّ　　بك القصيرات القلايل .
ووسيلتي قد كنت أنت　　فخُيِّبت فيك الوسايل . (١٠٩)

ومن قصائد الحسين في الرثاء قصيدة في رثاء اخيه الامير عز الدين الحسن ، الذي قتل في الكرك اثناء حملة عسكرية شارك فيها كقائد لقوات الإمارة التنوخية سنة ٧٤٠هـ. :

ان كنتَ لـي من الأنام صاحباً   قف بالرّبوع واندب الحبايبا •
ويلاه مـن جـور زمانٍ غادرٍ   قـد خانني فيـه بسهم صائبا •
يا أسفـي فقـدتُ سيفاً قاطعاً   قد كان عنّي في الحروب ضاربا •
وهـدّ منّـي قوتّي وصحتي   وأصبـح العيش مريـراً ذاهبا •
لمـا أتَتْ خيولـهُ مهلوبةً   وأصبحـت منقـادة جنايبا •
ناديتهـا ويلـَكِ مـاذا فَعلت   صروف دهـري بالعزيز الغالبا •
قالت فقدت العِزّ والليثُ الذي   تـرى الليوث عنده تعالبا • (١١٠)

ومن قصائده التي يرثي بها الامير شجاع الدين عبد الرحمن بن حجى ، جاء فيها :

قد زرتُ قبركَ يـا ابـن العم مسلـّما
وله الزيارةُ مـن أقـلّ الواجبِ •
ولـو استطعت حملـت عنـك ترابه
ولطـالمـا عنّـي حملـت نوائبي •
ودمـي فلـو أنّـي علمـتُ بأنّهُ
يروي ثَراكَ سقاه صـوب الصائب •
لسَفكتُهُ أسفـاً عليـك وحسرةً
وجعلته بمكـان دمعي الساكب • (١١١)

ومن قصائد الحسين ، التي تلقي ضوءا على تعامل الامراء التنوخيين مع الفلاحين ، احداها الموجهة الى احد امراء المماليك في ايامه ، وجاء فيها :

ما أحسن العـدل والاحسان بالامرا
اذا تولوا أمـور النـاس والرتبِ •

فارجع الى الله عن كسر القلوب وعـن
ذمِّ الرجالِ ومـا فيه من النصبِ •

ومـا يدوم سوى فعـل الحميد ومـا
توليه من حسن مسطورٍ في الكتبِ •

فاتقِ الله فـي قـولٍ وفـي عمـلٍ
ولا تكـن للأذى والعسف من سببٍ • (١١٢)

الامير جمال الدين حجى بن احمد بن حجى المتوفى ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م

يقول صالح بن يحي عن الامير حجى انه : « كان عنده معرفة وفصاحة ، ولم ينشأ في البيت اقوى قريحة منه في نظم الشعر ، وكـان ينظم الشعر ارتجالا ، وسمي شاعر البيت » . لكن لم يصلنا من شعر حجى المذكور سوى ثلاث ابيات من قصيدة قالها بعد سكنى الامير ناصر الحسين داره الجديدة ، التي بناها قرب البحر ببيروت مطلعها :

جـادَ الربابُ ريـادَ نـوهٍ خُلُقِ
وأصـاب نيزكها سحـابٍ مغدقِ •

ومن ابياتها :

أنستـم الـدار الجديـدة مَغربـاً
وأوحشتُمُ الدار العتيقةَ مَشرقِ •

مـا أبصَرتْ عينـاي بحـراً جامِعاً
فـي جامعٍ من فوق بحـرٍ أزرقِ • (١١٣)

الامير شجاع الدين عبد الرحمن بن جمال الدين حجى المتوفى عام ٧٤٩هـ

« كان الامير شجاع الدين راغبا فيما عند الله ، زاهدا فيما عند الناس، اوفى بالخلافة لأبيه رحمة الله عليه الامير حجى . وسلك طريقة والده فـي

المسالك الحميدة والزهد والقناعة والعبادة . كان بين الصفار كأحدهم ، وبين الكبار أكبرهم ، وفاق اهل زمانه بالعلم والعقل والحلم والآداب . ما رأته زوجته عضب قط . وكان يغمض عيناه وقلّ ما يفتحها حتى يتلو الكتاب العزيز سردا عن ظهر قلب . كما كان كثير التلاوة في المصحف الشريف . وكان محبا للاجواد حنونا على الفقراء رؤوفا بالمساكين وله قبسات شعرية اكثرها في الزهد والورع والاعتقادات الجيّدة ومحبة الاخوان » (١١٤) . لم تصلنا من قصائده سوى واحدة اثبتها صالح بن يحي في تاريخه ، قالها عندما ألزم اقاربه بسكنى بيروت ، وتركوا عبيه :

الله يَعلمُ ان عندي منكُمُ ... ما لا تسطّرُ بعضَه الأقلامُ .
أكلي وشربي قد تنغّصَ بعدكُم ... ولذيذ عيشي ما به إلمام .
وجفونُ عيني آلفت لفِراقكُمُ ... طولَ السّهاد وقلّة الاحلامُ .
ومتى ذكرتُ وصالكم ودنوّكم ... سكبت هواطِل دمعَها أرهامُ .
يا ليت شعري ، هل تعودُ لياليا ... كانت لنا وكأنّها أحلامُ .
والشّمل مجتمع بأفضل سادةٍ ... سادوا الورى وكأنّهم أعلامُ .
نظرُ الديارِ وفقدُ من كانوا بها ... زادَ الفؤادَ صبابةً وهيامُ .
نادي وأطلبُ من مجيب فلا أرى ... الا الديارَ فما تردُ كلامُ .
يا دهرُ قد شتّت شَملي بعدما ... قد كان ملتئماً بحُسنِ نظامُ .
صابت سهامُ الدهر كلَّ مقاتِلي ... فمقاتلي دمّي عليه حزامُ .
هل بعدَ هذا البُعدِ يجمعُ شملنا ... صرفُ الزمان وترجع الأيامُ .
هيهات ما قد فات منهُ راجع ... يوماً ولا يُبلغ اليه مرامُ . (١١٥)

الامير علم الدين سليمان بن سيف الدين غلاب الرمطوني الكبير ٦٧٣ ـ ٧٤٦ هـ

« كان الامير علم الدين رجلا جليل القدر ، عظّمه الناس ، ونظروه بعين الوقار ، وكان مشهورا بقوة النفس والحدة بالحق والفلظة على الباطل ، ولما كان معاصرا للامير ناصر الدين الحسين فكان الاخير يعتني بأمره . وللامير علم الدين شعر رقيق ، كما مدحه الشعراء » (١١٦) .

ويبدو من خلال الابيات التي حفظها صالح بن يحي للامير المذكور طغيان الجانب الديني على تفكيره ، اما من حيث الشاعرية فالركاكة والضعف باديان، بحيث يصعب ادراج نظمه في باب الشعر ، اذ ربما عاد ذلك الى كون عصره عصر انحطاط في اللغة والادب ، ومن رقيق شعره :

يا سيِّدي وإلهي أنت العليمُ بحالي •
يا من اليه مصيري ومن عليه اتكالي •
إرحم لضُعفي وارثي لذلتي وانتحالي •
ولا تؤاخذ لعبدٍ أضحت ذنوبه ثقالي •

ومن نظمه :

قنعتُ من ربِّي بحسنِ العملْ هذا هو القصدُ وكل الأملْ •
إن قلَّت الدنيا وقلَّ العنا فالأصلُ عند اللهِ خير العملْ •
يا معشر الناس فلا تغفلوا فالموتُ والعرضُ يجيبكم عجَلْ •
واستيقظوا قبل حلول القضا واستعملوا الخوف وكُثر الوجلْ •
واستدركوا فارطَ ما قد مضى من سوءِ نيَّات وكُثر الخَللْ •
وتسابقوا للطاعات قبل الجزا واستعملوا الخيرات قبل الخجلْ •
من قبلِ يومٍ كم امرىءٍ منكمْ يَعضُ كفَّيهِ على ما فَعلْ •(١١٧)

الامير سيف الدين يحي بن عثمان المتوفى عام ٨٦٤هـ / ١٣٦٠ م

يعتبر الامير يحي قمة ما وصل اليه الشعر لدى التنوخيين . وقال عنه ابن سباط « انه فات الاولين والآخرين في شعره » ، كما لقَّبه الاشرفاني بـ « شاعر الدارين » (١١٨) .

قرض الامير الشعر يافعا فبرع فيه ، وكغيره من الشعراء الشباب اخذ يتغزّل بالفتيات ، ويشبب بالحبيبات ، ويمدح الامراء. فذاعت للامير قصائد فيها كل جميل ورائع ، حتى اصبحت الخاصة تلهج بالشاعر وتعجب بعبقريته وجودة صياغته ، وكانت تضيف الى تقديره اميرا وابن امير تقديره شاعرا

ملهما (١١٩) . واشهر قصائده الغزلية ، ومطلعها :

بـاحَ الفؤادُ بسـرٍ غير مُنكتِمِ
ونمَّ دمعي بمـا عندي مـن الألمِ •

ومن ابياتها :

ورحت أشكو لمـن أهوى فَعَارضني
وقال : إنـك فـي الدعوى لَمتهمي •
فقلتُ : لو انـي قـد كنـت مدعياً
ما فاضت العين في يوم النوى بدمِ •
ولا تمـايلتُ مـن ذكراكـمُ طربـاً
كمـا تميل غُصون البـان بالنَّسمِ •
والله والمصطفـى المبعوث منـه لنـا
وحُرمةِ الدين والقـرآن والحرمِ •
مـا لـي سواك حبيب لا ولا عوض
كلاّ ولا بـدَل فـي سـائر الأممِ •
ان كان سفك دمـي أقصى مُرادكمُ
فما غَلتْ نظرة منكم بسفكِ دمي • (١٢٠)

وهي قصيدة غزلية طويلة تسير على منوال جميل بثينة ، وفيها نفحات ابن زيدون ، ويمكن ادراجها تحت الغزل العذري حتى ان الامير الشـاعر سمى بمحبوبته الى درجة التقديس والعبادة . ويقال ان السيِّد الامير جمال الدين عبدالله التنوخي استدعاه من اجلها ونصحه بأن يصرف شعره نحـو التغزّل بعظمة الله وجلاله (١٢١) . ويبدو ان الشـاعر استجاب لرغبة السيِّد الامير ، وزهد زهدا كبيرا بالدنيا وملذاتها ، واتجه بكل كيانه الى الله سبحانه وتعالى مقتد بالزهاد المتصوفين ، وصرف شعره نحو الورع والزهد ، لا سيما انه كان قد اصبح وقتها في عهد الكهولة (١٢٢) . ويعتبر الاستاذ فؤاد ابو زكي

ان الامير يحي « تخطى عصره بشعره البليغ السلس وبتمسكه بعمود القافية ووحدة القصيدة وبآرائه في الزهد والحكمة والفلسفة ، وبنظمه في الفنون الادبية كالغزل والمدح والوصف والهجاء والاعتذار ، وشهرته في اوساط بني معروف (الدروز) وحفظهم لها بتواتر النسخ لتجاوبها مع روحانياتهم ، بعد ان حوّل عن التشبب بالصبايا الى الفزل بجلال الله ، ومدح الامراء الى مدح الواحد الأحد » (١٢٣) .

ومن قصائد الامير يحي في الزهد والورع قصيدة مطلعها :

تجري الأمور وما للمرءِ معتبر
حتى تحِلّ به في نفسه العِبَرُ .

ومن ابياتها :

والنفسُ أمّارَةٌ بالسوء ان طَلبتْ
أمراً يهونُ عليها المسلك الوعِرُ .
عدوّ كلّ لبيبٍ نفسُه ، فاذا
ما استحكمتْ منه لا تُبقي ولا تذرُ .
فجاهِد النفسَ عصيانا وكُن رجلاً
ما عندهُ للهوى إثر ولا خبرُ .
فراقبِ الله في مسعاك مُحتذراً
فالله أسرعُ مكراً بالألى مكَروا .
والنفسُ أعدى عدُوٍ تتّقيه فكُن
من شرّها دون كل الشر تحتذِرُ .
قد تستطيع فراراً من مُحاربةٍ
والنفسُ لا هَرَب منها ولا سفرُ .
كلّ الجهادِ جهادُ النفسِ أكبَرهُ
عن الهوى لا لأعداء وإن كثُروا . (١٢٤)

ومن قصيدة بعنوان : « توسل » يقول الشاعر :

إلهي أقلني من ذنوبي وعثرتي
فانّي في بحر الخطايا لسابح •
إلهي وذنبي هيَّج الوجد في الحشا
عساك أيا مولى العباد تسامح •
إلهي بلطفٍ منٍّ بنظرةٍ
لأسلم بها من داهيات الفضائح •
إلهي أجزني من عظيمِ ندامةٍ
بيومِ اللّقا والدمع جارٍ وسابح • (١٢٥)

ومن قصيدة اخرى في الزهد بعنوان : « نيل النعيم » :

ما طول عمرِ المرءِ إلا خسارة
اذ لم يكن عنهُ الثناءُ جميل •
ولكن بطول العمر مع قلّةِ التُقى
يكون شقاه في المعاد طويل •
وإن الذي لم يتقِ الله ما له
الى مكسب الذكر الجميل سبيل •
ومن رام حسن الذكر خوفاً من الورى
رياءً لهُم فالأجرُ فيه قليل •
وللمتّقي في أجل البعث جنّة
وفي عامل الدنيا الثناء جميل •
ومن لم يخف إثم الذنوب فانّه
وان شجّعته نفسه لذليل •

ومــن كــان مغروراً بصحَّة جسمهِ
ولــم يعــرف المعروفَ فهــو عليل •
ومن لم يكـُن مــن سطوةِ الله راهباً
وكـــان يسمــى فيصــلاً نرذيل •
ومــن كــانَ مخدوعــاً بتكثير ماله
ولــم يفعــل الخيرات فهــو بخيل •
ومن كان في الخيراتِ والفضلِ راغباً
فــذاك الــى نيل النعيمِ وصول • (١٢٦)

الشاعر محمد بن علي الغزّي :

يعتبر صالح بن يحي الشاعر الغزّي انه « شاعر السَّلف » و « البيت » والمقامة ، التي صنفها في مدح الامير الحسين واقاربه كانت مشتملة على النظم والنثر . ويسير الغزّي في النثر على الترسل والسجع . وكــان شعر الغزّي لا تشوبه الاخطاء اللغوية والخلل كما هي الحال في اشعار مَن عاصره مِن الامراء التنوخيين .

وفي مدائح الغزي للحسين يقول :

« وهل في الشام تشام غير بروق سحائبه ، او يروق غير جمال كتبه وجميل كتائبه . فالجد والجدوى وقف على سيفه وقلمه ، والعفاف التقوى من طباعه وشيمه ، غالبا بآرائه الفنية عن الرايات ، بالفا الآية غايات النهاية ونهاية الفايات ، مع كتابة كالروض باكرة من كفّه وسمي الغمام، وبلاغة تفعل بالعقول ما لا يفعله المدام » .

ثم يقول شعرا :

حيـَّا الحيــا غرب بيروت ومــن فيــه
وجود كفّ بــن سعد الدين يكفيه •

غرب غــدا مشرقاً للجــود مــا برحت
شمس المكارم تضحي فــي ضواحيه •
ثغــــر بأبنــــاء عبدالله مبتســم
فهــم الشنب المعســول فــي فيــه •
فللجحــافل مــــا تحــوي حشاشته
وللمحــافل مــــا تحــوي أياديه •
وللفضــايل والأفضـــال مَنطقــه
وللمحــاسن والإحســان نــاديه •
هــل للحسين بن خضر في الورى أحد
جــوداً يبــاهيه أو بأســا يضاهيه •
إن قلــت ليثــاً فمــا لليــث همتــه
اذا سطا يــوم حــرب فــي أعاديه •
أو قلــت غيثاً فمــا للغيــث موقعه
فــي النقع مــا بين قاصيه ودانيه •
أو قلت بحراً فأيــن البحر مــن رجلٍ
لو أعطي البحــر أعطــاه بمــا فيه •
مــن زيَّن الديــن والدنيــا بطلعته
فالله يُبقــى أبــــاه ثــم يبقيه •
قــد خصَّه الله مــن أعمــامه كرماً
بمعشر مــن صروف الدهر تفديه • (١٢٧)

وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر برز العديد مــن تلامذة السيّد الامير جمال الدين، وكان لبعضهم شعر يتميَّز بالجودة، ومنهم شمس الدين محمد بن الصايغ المتوفى عام ٨٧٧هـ ، والذي يصفه ابن سباط بأنه :

« كان اديبا فصيحا ، عالما ، ذكيا ، شاعرا . امتدح الاعيان ولـه ديوان نحو مجلدين » (١٢٨) .

ومن قصيدة يمدح بها السيّد الامير جمال الدين عبدالله :

مـن تزهـر الارض بأوصافه ... طرّاً كما يزهو الدجى بالهلال •
ومن له صارم فكر بديع الحسن ... ماضي الحـد صافي الصقال •
ركن العلا بحر الهدى والندى ... مقلـد الفكر خطيب الجدال •
شمس ولكـن لا غـروب لـه ... بحر ولكن مـاءه عذب زلال •

جـ ـ الحياة الفنية :

لم يحذق التنوخيون الشعر والادب فحسب ، بل كانوا يمتلكون مهارات فنية مختلفة ، وفي مقدمتها الخط والنقش والتطريز وغيرها .

فالخط العربي الى جانب كونه وسيلة للعلم ، اصبح مظهرا من مظاهر الجمال كفن اسلامي خالص ، وجد فيه المسلمون منفذا للتعبير عن رغبتهم في ابداع الجمال وتذوقه (١٣٩) . وكان الخط الكوفي وهو أقدم الخطوط العربية احد اهم العناصر الزخرفية التـي استعملها الفنـان العربي فـي موضوعاته ، حيث تم تطويره من البسيط الى المورّق والمزهّر (١٣٠) .

وتعددت الخطوط وتنوعت علـى يـد الخطاطين . وكانت التحويرات الجزئية في الحروف او أجزائها المفردة او المركبة تعتبر نوعا جديدا من الخط ، حتى بلغت انواعه في العهد العباسي نحو ثمانين خطا او اكثر (١٣١) . وفـي وفي العصر المملوكي كانت أهم انواع الخط المستعمـل : الطومار ومختصر الطومار والثلث والتوقيع والرقاع والمحقق والغبار (١٣٢) .

ولما كان التنوخيون من رجال السيف والقلم ، فقـد اهتموا بالكتابة الجيدة ، وبرع العديد من امرائهم في هذا المضمار . وكان من ابرز الامراء سيف الدين غلاب بن علم الدين سليمان الرمطوني الذي يذكر صالح بن يحي : « انه كان يتبع في قلمي الثلث والرقاع طريقة ابن البواب ، وانه لم يكتب في البيت قلم النسخ احسن منه سوى اخيه عز الدين جواد » (١٣٣) . اما الامير

عز الدين جواد فيعتبر مدرسة فنية ليس في الخط وحسب بل في فنون اخرى، اذ يذكر العسقلاني: « انه بلغ في فنون الزركشة والنجارة والتطعيم والخياطة والبيكرة والنقش وغير ذلك الى الغاية » (١٣٤) ، هذا بالاضافة الى ابداعه في فن الخط ، حيث كتب آية الكرسي على حبة الارز ، ويذكر صالح بن يحي انه شاهد احدى حبات الارز ، التي كتب عليها جواد آية الكرسي ، وقراها بسهولة ويسر ، كما قرا توقيع جواد . ويروي صالح حادثة احد الجنود المماليك بدمشق ، الذي تحدث في مجلس حفل بالاكابر عن الامير جواد وكتابته هذه ، وعندما لم يصدقه الحاضرون في المجلس. قدم الجندي المذكور الى رمطون مسقط رأس جواد « في وقت ثلج ومطر » ، حيث كتب له جواد على عدة حبات (١٣٥) . ولعل جوادا لم يتوصل الى هذا الابتكار لولا معرفته بأنواع الخطوط المستعملة في عصره وبراعته فيها . ويمكن ان يكون قد اخذ نسبة مقاييس الخط الذي استعمله عن قلم الغبار ، الذي كان ادق الخطوط (١٣٦) .

ومن ابرز الامراء التنوخيين الذين نسجوا على منوال عز الدين جواد الامير شهاب الدين محمد بن صالح وولداه علم الدين سليمان وشرف الدين عيسى (١٣٧) . ويصف الاشرفاني الامير عيسى بـ « الناسخ البارع الذي اعتمده الامير جمال الدين عبدالله (السيّد) ونسخ عن خطه المأثور » (١٣٨) . هذا وقد شبّه ابن سباط خط الامير سيف الدين يحي (الشاعر) بخط ياقوت (١٣٩) ، ويقول : « انه كان له اليد الطولى في الخط الفارسي حتى يحيِّر ناظره في ترتيب اشكاله (١٤٠) ، كما يصفه الاشرفاني بـ « كاتب الدارين وصائغ الدارين وشاعر الدارين » (١٤١) .

واتقن الامراء التنوخيون عددا من الفنون الاخرى ، ومنها النقش على المعادن كالذهب والفضة ، وقد اشتهر بذلك الامير عز الدين جواد ، والامير ناصر الدين محمد بن جمال الدين محمد ، الذي لم يكن في زمانه احسن ضربا منه بالمطرقة (١٤٢) ، وعدد كبير من الامراء . ومن ابرزهم في القرن الخامس عشر الامير سيف الدين يحي والامير سيف الدين ابي بكر بن زنكي، الذي « مهر في التخريم والاعمال اللطيفة ونقش الخواتم » (١٤٣) .

كما برع الامراء التنوخيون في الحفر على الخشب ، وقد اشرنا الى ان الامير زين الدين صالحا بن الحسين كان يصنع الاقفال اللطيفة القد من خشب النارنج والعناب ، وينزل فيهم التطاعيم الظريفة ويهديهم الى اصحابه (١٤٤) .

هذا ما وصلنا عن ابرز الفنون التي اجادها اكثر الامراء التنوخيون ، وربما هناك فنون اخرى لم تذكرها مصادرنا . ويقول سليمان ابن نصر عن التنوخيين :

« اظهروا الفنون وابهروا العيون وطرزوا كل صناعة » (١٤٥) .

هوامش الفصل الخامس

(١) أبو عبدالله محمد بن ابراهيم، ابن بطوطة « رحله ابن بطوطة » المسماة : **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار** ، ص ٤٨ ، بيروت : دار الكتاب اللبناني .

(٢) وصية الامير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي (**نشرها عارف النكدي**) الميثاق (ايار ١٩٦٥) .

(٣) صالح بن يحي ، **تاريخ بيروت** ، ص ١٩٢ — ١٩٤ .

(٤) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٠٢ .

(٥) ا. ضومط ، **الدولة المملوكية** ، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ، ص ١٥٧ .

(٦) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٥ .

(٧) وصية الامير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي ، **الميثاق** (ايار ١٩٦٥) .

(٨) العسقلاني ، **الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة** ، ج ١ ، ص ٥٤١ .
علم الدين سليمان بن حسين بن نصر ، **كتاب درة التاج وسلم المعراج** (**مخطوط**) ورقة ٧ .

(٩) ا. ضومط ، **المرجع السابق** ، ص ١٧٣ .

(١٠) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٢ — ١٧٣ .

(١١) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٢٠٤ .

(١٢) ابن سباط ، **تاريخ ابن سباط** ، (مخطوط) ، ورقة ٣٤٨ .

(١٣) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ .

(١٤) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٨٤ ، ٢٢٣ .
ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ .

(١٥) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٣٥ .

(١٦) أ. ضومط ، **المرجع السابق** ، ص ٢٠٧ .

(١٧) أ. ضومط ، **المرجع ذاته** ، ص ١٩١ .

(١٨) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٤ .

(١٩) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٤ . حول التزام الاملاك السلطانية . راجع :
أ. ن. بولياك ، **الاقطاعية في مصر وسوريا ولبنان** ، ص ١٢٧ — ١٢٩ .

(٢٠) عبد العزيز الدوري ، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي** ، ص ١٠٨ — ١٠٩ .

(٢١) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٤٢ وما بعدها .
ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٢٢٧ (الاغربة نوع من السفن الحربية كانت مهمته الحراسة) .

(٢٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٥ .
الطوارقة ، نسبة الى طارق بن هرماس بن طريف المتحدر من بني عبدالله التنوخيين .

(٢٣) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٥٧ ، ١٠٨ .

(٢٤) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٧٦ .

(٢٥) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٧٦ (الحاشية) ، و ص ١٩٧ — ١٩٨ .

(٢٦) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** . ص ١٠٦ — ١١٠ .

(٢٧) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

(٢٨) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٦٠ و ١٩٨ .

(٢٩) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٢٤٦ .

(٣٠) ابن سباط ، **المصدر ذاته** ، ورقة ٢٤٧ .

(٣١) تجدر الملاحظة ان النفوذ التنوخي شمل كامل ولايتي بيروت وصيدا ، بما فيهما الاشواف وجبل كسروان ، خلال القرن الخامس عشر . لكن هذا النفوذ انحسر في العهد العثماني، واصبحت عبيه قاعدة لجزء من جبل الغرب عرف بـ « الشحار » .

(٣٢) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٥٥ ، ١٠٩ ، ١٦٧ .

(٣٣) يرد في وصية الامير السيد ذكر الدهشة والاسطبل الكبير ، وهي من مباني الحسين المتعددة . كما يذكر صالح بن يحي ، ان والد السيّد الامير علم الدين سليمان سكن قاعة ناصر الدين الحسين بن تقي الدين ابراهيم بن الحسين بعد زواجه الاول من ابنته ، انظر: صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢٣ .

(٣٤) ما هو متعارف عليه بين اهالي بلدة عبيه ان الامير السيّد ، قد اوقف هذا البناء لعائلة سركيس ، وتحوّل في العهد الشهابي الى كنيسة باسم شفيع العائلة مار سركيس . لكن ذلك لم يرد في وصية السيّد او الوقفية . **الميثاق** ، (نيسان ١٩٦٥) و (ايار ١٩٦٥).

(٣٥) تحمل القبة المذكورة اسم « قبة صالح » . وقد يكون ذلك اما نسبة للامير زين الدين صالح بن الحسين ،الذي لعله استكمل بناءها بعد وفاة والده الحسين ، واما نسبة للامير زين الدين صالح بن سيف الدين ابي بكر المتوفى ٨٩٧هـ / ١٤٩٢ م ودفن فيها ، مع ترجيحنا للرأي الاول ، ذلك ان اول من دفن في القبة المذكورة كان الامير سيف الدين عبد الخالق ابن السيّد الامير جمال الدين عبدالله عام ٨٦٤هـ / ١٤٦٠ م ، اذ لو كانت التسمية نسبة لمن دُفن فيها لحملت القبة اسمه . انظر : ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٢٧٠ . ابن نصر ، **درة التاج وسلم المعراج** ، ورقة ٣٦ .

(٣٦) الشهابي ، **الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان** ، ص ٧١٤ .

(٣٧) عارف النكدي ، « اوقاف التنوخيين » **الميثاق** (حزيران ١٩٦٥) ص ٣٥٦ .
فندايك : رئيس المدرسة الامريكية التي تأسست في عبيه عام ١٨٤٣ م ، قبل المدرسة الكلية ببيروت .
(٣٨) الاشرفاني ، **عمدة العارفين** ، ج ٣ ، ورقة ١٠٧ — ١٠٨ .
(٣٩) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٣ .
(٤٠) أ. ضومط ، المرجع السابق ، ص ٨٥ . س. عاشور ، **مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك** ، ص ٢٦٩ .
(٤١) المقريزي ، **اغاثة الامة بكشف الغمة** ، (نشر محمد زيادة وجمال الدين الشيال) ، ص ٧٢ — ٧٣ ، القاهرة : ١٩٤٠ .
(٤٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٦ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢١١ .
(٤٣) ابن نصر ، **المصدر السابق** ، ورقة ٢٤ .
(٤٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٥ .
(٤٥) صالح بن يحي : **المصدر ذاته** ، ص ١٦٨ .
(٤٦) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٥١ .
(٤٧) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١١١ .
الاجواد : هم رجال الدين عند الموحدين (الدروز) . وعلى الارجح ان الفضائل السبع ، التي اشار اليها الحسين في قصيدته هي الخصال التوحيدية السبع ، التي التزم بها الموحدون (الدروز) ، واولها (صدق) اللسان وحفظ الاخوان . حول ذلك انظر :
Hudgson M.G.S., «Duruz **E.I** , New ed. vol. 2 , p. 649 - 650 .
Carra de voux, «Druzes» **E.I** , 1st ed. vol. 1 , p. 1077 .
ع. بدوي ، **مذاهب الاسلاميين** ، ج ٢ ، ص ٧٢٩ .
(٤٨) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١١٦ .
(٤٩) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٠٣ — ١٠٤ .
السخرة : هي العمل دون اجر . وكانت من الالتزامات ، التي يقوم بها الفلاحون تجاه الاقطاعيين .
(٥٠) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٠٨ .
(٥١) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٦٧ .
(٥٢) ابو علي مرعي ، **سيرة الامير جمال الدين عبدالله التنوخي** (مخطوط) ورقة ٣٢ .
(٥٣) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٩١ — ٤٠١ .
(٥٤) المقريزي ، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٥٥٠ .
(٥٥) صالح بن يحي، **المصدر السابق**، ص ١٤٦، ٢٢٣ ، ابن سباط، **المصدر السابق**، ص٣٨٤.
(٥٦) الاشرفاني ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ، ورقة ١٢٤ .
(٥٧) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٤٥ .
(٥٨) ابن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ .

(٥٩) ابن منقذ ، **كتاب الاعتبار** ، ص ١٩٠ وما بعدها .

(٦٠) أ. ضومط ، **المرجع السابق** ، ص ٢٤٠ .

(٦١) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٢٤٥ .

(٦٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٥ .

حول الزواج وعدم الجواز عند الدروز بالجمع بين زوجتين . انظر : حليم **تقي الدين** ، **قضاء الموحدين الدروز في ماضيه وحاضره** ، ص ٤٢٢ ، كفرمتى : مطابع لبنان الجديد ١٩٧٩ .

(٦٣) ع. نويهض ، **التنوخي** ، ص ١٧٦ .

Hudgson M.G.S., «Duruz» E.I. New ed. vol. 2 , p. 650 .

(٦٤) ابن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢٣ .

(٦٥) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٢٧٩ ــ ٢٨٤ .

كفرزبد : قرية في شرقي البقاع مقابل زحلة ، ولعل مغادرة البيصوريين لها كان على أثر الحملات المملوكية على كسروان .

(٦٦) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٤٢١ .

(٦٧) أ. ناصر الدين ، **تاريخ الامراء آل تنوخ** (مخطوط) ــ **اوراق لبنانية** (ايار ١٩٥٦) ص ٤٧٥ وما بعدها .

يقع امين آل ناصر الدين في اخطاء عديدة من حيث النسب اهمها :

أ ــ يجعل من جمال الدين أبي الحسن البيصوري حفيدا لعلم الدين معن (بن متعب) بن ابي المكارم بن عبدالله ، بعد ان يسقط اسم معتب . ويجعل موطنهم رمطون بدلا من بيصور .

ب ــ يورد نفس سلسلة الاسرة القاضوية البيصورية ، الا انه يسقط منها اسم عماد الدين موسى بن صدقة . ويجعل من اولاده الذين عاصروا ابن سباط وهم بدر الدين حسن وسعد الدين خضر وعز الدين صدقة أولادا لزين الدين عبد الحي بن زين الدين عبد الوهاب .

ج ــ يعتبر ان انتقالهم كان من رمطون وليس من بيصور الى عين داره ، الى ان بدأ يعود اولاد بدر الدين حسن الى عبيه وكفرمتى . كما يعتبر بدر الدين حسن بن زين الدين عبد الحي هو نفسه الشيخ بدر الدين حسن العينداري التنوخي ، وهناك فاصل زمني طويل بين زين الدين عبد الحي وبدر الدين حسن . راجع سلسلة القضاة . ص ١٨٠ ــ ١٨١ . حول القضاء في العهد العثماني . راجع : حليم تقي الدين ، **قضاء الموحدين الدروز في ماضيه وحاضره** ، ص ١٣ ــ ١٨ ، كفرمتى : مطابع لبنان الجديد ١٩٧٩ .

(٦٨) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢٢٣ .

ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ١٧٩ ــ ٢٨٤ .

(٦٩) ابن نصر ، **المصدر السابق** ، ورقـة ٦ .

(٧٠) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٩ .

(٧١) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٢١١ — ٢١٢ .

(٧٢) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٧ .

(٧٣) ك. الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ٢٠ .

(٧٤) ابن سباط ، المصدر **السابق ، ورقة ٣٦٣ — ٣٦٤** .

(٧٥) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٨٢ .

(٧٦) صالح بن يحي **المصدر ذاته** ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

(٧٧) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٨٤ .

(٧٨) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٤٦ .

(٧٩) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٨٣ .

(٨٠) ابن نصر ، **المصدر السابق** ، ورقة ١٢ — ١٣ . ابن سباط ، **المصدر السابق، ورقة ٣٩١.**

(٨١) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ص ٣٩١ — ٣٩٢ .

(٨٢) **ابو علي مرعي** ، **المصدر السابق** ، **ورقة ١١ — ١٢** .

(٨٣) ابن نصر ، **المصدر السابق** ، ورقة ١٦ ، ٤٣ — ابن سباط ، **المصدر السابق، ورقة ٣٩٢.**
راجع : ص ١٧٦ — ١٧٧ ، من الدراسة .

(٨٤) ابن نصر ، **المصدر السابق** ، ورقة ١٢ — ١٣ .

(٨٥) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٤٠٨ ، كلمة الفقيه : كانت تعني «المعلم او المدرس».

(٨٦) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٩٣ .

(٨٧) ابن نصر ، **المصدر السابق** ، ورقة ٢٠ — ابو علي مرعي ، **المصدر السابق ، ورقة ١٢** .

(٨٨) **ابو علي مرعي** ، **المصدر ذاته** ، ورقة ١٥ .

(٨٩) **ابن نصر** ، **المصدر السابق** ، ورقة ١٦ — ١٧ .

(٩٠) **الاشرفاني** ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ، ورقة ١٢٤ .

(٩١) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، **ورقة ٣٩٣** .

(٩٢) ابن سباط ، **المصدر ذاته** ، ورقة ٣٩٣ — ٣٩٥ .

(٩٣) **ابو علي مرعي** ، **المصدر السابق** ، ورقة ٢٢ .

(٩٤) ع. نويهض ، **التنوخي** ، ص ١١٢ ، يوسف ابراهيم يزبك ، **ولي من لبنان** ، **ص ٥٣** .

(٩٥) **الاشرفاني** ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ، ورقة ١٢٣ .

(٩٦) **عجاج نويهض** ، **التنوخي** ، ص ٤٠ .

(٩٧) عارف ابو شقرا، **ثلاثة علماء من شيوخ بني معروف**، ص ١٤ ، بيروت: **دار الغد، ١٩٥٧.**

(٩٨) **ربما جاء اهتمام الامير الحسين هذا لاسباب تتعلق بالنسب التنوخي، بالاضافة الى اهتمامه بشعر المتنبي .**

(٩٩) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٨٢ .

(١٠٠) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٤٨ .

(١٠١) الاشرفاني ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ، ورقة ١٢٣ .

(١٠٢) فؤاد ابو زكي ، **ثلاثة ادباء روحانيين من بني معروف** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بيروت : ١٩٨٠ .

(١٠٣) س. عاشور ، **المرجع السابق** ، ص ٢٧٥ .

(١٠٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٨٣ .

(١٠٥) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٨٢ ــ ٨٣ .

(١٠٦) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٨٢ .

(١٠٧) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٩٢ .

(١٠٨) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١١٤ .

(١٠٩) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٣٤ .

(١١٠) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٤٤ .

(١١١) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٥٥ .

(١١٢) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١١٦ .

(١١٣) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٥٩ .

(١١٤) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٥١ ــ ١٥٣ .

(١١٥) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٥٣ .

(١١٦) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٦٧ ــ ١٦٩ .

(١١٧) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٦٩ ــ ١٧٠ .

(١١٨) الاشرفاني ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ، ورقة ١٢٣ .

(١١٩) ابو شقرا ، **المرجع السابق** ، ص ١٧ .

(١٢٠) الشهابي ، **الغرر الحسان** ، ص ٥٨٤ .
ع. ابو شقرا ، **المرجع السابق** ، ص ١٨ وما بعدها .

(١٢١) ع. ابو شقرا ، **المرجع السابق** ، ص ١١ .

(١٢٢) ان تاريخ ولادة الامير سيف الدين يحي سنة ٧٨٩هـ ، بينما تاريخ ولادة السيّد الامير جمال الدين عبدالله سنة ٨٢٠هـ. وبذلك يكون فارق العمر بينهما احدى وثلاثون سنة .

(١٢٣) ف. ابو زكي ، **المرجع السابق** ، ص ٤٥ .

(١٢٤) ع. ابو شقرا ، **المرجع السابق** ، ص ٢٧ ــ ٢٩ .

(١٢٥) ف. ابو زكي ، **المرجع السابق** ، ص ٨٠ .

(١٢٦) ف. ابو زكي ، **المرجع ذاته** ، ص ٦٦ .

(١٢٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١١٨ ــ ١١٩ .

(١٢٨) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٤٠٦ .

(١٢٩) انور الرفاعي ، **تاريخ الفن عند العرب والمسلمين** ، ص ١٢٨ . بيروت: دار الفكر ١٩٧٧.

(١٢٠) احمد فكري ، **مساجد القاهرة ومدارسها (العصر الفاطمي)** ص ١٩٠ ـ ٢٠٠ . القاهرة: دار المعـارف ١٩٦٥ .

(١٢١) ناجي زين الدين المصرف ، **بدائع الخط العربي** ، ص ٤٦٥ ، بغداد . ١٩٧٣ .

(١٢٢) القلقشندي ، **صبح الاعشى في صناعة الانشا** ، ج ٣ ، ص ٥٣ .

(١٢٣) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٤ .

ابن البواب : هو ابو الحسن علي بن هلال المتوفى ٤١٨هـ ، ويعتبر من مشاهير الخطاطين، وواضع اسلوب الخط المعروف بالمحقق .

(١٢٤) العسقلاني ، **الدرر الكامنة** ، ج ١ ، ص ٥٤١ .

(١٢٥) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(١٢٦) حول قلم الرقاع وقلم الغبار راجع : القلقشندي ، **صبح الاعشى في صنـاعة الانشا** ، ج ٢ ، ص ١١٥ ـ ١١٩ .

(١٢٧) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٠ ، ٢٠٥ .

(١٢٨) الاشرفاني ، **المصدر السابق** ، ورقة ١٢٣ .

(١٣٩) ياقوت : هو خطاط المستعصم آخر الخلفاء العباسيين ، وينسب اليه الخط الياقوتي.

(١٤٠) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٤٨ .

(١٤١) الاشرفاني ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ورقة ١٢٣ .

(١٤٢) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٠٧ .

(١٤٣) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ص ٣٦٩ .

(١٤٤) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٤ .

(١٤٥) ابن نصر ، **المصدر السابق** ، ورقة ٧ .

لمزيد من الاطلاع على الامراء الذين اجادوا الفنون انظـر :

صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٤٨ ، ١٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٨ . وابن سباط **المصدر السابق** ، ورقة ٣٣٦ ، ٣٤٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

الفصل السادس

التنوخيون في العهد العثماني

التنوخيون في العهد العثماني

لما كان دور التنوخيين قد استمر بعد انهيار دولة المماليك الجراكسة ، امام قوة الاتراك العثمانيين ، بقيادة السلطان سليم الاول بعد موقعة مرج دابق عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦ م . فلا بد لنا من تتبع هذا الدور خلال العهد العثماني ، ذلك انمنطقة الوجود والنفوذ التنوخي ، اصبحت منذ ذلك التاريخ في نطاق السلطنة العثمانية .

يذكر ابن سباط الذي عاصر قيام الدولة العثمانية واستمر في كتابة اخباره حتى عام ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م ، ان الامير شرف الدين يحي بن سيف الدين ابي بكر التنوخي حضر لمقابلة السلطان سليم عند وصوله الى دمشق ، و « قبّل يده ، فأمر (السلطان) له بالعلامة على مناشيره » . ثم عاد الامير يحي ثانية الى دمشق ، بعد تملك السلطان الديار المصرية ، و « قدّم للسلطان التقادم فقبلها » (١) .

لما رجع الامير الى مقر امارته ، اتهم من قبل الدولة بالانحياز الى حركة العصيان ، التي اعلنها ناصر الدين محمد ابن الحنش صاحب صيدا والبقاعين ، أي (البعلبكي والعزيزي) .

وخلال الحملة العثمانية ، التي جاءت الى صيدا بقيادة والي دمشق جان بردى الغزالة ، تمّ اعتقال الامير يحي المذكور . كما اعتقل معه الامير زين الدين ، واميرا الشوف قرقماش وعلم الدين سليمان اولاد معن . وسُجِن الامراء في قلعة حلب الى ان تمكنت الدولة العثمانية من اعتقال ابن الحنش وقتله فأفرج عنهم ، و « اغترموا بسبب ذلك اموالا جزيلة » (٢) .

كما ويذكر ابن سباط خبر سجن الامير جمال الدين حجى بن موسى

عام ٩٢٥هـ / ١٥١٩م . في دمشق وانه : « بقي في سجنه مدة ثم فقد ، فكان آخر العهد به ،وتتبع نائب الشام جهاته ومواشيه » (٣) ، اي صادر اقطاعاته واملاكه .

هذا ويشير ابن سباط الى حالة الامارة التنوخية قائلا : « في ايام الامير شرف الدين يحي فسدت احوال الناس ، وزاد الظلم فاقتضى بذلك زيادة الضرائب بعد ان كانت البلاد في ايام ابيه (سيف الدين ابي بكر) في رخاء عظيم » (٤) .

اشارات ابن سباط المقتضبة لا تعطينا صورة واضحة عما آلت اليه امارة آل بحتر التنوخية في مطلع العهد العثماني ، سوى ما يستدل منها ان امراءها لم يعد لهم نفوذهم السابق ، الذي كانوا يتمتعون به خلال العهد المملوكي . وان الامارة عاشت فترة من الفوضى والفتن لم يحدد المؤرخ مصدرها ، كما لم يحدد من الذي تولى مكان الامير حجى ، عندما اعتقل وصودر اقطاعه . لكن جاء في السجل الارسلاني ان السلطان سليما « ولي الامير جمال الدين بن بهاء الدين خليل (الارسلاني) على الغرب والمتن والجرد وجعله امير الجبل » (٥) . كذلك جاء في رواية للدويهي ان امراء البلدان حضروا الى السلطان سليم بعد عودته من مصر « فولى الامير قرقماز بن يونس ابن معن بلاد الشوف ، والامير جمال الدين اليمني (الارسلاني) بلاد الغرب ، والامير عساف (التركماني) كسروان وبلاد جبيل ، اما أمراء الغرب التنوخية فما تجاسروا على مواجهة السلطان لأنهم من حزب الشراكسة» (٦) .

ان رواية الدويهي المتأخرة التي تتناقض مع ما ذكره ابن سباط المعاصر من مثول الامير سيف الدين يحي التنوخي امام السلطان سليم ، لكن الرواية نفسها حول من ولاّهم السلطان حكم الاشواف وكسروان ، بالرغم من اسقاطها اسم الامير علم الدين سليمان ، الذي أورد ذكره ابن سباط . هذه الروايات بالاضافة الى اشارات ابن سباط تلقي علينا بعض الضوء على وضع الامارة التنوخية ، وسياسة الدولة العثمانية ازاءها ، كما تفسر لنا بعض اسباب الفوضى التي عصفت ببلاد الغرب . وذلك على الارجح ان سياسة الدولة العثمانية استهدفت كسابقتها الدولة المملوكية العمل على الغاء ما تميزت به امارة التنوخيين في الاشواف من استقلال نسبي مع حق في توارث الاقطاعات . وذلك جزءا من سياسة الدولة العثمانية لتدعيم نفوذها في بلاد

الشام ، فأعادت الاعتبار الى امراء تركمان كسروان ، الذين كان دورهم قد انتهى مع مطلع القرن الخامس عشر . وابرزت الاسرة الارسلانية (التنوخية)، وذلك لما مثلته هذه الاسرة من منافس تقليدي للأسرة البحترية (التنوخية) الحاكمة . فتولية عساف التركماني على كسروان وبلاد جبيل ، وجمال الدين احمد على الغرب في رواية الدويهي ، او على الغرب والمتن والجرد في رواية السجل الارسلاني ، لم يكن سببه فقط اسراعهما الى دمشق لتقديم فروض الولاء للسلطان ، بل كان جزءا من السياسة العثمانية . كما وان الدولة العثمانية ربطت الاقطاع بالزامات مالية سنوية ضخمة اضطرت الامير شرف الدين يحي التنوخي على تغريم الاهالي بها . ولعل سبب سجن الامير حجى ومصادرة املاكه يعود اما لعدم اعترافه بحكم جمال الدين احمد الارسلاني، أو لعدم قدرته على الايفاء بالالتزامات المالية التي فرضتها الدولة عليه .

بعد هذه الفترة من مطلع العهد العثماني ، وطيلة المدة بين عامي ٩٢٦ — ٩٩٢هـ / ١٥٢٠ — ١٥٨٤ م . لم يصلنا اية معلومات عن الاشواف بصورة عامة او عن الامارة البحترية بصورة خاصة ، سوى ما اورده الدويهي من ان « الامير منذر بن علم الدين سليمان انشأ سرايا وبرجا في قرية عبيه من شحار الغرب » . ويجعل الدويهي تاريخ البناء خطأ عام ١٥٧٦ م (٧) ، اذ كنا قد اشرنا الى البناء المذكور ، واللوحة المثبتة فوق احد مداخله ، والتي تفيد ان البناء تمّ عام ١٠٣٣هـ / ١٦٢٢م .

وبامكاننا ان نتكهن ان هذه الفترة ، كانت فترة صراع في الاشواف واخذ نفوذ الاسرة البحترية ينحسر خلالها ليس عن الاشواف فحسب ، بل عن جبل الغرب مركز امارتها الوراثية ، حيث نازعها فيه الاسرة الارسلانية ، اذ لم يتمكن آل بحتر من المحافظة الا على قسم منه هو الغرب الاعلى والمنطقة التي عرفت فيما بعد بـ « الشحار » . في حين ان الزعامة على الاشواف شهدت تنافسا بين الاسرتين الارسلانية والمعنية ، ولعل الدولة العثمانية لم تكن بمعزل عن هذا الصراع . لكن هذا لا ينفي الدور المهم الذي قام به بعض الامراء من آل بحتر حتى نهاية امارتهم عام ١٠٤٣هـ / ١٦٣٣م . وبصورة خاصة في دعم آل معن الذين تمكنوا من تركيز دعائم امارتهم في جبل الشوف ، ومن ثم بسط نفوذهم على باقي الاشواف . ذلك ان البحتريين جمعهم وآل معن الحزب القيسي ، في حين ان الارسلانيين وآل علم الدين في جبل الشوف

كانوا على راس الحزب اليمني . وما يجدر ذكره ان الانقسام الى قيسية ويمنية ، لم تشهده مناطق الامارة التنوخية قبل العهد العثماني . كما ان هذا الانقسام لم يكن نتيجة اختلاف الانتماءات العصبية للاسر التي تمحورت حول الحزبين ، بل لأسباب سياسية ، كان للعثمانيين دور في اذكائه (٨) .

لكن الاسرة المعنية لم تتركز دعائم امارتها على جبل الشوف ومن ثم على الاشواف ، بالسهولة التي يصورها كل من الشهابي والشدياق ، اذ اورد الشهابي رواية الدويهي نفسها حول مثول امراء البلدان امام السلطان سليم بدمشق ، لكنه استبدل اسم قرقماز بن يونس باسم فخر الدين ابن عثمان وروى عنه انه عندما تقدّم من السلطان سليم ، « قبّل الارض ودعا له دعاء » أورد نصّه حيث وصف فيه الامير السلطان بـ « خليفة عهد المسلمين » ، وبـ « امير المؤمنين » ، فأنعم عليه السلطان بحكم الشوف ، ولقّبه بـ « سلطان البر » (٩) . ويذكر الشدياق : ان « الامير فخر الدين ابن عثمان هو اشهر الامراء المعنيين ، وبه غابت شمس الامارة التنوخية ، واشرقت شمس الامارة المعنية . وان السلطان سليما اعجب بفصاحة فخر الدين بعد دعائه له ، فـ « خلع السلطان عليه ، وفوّض اليه كل امور الشام ، وجعله مقدما على الجميع » (١٠) .

هناك من يشكك بصحة الرواية حول حضور فخر الدين ابن عثمان المعروف لدى الباحثين بفخر الدين المعني الاول امام السلطان سليم ، وصحة اللقب الممنوح له اي « سلطان البر » (١١) ، وبصحة الخطبة المنسوبة اليه لما تضمنته من اشارات واضحة حول موضوع الخلافة العثمانية والامامة الدينية ، لان السلطان سليما لم يعلن نفسه خليفة ، وكان قد اصطحب معه الخليفة المتوكل على الله من مصر اثناء عودته الى الاستانة (١٢ . كما ان الدكتور الصليبي يشك بصحة وجود فخر الدين ابن عثمان نفسه ، ولعله على صواب في ذلك . فما فخر الدين بن عثمان الذي ذكره كل من الشهابي والشدياق سوى فخر الدين عثمان ، الذي ذكر ابن سباط انه توفي عام ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م ، اي قبل موقعة مرج دابق بعشر سنوات . والخطأ الذي وقع فيه المؤرخان الشهابي والشدياق يعود الى عدم تمييزهما بين اسمه عثمان ولقبه فخر الدين (١٣) . ذلك ان الالقاب كانت من الحقوق الادبية التي تمتع بها المقطعون في العهد المملوكي نظير تأديتهم للالتزامات المفروضة عليهم .

وكانت الالقاب التي تنسب الى الجهاد الديني كسيف الدين وحسام الدين وفخر الدين ، قد تم توارثها في العصر المملوكي عن اساتذتهم الايوبيين الذين اولوا اهتماما كبيرا بالجهاد ضد الفرنجة (١٤) .

وتجمع المصادر انه في عام ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م ، قدمت حملة عثمانية بقيادة الوزير ابراهيم باشا المصري الى جبل لبنان للاقتصاص من امراء الاشواف (الدروز) ، وذلك بعد نهب خزينة السلطان المتجهة من طرابلس الى الاستانة عند جون عكار . فلما وصل الوزير ابراهيم باشا الى مرج عجرموش بالبقاع ، « ارتعبت منه بلاد الغرب وبعث بطلب الفرماء من الامير قرقماز بن معن » . في رواية الدويهي والشدياق (١٥) ، و « نفقة للعسكر » في رواية الشهابي (١٦) . وعندما امسكت الحملة بالدروب عبر البحر والبقاع على الدروز . حضر الامير جمال الدين محمد بن احمد (الارسلاني) من عرامون، وابن عمه الامير منذر بن علم الدين سليمان (التنوخي) من عبيه الى الوزير مسلّمين . كما حضر محمد بن عساف (التركماني) من غزير . اما الامير قرقماز ابن معن نهرب الى مغارة في بلاد الشوف، حيث مات فيها. هذا وقد حضر الى الوزير وفد من عقال الموحدين (الدروز) في عين صوفر ، فقتل عددا منهم واعتقل الاميرين محمد ومنذر ، واخذهما الى الاستانة ، وعندما برأوا انفسهم من نهب الخزنة ردهم السلطان الى امارتهم (١٧) .

نرى مما تقدم ان مسؤولية نهب أموال السلطنة في جون عكار هذا اذا كانت الحادثة صحيحة ، لا يتحمل تبعتها امراء الاشواف الذين استهدفتهم حملة ابراهيم باشا . وهذا يطرح اسئلة عدة حول الاسباب الحقيقية للحملة المذكورة ، وهل التقارب الذي حدث بين امراء الاشواف ، وبصورة خاصة بين البحتريين والارسلانيين ، كان احد اسباب الحملة المذكورة . فبالاضافة الى زواج الامير قرقماز ابن معن من اخت الامير سيف الدين يحي التنوخي ، يورد السجل الارسلاني خبر زواج الامير محمد بن احمد (الارسلاني) من جميلة ابنة الامير علم الدين سليمان بن محمد التنوخي ، وزواج شقيقته من الامير منذر بن سليمان التنوخي (١٨) ، او ان بروز زعامة الامير قرقماز على الاشواف واعتراف الامراء الآخرين بزعامته ، كان له دوره في قدوم ابراهيم باشا بعساكره . اذ ربما شعرت الدولة بخطر بروز هذه الزعامة على مصالحها . ولعلها اعتبرت آل بحتر اصحاب المبادرة في ابراز الزعامة المعنية

الجديدة ، لا سيما وان البحتريين والمعنيين شكّلا زعامة الحزب القيسي . وهذا يعطي التفسير لخط سير الحملة التي وصلت الى صوفر عبر درب المغيثه ، والتي ربما استهدفت آل بحتر التنوخيين في الغرب بالدرجة الاولى .

رغم انتقال الزعامة من جبل الغرب الى جبل الشوف ، فقد بقي للبحتريين دورهم المهم في الاشواف . وقد اجمعت المصادر والروايات المتواترة بأن الامير سيف الدين يحي التنوخي تكفل بتربية ابني اخته فخر الدين وقرقماس ولمدة ست سنوات ، حيث « ولي الامير فخر الدين على الشوف » في رواية الدويهي (١٩) ، و « سلمهما الحكم في الشوف بعد ان قوّاهما بالمال والرجال » ، في رواية اخرى للشدياق (٢٠) .

وفي عهد الامير فخر الدين بن قرقماز (المعروف بفخر الدين الكبير) ، الذي بسط نفوذه على كل جبل لبنان واجزاء اخرى من بلاد الشام المحاذية (٢١) . قام الامراء من آل بحتر بدور رئيسي في امارته . ويذكر احمد الخالدي الصفدي : ان الامير فخر الدين عندما تأكد من قدوم حملة الحافظ احمد باشا ضده عام ١٠٢٢ هـ / ١٦١٣م ، « جمع القرايب وهم أخيه الامير يونس والامير منذر وناصر الدين (البحتريين) من امارة الشحار وجمع مشايخ البلاد الاربع وغيرهم على نهر الدامور » (٢٢) ، للتشاور . فتم الرأي على مغادرة فخر الدين البلاد ، وسافر الى توسكانا .

وتولى الامير ناصر الدين التنوخي حكم الشوف لفترة من قبل الحافظ احمد باشا بعد سفر فخر الدين الى اوروبا (٢٣) . وبعد عودة الحافظ بقواته، وتمكن الامير علي بن فخر الدين من الوقوف في وجه اخصامه المحليين من الحزب اليمني ، وعلى رأسهم الامير مظفر العينداري واستعادة امارة والده على الاشواف ، ولى الامير منذر البحتري على بيروت عام ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م، كما ولى الامير ناصر الدين حكم الغرب والجرد (٢٤) .

وكنا قد اشرنا الى السرايا التي بناها الامير منذر بن سليمان في عبيه اثناء تحدثنا عن الآثار التنوخية في عبيه ، لكن الامير منذرا لم يقصر مبانيه على عبيه بل بنى في بيروت جامعا لا يزال يعرف باسمه . كما يعرف الجامع ايضا بـ « جامع النوفرة » ولعله بنى في بيروت ايضا بناء ليسكنه في فصل الشتاء . ويوجد على اللوحة الرخامية المثبتة فوق مدخل الجامع المذكور :

كنت يا جامعاً قد حويت لمنظر زاهي عجب
إنشاء أمير ماجد زاكي العطا سامي النسب
أمير منذر اسمـــه نجمي تنوخي منتخب
نسب سمـــا كسماء سلاطين حقاء العرب •
تاريخه بلغ المنى اسجد لربّك واقترب •

ان ضخامة المبنيين تدل على المكانة التي تمتع بها الامير منذر المذكور في العهد المعني ، والتي تفوق كونه متوليا على بيروت أو علـى قسـم مـن الشحّار .

وتجمع المصادر انه عندما انتهى حكم فخر الدين بن قرقماس ١٠٤٣هـ / ١٦٣٣م ، وتولى الامير علي علم الدين حكم الشوف كانت نهـاية آل بحتر ، وذلك في العام الاول من امارته ، حيث غدر بامراء آل بحتر السبعة ، الذين اولموا له في سرايا عبيه « وقتلهم عن آخرهم » (٢٥) . وفي رواية انه « ردم البرج على الاطفال الصغار فانقرضت بهم السلالة التنوخية » (٢٦) .

وساد الاعتقاد بنهاية الأسرة البحترية ، وانه بنهايتها انتهـى الوجود التنوخي في الاشواف . ان هذا الاعتقاد غير صحيح ، اذ ان الاسرة البحترية ليست سوى فرع من بني عبدالله التنوخيين . هذا وان الاسرة البحترية لم تكن وحدها من التنوخيين تقيم في الاشواف ، انما هناك فروع اخرى مـن بني عبدالله ، والعشائر التنوخية الاخرى ، واتخذت تلك الاسر لنفسها اسماء جديدة نسبة الى الاجداد المتأخرين دون ربط اسمها باسم تنوخ . كمـا وان الاسرة البحترية نفسها لم يقتصر وجودها على بلدة عبيه ، اذ بالاضافة الـى الاسرة الارسلانية التي ما هي باعتقادنا سوى فرع بحتري في عرامون ، فان هناك فرعا بحتريا من ذرية زين الدين صالح بن علي بن بحتر ، وقد تعرّفنا به في عرامون نفسها . ويذكر ابن سباط ان ذرية الفرع البحتري بعرامون كانوا موجودين في ايامه ، ويورد عددا من اسماء المعاصرين له ، ومنهم ناصر الدين محمد بن احمد وولده زين الدين مفرّج (٢٧) . وهنـاك فرع بحتري آخر من ذرية الامير نجم الدين محمد بن حجى المتوفى ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م . الذي سكن في عيناب ، وعندما يذكر صالح بن يحي ذريته يسميهـم بـ « العينابيين او

الامراء بعيناب » (٢٨) . ويذكر ابن سباط ان الفرع العينابي كان موجودا في ايامه ويسكن قسم منهم في بيصور ، ويورد عددا من اسماء المعاصرين منهم له ، لكنه يقول عنهم : « ليس بأيديهم جهات امارة » (٢٩) .

ان آل بحتر من الفرعين العراموني والعينابي ، كانوا موجودين عندما تعرَّض اقرباءهم من فرع عبيه الحاكم للابادة على يد علي علم الدين . ولعل الذي انقذهم من المصير نفسه ، اما لأنهم كانوا قد أصبحوا من العامة ، ولم يشكلوا خطرا على زعامة علي علم الدين ، واما لأنهم كانوا من حزبه اليمني .

بعد حادثة علي علم الدين تشرذم التنوخيون في الغرب الى اسر خسرت زعامتها السياسية كما خسر أفرادها لقب الامارة، باستثناء الاسرة الارسلانية.

ومن الأسر التي لدينا بعض معرفة بها ، وأثر عنها اهتمامها بالامور الدينية ، وتولى بعض منها منصب القضاء : آل القاضي في بيصور ، وآل امين الدين في عبيه (٣٠) ، وآل القاضي في المناصف ودير القمر ، وآل ناصر الدين في كفرمتى (٣١) .

اما آل بحتر فلم يصلنا شيئا من اخبارهم ، سوى ما تواتر عن الشيخ احمد بن زين الدين صالح العينابي المتوفى ١١٧٤هـ ، من انه كان عالما وزاهدا. واوقف الشيخ المذكور ارزاقه على الفقراء والمحتاجين في الغرب (٣٢) .

هذا وتثبت سجلات المشايخ آل تقي الدين وشجرة العائلة المحفوظة لدى الكثيرين منهم ، انهم يتحدرون من بني عبدالله التنوخيين ، الذين قطنوا قرى في جبل الغرب . وان نزوحهم الى بلدة بعقلين في الشوف ، كان في زمن الامير فخر الدين المعني . ولما كان كبير العائلة يسمى تقي الدين بن زين الدين عبد الغفَّار بن عبدالله ، فقد سميت العائلة باسمه . ومن مشاهيرهم الشيخ زين الدين عبد الغفَّار تقي الدين ٩١١ـ٩٦٥ هـ ، الذي لايزال ضريحه في قرية كفرمتى . وكان الشيخ زين الدين فاضلا ورعا تقيا عالما ، عاملا في الفقه والدين ، وخلَّف تراثا دينيا وادبيا ضخما . ومن مؤلفاته : كتاب النقط والدوائر ، والتذكرة ، وشرح البلعة ، مجرى الزمان التي سارت به الركبان، وكتاب المناظرات ، وبهجة المناظرات . على ان اشهر المؤلفات كتاب النقط والدوائر ، الذي يصنِّفه المستشرقون مع الكتب الدينية لطائفة الموحدين (الدروز) (٣٣) .

كما ان هناك اسر اخرى يعيد بعضهم نسبها الى التنوخيين ، ومنهم آل الصايغ في شارون وآل ريدان في عين عنوب وآل فرج في عبيه ، وغيرهم كثير .

وعن الاسر التنوخية في الاشواف ، فبالاضافة الى آل ابي اللمع وآل المغربي في المتن ، وآل عبد الملك في الجرد ، فان بعض المصادر ترجع آل علم الدين ، ومنهم الامير علي علم الدين ، الذي كانت نكبة الامراء البحتريين على يده ، الى الامير علم الدين سليمان بن غلاب الرمطوني (٣٤) . لكن الدكتور الصليبي يرى ان نسبتهم تعود الى الامير علم الدين سليمان بن معن ، الذي كان اميرا على الشوف مع الفتح العثماني (٣٥) .

هوامش الفصل السادس

(١) ابن سباط ، **تاريخ ابن سباط** ، (مخطوط) ، ورقة ٣٧٣ .

(٢) ابن سباط ، **المصدر ذاته** ، ورقة ٣٧٣ – ٣٧٤ – الشهابي ، **الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان** ، ص ٥٩٦ . يورد الشهابي روايته نقلا عن ابن سباط لكنه يعتبر خطأ الامير زين الدين اخا لشرف الدين يحي ، ذلك ان زين الدين صالحا اخو الامير يحي قد توفى عام ٨٩٧هـ / ١٤٩٢ م ، **المصدرالسابق** ، ورقة ٣٧٠ . وعلى الارجحانزين الدين الذي اعتقل هو الامير زين الدين عبد القاهر بن جمال الدين حجى بن موسى (المتأخر).

(٣) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٦٨ .

(٤) ابن سباط ، **المصدر ذاته** ، ورقة ٣٧٦ .

(٥) **السجل الارسلاني** (مخطوط) اثبات عام ٩٢٦هـ – ش. ارسلان ، « **ذيل روض الشقيق في الجزل الرقيق** » ، ص ١٦٤ .

(٦) اسطفان الدويهي ، **تاريخ الازمنة** ، (نشرة لاول مرة الاباتي بطرس فهد) ، ص ٣٩٤ ، بيروت : ١٩٧٦

– الشراكسة : دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢ – ١٥١٦ م) .

(٧) الدويهي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٤١ .

(٨) قال الاستاذ سليمان ابو عز الدين في رسالة للامير شكيب ارسلان ، بتاريخ ١١ تشرين الاول ١٩٣٠ ، (موجودة في مكتبة المرحوم عارف النكدي) :

« لم اعثر على انقسام دروز لبنان او الدروز عموما الى قيسية ويمنية قبل الفتح العثماني » .

(٩) الشهابي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٦٨ .

(١٠) الشدياق ، **اخبار الاعيان في جبل لبنان** ، ج ١ ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(١١) Salibi K. « **The secret of the house of Ma'n**» **Int. J. Middle East. stud** vol. 4 London 1973 , p. 274 .

(١٢) م. مكي ، **لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني** ، ص ٢٧٨ .

(١٣) Salibi K. « The secret of the house of Màn » **Int. j. Middle East .** vol. 4 . (London 1973) , p. 277 .

(١٤) ا. طرخان ، **النظم الاقطاعية** ، ص ٢٠٦ .

هذا وقد مر معنا ان جميع الامراء التنوخيين كانوا يحملون لقبا يضاف الى اسمائهم ، وكان لقب عثمان على الاغلب ، فخر الدين . راجع : سلسلة النسب البحتري .

(١٥) الدويهي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .

الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(١٦) الشهابي ، **المصدر السابق** ، ص ٦١٨ - ٦١٩ .

(١٧) الدويهي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٤٨ ، الشهابي ، **المصدر السابق** ، ص ٦١٩ .

الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٨ و ج ٢ ص ٥١٤ .

(١٨) **السجل الارسلاني** ، اثبات عام ١٠١٢ هـ - ش. ارسلان ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٢ .

(١٩) الدويهي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٤٨ .

(٢٠) الشهابي ، **المصدر السابق** ، ص ٦١٩ .

(٢١) Salibi K. « The secret of the House Ma'n » p. 272 .

(٢٢) احمد الخالدي الصفدي ، **كتاب تاريخ الامير فخر الدين المعني** (تحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني) ، ص ١٧ - بيروت : منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٦٩ .

(٢٣) الخالدي الصفدي ، **المصدر ذاته** ، ص ٣٦ - الشهابي ، **المصدر السابق** ، ص ٦٣٩ .

(٢٤) الخالدي الصفدي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢٥) الدويهي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ .

(٢٦) الشهابي ، **المصدر السابق** ، ص ٧١٩ . ويورد اسماء اربعة من الامراء المغدور بهم وهم : يحي العاقل ، وناصر الدين ، وسيف الدين ومحمود .

والشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

(٢٧) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٥٤ .

(٢٨) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٩٣ - ١٦١ - ١٦٢ .

(٢٩) ابن سباط ، **المصدر السابق** ، ورقة ٣٤٧ .

(٣٠) Churchil ; C. **Mount Lebanon;** Aten years Residence from 1842 - 1852 vol. I , p. 173 .

(٣١) امين ناصر الدين ، **المصدر السابق** ، ومجلة **أوراق لبنانية** ، نيسان ١٩٥٦ ، ص ٤٢٥، ٤٤٢

عيسى المعلوف ، **دواني القطوف في تاريخ بني معلوف** ، ص ٧٠٤ .

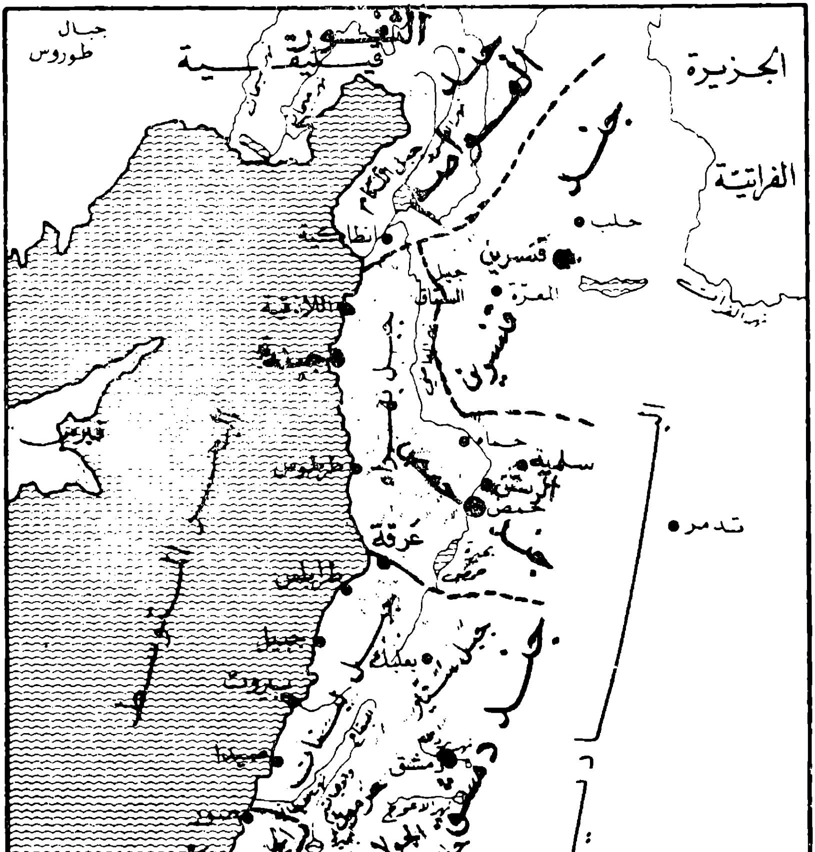
(٣٢) النص الموجود على شاهد ضريح الشيخ احمد العينابي ـ في عيناب ـ وصك ببيع يثبت وجود وقف باسم الشيخ المذكور . انظر الملاحق ص ٢٤١

(٣٣) القاضي امين طليع ، **مشيخة العقل والقضاء المذهبي الدرزي عبر التاريخ** ، ص ٨٨ـ٨٩، بيروت : ١٩٧١ .

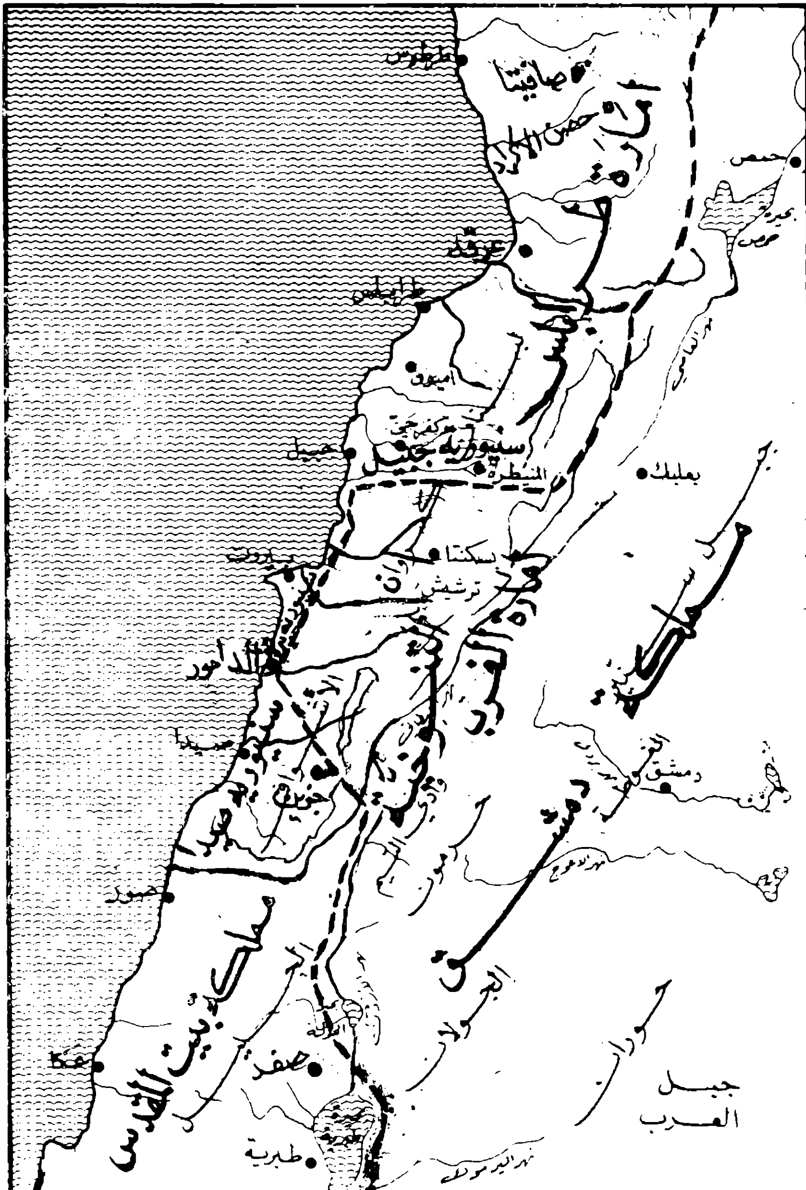
(٣٤) الشدياق ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٣٥) Salibi, K. « The secret of the house of Ma'n » , p. 285 .

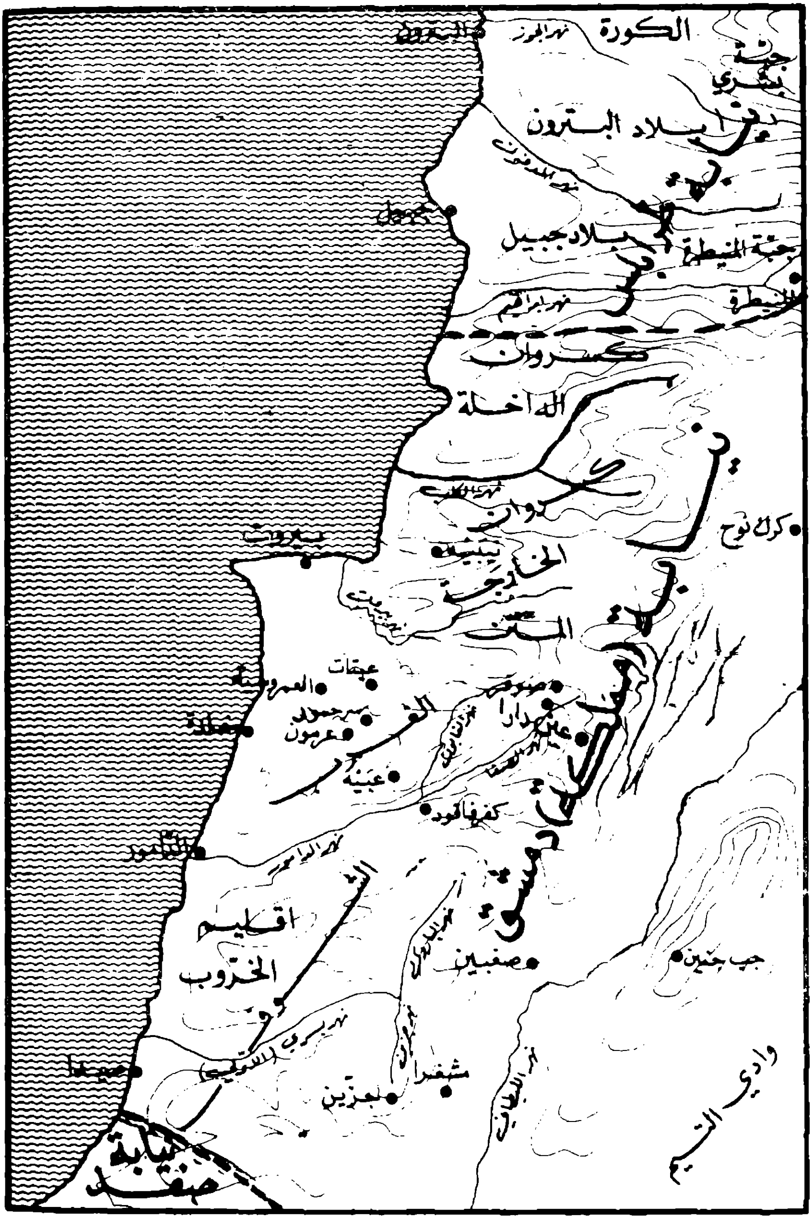
خرائط وملاحق



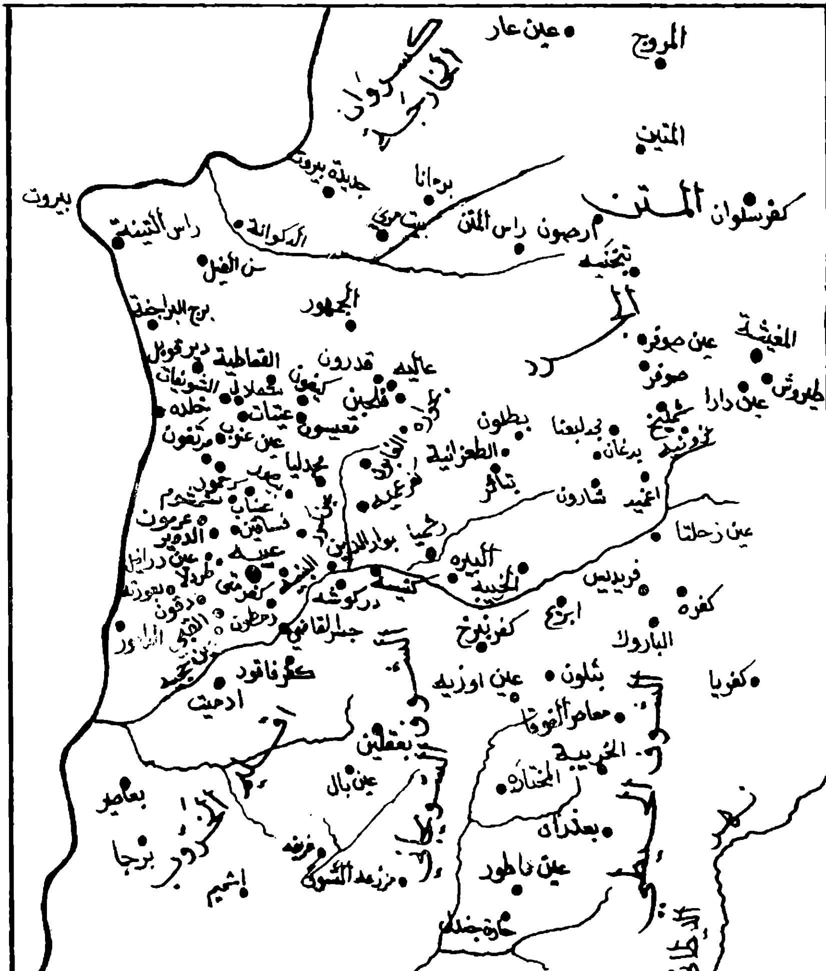
الأطـراف الغربيـة مـن بـلاد الشـام ونظـام الاجنـاد



امارة الغرب التنوخية وجوارها في العهدين الزنكي والايوبي



امارة الغرب التنوخية وجوارها في العهد المملوكي



أهم القرى الواردة في مناشير أمراء الغرب التنوخيين

منشور مجير الدين آبق الى الامير بحتر بن علي

العلامة : « حق الأتابكي الظهيري » (٢)

« كتب هذا المثال الشريف للامير الاجل ناهض الدولة أبي العشاير بحتر بن علي بن ابراهيم بن ابي عبدالله أدام الله تأييده وتسديده وتمهيده ، باجرائه على رسومه المستمرة ، وقاعدته المستقرة من الضياع المنسوبة الى رسمه ، المعروفة باسم والده واسمه . وان يتناول ما يخص الخاص السعيد منها بحيث يصرفها في مصالحه ويتقوّى به على الخدمة ، ويجري على معهوده من الامارة بالغرب من جبل بيروت ، وهو معروف ومنعوت ؛ لما عُرف من نهضته وكفايته وحسن سيرته وامانته ، والواجب على الرؤساء والفلاحين اعزّهم الله تعالى سماع كلمته ، والدخول تحت طاعته فيما يلتمسه منهم من استخراج الحقوق السلطانية ، وموافقته على ما يطرأ من الخِدم الديوانية . وليحذروا من الخلاف فيعود عليهم الحيف والاجحاف. وسبيله أدام الله تأييده الذب عنهم وايصال شكاويهم الى النواب والمتصرفين والاصحاب ، بحيث يجرون على عاداتهم .... ، والواجب على الولاة والنواب المستجدين والاصحاب اجراء الامير المتقدم ذكره على ما رسمناه ، وليعتمد على العلامة الكريمة في اعلاه ان شاء الله » .

كتب في العشر الاوسط من محرم ٥٤٢ / حزيران ١١٤٧ (٣) .

منشور من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الى الامير كرامة بن بحتر

العلامة : « الحمد لله »

« لما هاجر الامير زهر الدولة شجاع الملك جمال الامراء ابو العز كرامة بن بحتر التنوخي أدام عزّه الى بابنا زيد علاه ، ولاذ بالخدمة وتقرّب اليها ،

وقصد الدولة العادلة ، والتمس الخدمة بين يديها . تقبّل سعيه مودعا ذكر ما تأثل من الارعاء والاحترام والاعزاز والاكرام معيشة يوضح ذكره من ديوان الاستيفاء المحروس حماه الله ... والعدّة اربعون فارسا ، وما امكنه وقت المهمات الشريفة .

وجهاته : غالب قرى الغرب ، ومن غير الغرب القنيطرة (٤) من البقاع ، ظهر حمار (ظهر الاحمر) من وادي التيم ، تعلبايا (٥) من البقاع ايضا ، برجة من صيدا ، بعاصر (بعاصير) منهـا ، المعاصـر الفوقا ، شـارون ، مجدلبعنا ، كفرعميه » (٦)

تاريخه السابع من رجب ٥٥٦ / حزيران ١١٦٠ (٧) .

نسخة منشور من السلطان المعز أيبك ، الى الامير سعد الدين خضر بن نجم الدين محمد (٨)

العلامة : « حسبي الله »

جهاته : من الشوف : المعاصر الفوقا ــ نيحا ــ بعذران ــ عين ماطور ــ بثلون ــ عين اوزيه ــ ابريح ــ غريفة (٩) .

من وادي التيم : تنوره ــ ظهر حماره .

ومن اقليم الخروب : برجه ــ بعاصر ــ اشحم (١٠) .

تاريخه ٢٧ ربيع الاول سنة ٦٥٤ / ٢٥ نيسان ١٢٥٦ .

منشور الملك الناصر يوسف الايوبي الى الامير جمال الدين حجى بن نجم محمد ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م (١١)

« الحمد لله على نعمائه »

جهاته : عرامون ــ عين درافيل ــ طردلا ــ عين كسور ــ رمطون ــ قدرون ــ مرتفون ــ الصباحية (١٢) ــ سرحمور ــ عينـاب ــ عين اعنـوب (عين عنوب) ــ الدوير .

تاريخه خامس وعشرين من صفر ٦٥٠ / ايار ١٢٥٢ .

منشور هولاكو الى الامير جمال الدين حجى بن محمد عام ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م

« مالك بسيطة الارض هولاكو خان زيدت عظمته »

رسم بالامر العالي المولوي السلطاني الملكي السعيدي المجيري ، زاد الله في علائه وضاعف من مواد نفاده ومضائه ان يجري في اقطاع الامير الاجل الاوحد الاعز المختار جمال الدين عمدة الملوك والسلاطين حجى بن محمد بن امير الغرب أدام الله تأييده ، وتمكينه وتمهيده ما رسم له به من الاقطاع ما تضمَّنه المنشور الناصري ، الذي بيده . وتاريخه ٧ رجب سنة ٦٥٨ / ١٩ حزيران ١٢٥٩ » .

جهاته : المذكورة في المنشور السابق . (١٣)

منشور من السلطان الظاهر بيبرس الى الامير جمال الدين حجى بن نجم الدين محمد بن حجى

العلامة : « المستعان بالله »

«جهاته : عاليه ـ مجدلبعنا ـ شارون ـ عرامون ـ عين درافيل ـ طردلا ـ دقون ـ عين كسور ـ قدرون ـ شملال ـ مرتفون ـ سرحمور ـ بطّلون ـ عيناب ـ الدوير ـ (١٤) ـ بيصور ـ كفرعمّيه ـ عيتات » (١٥) .

ملخص قصة التظلم التي رفعها الامير ناصر الدين الحسين بن خضر الى تنكز نائب السلطنة بالشام ، عقب روك الشام سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م في عهد الناصر محمد بن قلاوون

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« المملوك (١٦) الحسين بن امير الغرب يقبل الارض ، وينهي ان المملوك واقاربه ملتزمون بحفظ ثغر بيروت المحروسة وهم مجتهدون في خدمة مولانا السلطان ، خلد الله ملكه . وغالب اقطاعاتهم يخدمون عليها املاكهم الثابتة بالشرع الشريف وهي معهم الان بعدّة ثلاثين فارس ، وكانت لآبائهم بثلاثة أرماح (١٧) ، الى حين اقطعت املاك الجبلية ، وانه متى دخلت هذه الملكيات الروك يهلك المماليك ، ولا ينتفعون بغيرها ، لانها مساكنهم وبها رجالهم وعشيرتهم ،وسؤالهم من صدقات مولانا ملك الامراء(١٨)التصدّق عليهم بمطالعة على يد المملوك الى الابواب الشريفة ، ومهما اقتضاه رأي مولانا ملك الامراء من الزامهم بزيادة عدة تحملها طاقتهم ، التزمها المماليك وما لهم الا الله تعالى ومراحم مولانا ملك الامراء عزّ نصره . انهى الحال والرأي اعلى واسمى والحمد لله » (١٩)

قائمة بالمناشير التي كتبت الى أمراء الغرب التنوخيين بعد روك الشام في عهد الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٣ هـ / ١٣١٣م (٢٠)

١ ـ الامير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين خضر امير الغرب .

(امير عشرين)

« المجلس السامي (٢١) الامير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين امير الغرب ، لخاصته وعشرين طواشيا (٢٢) من بيروت »

« عرامون ـ حير بشالا ـ كيفون ـ كيفون ـ بيصور ـ ثلثعين ـ ثلث عيناب ـ شمشوم ـ ثلث كفرعمّيه ـ ثلث بتاتر ـ بركة شطرا ـ مرتفون ـ ثلث حصة الملك في خلده ـ مفدلا ـ من الفريديس فدان » (٢٣) .

٢ ـ الامير عز الدين حسين بن شرف الدين علي .

(أمير عشرة)

« مجلس الامير عز الدين حسين بن شرف الدين علي ، لخاصته وعشرة طواشية :

نصف عيتات ـ نصف دقون ـ نصف مجدليا ـ نصف شملال ـ نصف عين اعنوب ـ نصف سرحمور ـ نصف عين درافيل ـ ثلث بتاثر ـ ثلث عيناب ـ ثلث قطع أرض في العمروسية ـ ثلث حصة الملك في خلده ـ ثلث كفرعميه ـ من الفريديس فدّن » .

٣ ـ الامير سيف الدين مفرّج بن بدر الدين يوسف .

(أمير عشرة)

« مجلس الامير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين صالح ، لخاصته وعشرة طواشية :

نصف عيتات ـ نصف دقون ـ نصف مجدليا ـ نصف شملال ـ ثلث عين اعنوب ـ نصف عين درافيل ـ ثلث بتاثر ـ نصف سرحمور ـ ثلث عيناب ـ ثلث قطع ارض في العمروسية ـ ثلث كفرعمّيه ـ ثلث حصة الملك في خلدة ـ من الفريديس فدان » .

٤ ـ الامير عز الدين الحسن بن سعد الدين خضر .

(امير خمسة)

« الامير عز الدين الحسن بن سعد الدين امير الغرب ، لخاصته وخمسة طواشية :

نصف عالية ـ نصف الخريبة ـ عينتا ـ نصف الدوير ـ نصف الصباحية ـ نصف درب المفيثة ـ ربع قدرون ـ نصف ارض بقرتيه ـ ربع طردلا ـ ربع رمطون ـ ربع عين كسور » (٢٤) .

٥ ـ الامير علم الدين سليمان بن سيف الدين غلاّب الرمطوني .

(امير خمسة)

« الامير علم الدين سليمان بن غلاّب ، لخاصته وخمسة طواشية :

نصف الخريبة ـ عينتا ـ نصف الدوير ـ نصف السباحية ـ من درب المغيثة النصف ـ ربع قدرون ـ نصف قطع ارض بقرتيه ـ ربع طردلا ـ ربع رمطون ـ ربع عين كسور » .

٦ ـ الامير سيف الدين ابراهيم بن نجم الدين محمد بن حجى .
(امير خمسة)

« الامير سيف الدين ابراهيم بن نجم الدين محمد بن حجى ، لخاصته وخمسة طواشية :

ربع بطلّون ـ ربع الطعزانية ـ نصف القبي ـ نصف بحوّاره ـ نصف معيسون ـ ربع الدوير ـ نصف مزرعة اقطو » (٢٥) .

٧ ـ الامير شمس الدين عبدالله بن جمال الدين حجى .
(امير اربعة)

« الامير شمس الدين ، عبدالله بن جمال الدين حجى ، لخاصته واربعة طواشية :

نصف قدرون ـ نصف رمطون ـ نصف طردلا ـ نصف عين كسور » .

٨ ـ الامير عماد الدين موسى بن مسعود بن ابي الجيش .
(أمـير ثلاثـة)

« الامير عماد الدين موسى بن ابي الجيش ، وثلاثة طواشية :

نصف ادفول (دفون) ـ نصف الفسيقين (الفساقين) ـ نصف شطرا ـ نصف دير قوبل ـ نصف عين حجّيه » (٢٦) .

حجيج الامير سيف الدين يحي بن صالح واولاد معن

« حجّ الى بيت الله الحرام ، وتشرّف بزيارة سيّد الانام ، عليه افضل الصلواة والسلام . وحجّ معه ولده فخر الدين عثمان ، والحاج احمد بن عيسى استاداره (٢٧) ، والحاج حسين من بيصور ويعرف بأبو جميل ، وعلي بن الحنيش بيطاره ، والحاج محمد بن اللبّان من بيروت ، وناصر الدين بن معن ، واخيه (اخوه) احمد بن معن ، والحاج حسن ولد ناصر الدين بن معن ، وتكلّف على الحجاز كلفة كثيرة وهدايا لملك الامراء نائب الشام وللامراء اصحابه ولغيرهم » (٢٨) .

عظة السيد الامير جمال الدين عبدالله التنوخي ، اثر وفاة وحيده الامير سيف الدين عبد الخالق عام ٨٦٤هـ/١٤٦٠م (٢٩) .

« سبحان الله . والحمد لله . ولا حول ولا قوة الا بالله . لـه البقـاء الدايم ، وهو العليم الحاكم . له الامر النافذ ، وهو الواهب الآخذ . نحمده على ما أولى ، ونشكره على ما ابلى . لقد اعطى ومنع ، وتكرّم وأشبع . منه الامتنان وعليه التكلان واليه الايمان . هو العظيم الجليل ، وانا العبد الذليل، الواقف بباب الرحمة ، أطلب من كرمه النعمة » .

« ايها الناس ، يَطوي العمرَ الجديدان ولا فوت من الموت . لكم عنـد الله من الخير ما تكنزون ، ومن الشر ما تكسبون ، ونحن واياكم في قبضة المالك ، وهو المنجي برحمته من المهالك ، فعليكم بقبول اوامر الله طاعة وصبرا، والانابة الى رحمته سرا وجهرا . فطوبى لمن قبل اوامر الله بالطاعة ، وجعل مدة الحياة ساعة ، وركب جواد القناعة ، وقيّد نفسه بقيد الوراعة ، وجعل من حق الموت امانة الرضى بتسليم الوداعة .

أيجوز أن يعترض العبد على ربه في ما ابدع ، او يغضب من قبضه مـا أودع ، او يعصي قوله في ما أنبأ به وهو يسمع ، او يظن ان حكم الله وقدره لهما مرد او مدفع .

ايها الناظرون الي ، أتظنون ان صبري على فقد ولدي الصالح جهالة ، او ترك اعتراضي على القضاء فيه ضلاله ؟ ام اني نسيت منه علمه وحزمه وحلمه وافضاله ، ورفقه وصدقه وصبره واحتماله ؟ كلا . . . ولكن الطـاعة مطيّة من اتقى ، والتسليم منارة من ارتقى .

ايها الناس ، ان الله خلقكم واسبغ عليكم من نعمه وعطاياه ، وفرض الحق عليكم وقبله منكم وارتضاه ، ونهاكم عن الباطل وحذّركم من سخطه فويل لمن عصاه . . . انتم كسمكة خلقها بارادته واعطاها سبعة ابحر ، تغوص

فيها وتعوم وترزق ولا يحيط بها قرار . خلقكم الله من لا شيء وغمركم بالرحمة، ونقلكم من ضيق الدنيا الى فسيح النعمة . أما ترضون بالرؤوف المليء شفقة ورأفة ، القادر القاهر المعطي المانع الحاكم بالحق والنصفة ، أتظنون انكم اذا اعترضتم عليه في حكمه تبلغون مرادكم ، واذا اهملتم طاعته تخلصون من بلاكم .

ايها الناس ، انتم كطير مسجون في قفص الارادة ، يتحرك في طلب هوائه فلا يجد مطارا ولا فرارا ولا زيادة .

ايها الناس ، قد بلغ العصر آخره ، وحكم فيه خالقه وقادره ، وعما قليل يظهر الجزاء فيعرف العامل عمله بأوله وآخره ، ولا يضيع مثقال ذرة بين يدي ناهيه وآمره ، فيا فوز المتقين ! »

هوامش الملاحق

(١) هذا المنشور هو اول المناشير التي تسلمّها الامراء التنوخيون من ملوك دمشق .

(٢) هي للاتابك سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين ملك دمشق ٤٩٧ ـ ٥٢٢ هـ .

(٣) صالح بن يحي ، **تاريخ بيروت** ، ص ٤٠ .

(٤) القنيطرة : ضيعة صغيرة من ارض وادي البقاع .

(٥) تعلبايا : قرية بالقرب من تعنايل وشتورة بالبقاع .

(٦) برجه وبعاصير : قريتان من قرى اقليم الخروب في جبل الشوف . والمعاصر الفوقا : قرية من قرى الشوف الحيطي ، وتعرف حاليا بـ « معاصر الشوف » . اما شارون ومجدلبعنا وكفرعمَّيه : : فقرى في منطقة الجرد ـ قضاء عاليه .

(٧) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** : ص ٤٣ .

(٨) صالح بن يحيى ، **المصدر السابق** ، ص ٥٦ . يشك صالح بصحة هذا المنشور ، لان تاريخه كان قبل تملك المماليك لبلاد الشام . دون ان يتنبَّه المؤرخ الى اهداف المعز أيبك من ارساله .

(٩) نيحا وبعذران وعين ماطور : قرى في الشوف الاعلى (الحيطي) . اما عين أوزيه والمعروفة حاليا بـ « عين وزين » وابريح والمعروفة بـ « بريح » وغريفة فقرى في الشوف السويجاني.

(١٠) اشحيم : قرية في اقليم الخروب ، وتعرف حاليا بـ « شحيم » .

(١١) صالح بن يحي ، **المصدر ذاته** ، ص ٥١ .

(١٢) قدرون : قرية دارسة غربي مدينة عاليه ، ومرتغون : قرية دارسة بين خلده وعرمون في الغرب ـ قضاء عاليه . اما الصباحية : قرية دراسة لم نتمكّن من التعرف على موقعها .

(١٣) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢ .

(١٤) بطلون وبتاتر : قريتان في الجرد ـ قضاء عاليه .

(١٥) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٥١ .

(١٦) المملوك : لفظة مستعملة في الرسائل القديمة اشارة الى تذلل الكاتب ، كأن يقال : العبد الفقير .

(١٧) لعل المقصود بثلاثة ارماح ، التقدم بخدمة ثلاثة فرسان .

(١٨) ملك الامراء لقب اطلق على نائب السلطنة بدمشق ، باعتباره اكبر النواب ببلاد الشام.

(١٩) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٨٦ .

(٢٠) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ٨٧ — ٨٩ .

(٢١) صيغة خاصة في المكاتبات للتعظيم والاحترام ، واصبحت في العهد المملوكي من الالقاب. راجع : ا. طرخان ، **النظم الاقطاعية** ص ٢٦٥ — ٢٠٦ .

(٢٢) الطواشي : هو الفارس الملتحق بعسكر الامير .

(٢٣) حير بشالا : قد يكون حرف بشالا الواقع في خراج بلدة كفرمتى — وشمشوم : قرية دراسة ما بين الفساقين وعيناب في الغرب — قضاء عاليه . وبركة شطرا : مزرعة ما بين بلدتي بيصور ومجدليا في الغرب — قضاء عاليه . اما مغدلا فقرية دارسة لم نتمكن من تحديد موقعها .

(٢٤) الخريبة وعينتا وبقريته : هي قرى لم نتمكن من تحديد مواقعها .

(٢٥) الطعزانية : قرية في الجرد — قضاء عاليه . وبحوارة : قرية قرب مدينة عاليه . اما مزرعة اقطو : فلم نتمكن من تحديد موقعها .

(٢٦) دير قوبل : قرية ما بين الشويفات وبشامون في الغرب الساحلي — قضاء عاليه — وعين حجية : ضيعة تقع جنوبي قرية كفرمتى ، في الغرب — قضاء عاليه .

(٢٧) استادار : او « استاذ دار » بمعنى ناظر الدار ، هي كلمة فارسية معرّبة (استذ بمعنى الاخذ ودار بمعنى ماسك) ، وهو المشرف على الشؤون المالية لقصور السلطان او الامير والبيوتات الملحقة بها . ومهمته الاساسية بحث شؤون اقطاع الامير مع الفلاحين والدواوين الحكومية . انظر : أ. طرخان ، **المرجع السابق** ، ص ٤٧١ .

(٢٨) صالح بن يحي ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٣ .

(٢٩) ابن سباط ، **تاريخ ابن سباط** ، ورقة ٣٨٧ — ٣٨٨ .

(٣٠) الاثبات الاول من **السجل الارسلاني** عام ١٤١ هـ ، والمجدّد عام ١٠٩٥ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد أشرف النبيين وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين آمين

نقفة الملوك والسلاطين قاضي قضاة المسلمين [illegible] أما بعد حضر لمجلس الشرع الشريف بمدينة دمشق الشام لا زالت محفوظة من كل سوء إلى يوم القيام لدى مولانا وسيدنا العالم العلامة ذكية الفقهاء محيي الملة والدين

الأمير [illegible] المرحوم الأمير [illegible] الدولة أبو العز علي ابن [illegible] الدين [illegible] الأمير الأجل قوام الدين [illegible] ويرضاه [illegible] وفقه الله [illegible] قاضي دمشق وأعمالها الشافعي [illegible] على العثماني الأموي قاضي القضاة أبي الحسن [illegible] مولانا المرحوم [illegible] أبو [illegible] محمد

[illegible] الكوفي [illegible] مولانا [illegible] وطلب من [illegible] وغفر [illegible] والحكام على [illegible] مشتملة جميعها لدى القضاة [illegible] مكتوب على نسب عائلته الكريمة سجلات [illegible] المذكور [illegible] أمام مولانا [illegible] بالمجلس [illegible] وأخرج [illegible]

[illegible] بهذا السجل [illegible] طلبه [illegible] فأجيب [illegible] بذيله أصحاب هذا النسب [illegible] أرسلان [illegible] نوفي [illegible] وفاة من [illegible] ولادة من [illegible] بخط [illegible] المعارف [illegible] سجل [illegible] القديم

[illegible] على حسب تقدمها في التاريخ [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا وسيدنا وشفيعنا محمد بن عبد الله وسلم أما بعد حضر إلى الأمير المنذر وأخوه الأمير أرسلان ولدا الأمير مالك ابن الأمير بركات المنذري وطلبا مني أن

[illegible] أكتب لهما وفيات آبائهم في رق ليحفظاه عندهما خوفا من حوادث الأيام وتحفظا من السهو والنسيان لأنهما قد عزما على الرحيل إلى جبال بيروت بأمر أمير المؤمنين المنصور فاستشهدت من [illegible] جعفر محمد [illegible] داود

بن [illegible] زياد التنوخي عن أبيه عن جده قال أخبرني سعيد بن عمر التنوخي وكان ممن حضر [illegible] الشام قال لما قدم خالد بن الوليد المخزومي سيف الله من بلاد العراق قدم معه الأمير عون

[illegible] الأمير عون [illegible] مع المسلمين فتح بصرى [illegible] وأنه قتل بواقعة أجنادين [illegible] جرح أصابه [illegible] المصاف فتوفي منه بعد

أيام [illegible] الإسلام [illegible] فارسا من فرسان العرب رحمه الله قال وإن الأمير عون [illegible] له ولدين الأمير مسعود [illegible] والأمير عمرو وكان الأمير [illegible]

[illegible] الأمير مسعود [illegible] عن أبيه قال [illegible] قدم [illegible] الأمير عون [illegible] المنذر [illegible] النعمان

[illegible] على [illegible] الروم [illegible] رأيت [illegible] أحد ثم حضر [illegible] رحمه الله [illegible] أجنادين [illegible] فتوفي بعد أيام [illegible] رحمه الله [illegible]

[illegible] رفاعة الطائي عن شديد بن أوس قال أخبرني سليمان بن قيس النخعي قال [illegible] عوف بن مالك الأشجعي [illegible] الأمير [illegible] ابن الملك المنذر [illegible] العرب [illegible] النعمان

أبي قابوس [illegible] الذي يقول فيه [illegible] ربيع الناس والشهر الحرام [illegible] العرب [illegible] الملك المنذر [illegible]

[illegible] الأمير مسعود [illegible] بعده [illegible] العرب حضر فتح دمشق [illegible] النقب الذي [illegible] باب شرقي [illegible] أبو عبيدة [illegible]

[illegible] ثم حضر واقعة مرج الديباج ووقائع اليرموك [illegible] لقد قاتل [illegible] معه من لخم وجذام [illegible] قتالا شديدا وصبروا [illegible] وأخبرني [illegible] رفاعة

المذكور قال أخبرني قيس بن [illegible] عن شديد [illegible] التنوخي [illegible] عن عوف قال وأن الأمير مسعود [illegible] الأمير عمرو حضر فتح بيت المقدس [illegible] أمير المؤمنين عمر بن الخطاب [illegible]

[illegible] الأمير مسعود [illegible] أبا عبيدة [illegible] المعرة [illegible] بيت المقدس [illegible] أبا عبيدة [illegible] حلب والأمير عمرو [illegible] الأمير [illegible]

[illegible] الأمير [illegible] ابن الملك المنذر [illegible] لخم وجذام مع عمرو بن العاص السهمي لفتح [illegible] الأمير عمرو [illegible] مصر [illegible] وأخبرني

جابر بن [illegible] زيد بن عبيد التنوخي عن أبيه عن جده قال أخبرني كعب بن ضمرة [illegible] قال لما أرسلني الأمير أبو عبيدة بن الجراح أمين الأمة [illegible] صاحب حلب [illegible] أبو [illegible] مسعود

بن عون [illegible] المنذري [illegible] لخم [illegible] شجاعة عجيبة [illegible] في ذلك اليوم على شدة من العدو قال ولما نصرنا الله على الكفار وفتحنا حلب وطلب أبو [illegible]

[illegible] قال [illegible] الأمير مسعود [illegible] القلعة [illegible] حلب [illegible] أبو عبيدة [illegible] الروم [illegible] وتوفي [illegible] الأمير المنذر [illegible]

ولما تم فتح الشام أقام بأهله في بلاد المعرة الذي [illegible] أمير المؤمنين [illegible] عبد القادر بن عقيل بن [illegible] المعري قال أخبرني والدي عن أبيه قال لما توفي الأمير مسعود بن عون [illegible] ودفن رحمه الله [illegible]

[illegible] الأمير المنذر [illegible] قال [illegible] الأمير مسعود توفي في سنة خمس وأربعين للهجرة [illegible] قال حضرت وفاة الأمير مسعود

[illegible] من أكرم الناس [illegible] وأخبرني أبو عمرو بن [illegible] اللخمي [illegible] راشد بن سهل اللخمي وكان من المعمرين [illegible] الصالح والدين [illegible] توفي في سنة [illegible]

[illegible] الأمير [illegible] عشرة [illegible] ذلك اليوم قال ولما توفي [illegible] الأمير المنذر [illegible] قال وأنا [illegible] بلاد الروم وأخبرني سهيل

احمد الله

انه في غرة آب شرقي سنة ١٨٦٦ بعنا نحن ادناه من جناب اخونا عباس بك بو ابراهيم من قرية باموق وذلك المبيع هو القطعتين الارض الواقعتين في مزرعة العرقية المذكورة بسما

حكا زراعة الذرة ما ملكنا ان يكون القطعة الاولى تشتمل على سبعة اصول يحدها قبلة ملك جناب الشيخ ناصيف تحوق وشرقا جبل من ملك حسين ابن يوسف بو علي

وتتمته ملك وقف المرحوم الشيخ احمد الهيابي وشمالا ملك بنات الشيخ محمد بو قيدبيه وغربا ملك جناب الامير ملحم منصور شهاب تمة حدودها والقطعة الثانية

تشتمل على ثلاثة اصول يحدها قبلة وشرقا ملك بنات الشيخ محمد بو قيدبيه وشمالا ملك حسين بو علي وغربا وقف المرحوم بو محمد حسن جاد تمة الحدود وبيع بامت

صفقتين الاولى قيراط واحد اساسها من اصل اربعة وعشرين قيراط بالف غرش وواحد عشر غرش والثاني ثلاثة وعشرين قيراط تتمة الاصل المذكور بالفين غرش واثنين

وعشرين غرش بجميع حقوقهما وشملاتهما وكل حق هو لهما واقرينا بقبض الثمن المعينين من جناب المشتري المرقوم تماما وكمالا ولم يبق لنا قبله قيمتهما

ولا بغيرهما حقا ولا دعوة اصلا والمشتري المرقوم اشترى منا على الوجه المرقوم بالنفسه بحسب وقوع ذلك تحريرا في التاريخ المحرر اعلاه في غرة آب

شرقي سنة ستة وستين وثمانماية والف ١٨٦٦ صح

محمود علي
نعمه
احمد ...

الشاهد بما فيه
بنان محمد
بو قايدبيه
اسعد ...

... بو علي

المصادر العربية

ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن احمد
الكامل في التاريخ ، بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٦٧ .

ابن بطوطة ، ابو عبدالله محمد بن ابراهيم
رحلة ابن بطوطة (المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) بيروت : دار الكتاب اللبناني .

ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحسن يوسف
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة ، دار الكتب اصدرتها وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر .

ابن جبير ، محمد بن احمد الاندلسي
رحلة ابن جبير ، بيروت : دار الكتاب اللبناني .

ابن خلدون ، عبد الرحمن
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ، بيروت : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٩٧١ .

ابن سباط ، حمزة بن احمد الفقيه العاليهي
تاريخ ابن سباط (مخطوط) مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت ، تحت رقم M.S , 956.9 , 113 t a A.

ابن العبري ، غريغوريوس ابي الفرج بن هرون الملطي .
تاريخ مختصر الدول ، (ترجمة انطون صالحاني) بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٠ .

ابن العديم ، كمال الدين عمر بن احمد
زبدة الحلب من تاريخ حلب ، (تحقيق سامي الدهان) دمشق: ١٩٥١ .
« بغية الطلب في تاريخ حلب » عن **اخبار القرامطة** في الاحساء ـ الشام ـ العراق ـ اليمن (جمع وتحقيق سهيل زكار) دمشق : نشر عبد الهادي حرصوني ١٩٨٠ .

ابن عساكر ، علي بن هبة الله الشافعي
تهذيب تاريخ دمشق الكبير (تحقيق عبد القادر بدران) بيروت : دار المسيرة ، ١٩٧٩ .

ابن القلانسي ، ابو يعلى حمزة
ذيل تاريخ دمشق ، (نشر الآباء اليسوعيين) دمشق : ١٩٠٨ .

ابن منقذ ، أسامه
كتاب الاعتبار ، (تحقيق فيليب حتي) الولايات المتحدة : برنستون ١٩٣٠ .

ابن نصر ، علم الدين سليمان بن حسين
كتاب درة التاج وسلم المعراج ، في ذكر الامير جمال الدين عبدالله التنوخي (مخطوط) مكتبة الجامعة الامريكية بيروت تحت رقم٢٨/٨٣٣

ابن يحي ، صالح
تاريخ بيروت : وهو اخبار السلف من ذرية بحتر بن علي امير الغرب ببيروت ، (تحقيق كمال الصليبي و فرنسيس هورس وآخرون) بيروت: دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٧ .

ابو شامة ، ابو محمد عبد الرحمن المقدسي
كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ، (تحقيق محمد حلمي احمد) القاهرة ١٩٥٦ .

ابو الفدا ، الحافظ بن كثير الدمشقي
البداية والنهاية ، بيروت : مكتبة المعارف ١٩٦٦ .

ابو علي مرعي زهر الدين
سيرة الامير جمال الدين عبدالله التنوخي ، (مخطوط) مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت .

ارسلان ، الامير شكيب
« ذيل » روض الشقيق في الجزل الرقيق ، دمشق : مطبعة زيدون ١٩٣٥ .

الاشرفاني ، محمد مالك
عمدة العارفين في قصص النبيين والامم السالفين ، (مخطوط) ، في مكتبتي .

الأنطاكي ، يحي بن سعيد
تاريخ يحي بن سعيد الانطاكي (تحقيق كاراتشوفيسكي وڤاسيسليف) باريس : ١٩٢٤ .

البلاذري ، أحمد بن علي بن جابر .
فتوح البلدان ، (تحقيق رضوان محمد رضوان) ، مصر : المكتبة التجارية ١٩٥٩ .

بنيامين القطيلي الأندلسي
رحلة بنيامين ، (ترجمة عزرا حداد) بغداد : ١٩٤٥ .

الخالدي ، احمد بن محمد الصفدي
كتاب تاريخ الامير فخر الدين المعني ، (تحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني) بيروت : منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٩ .

الدويهي ، اسطفان
تاريخ الازمنة ، (نشرة لاول مرة الآباتي بطرس فهد) بيروت : ١٩٧٦ .

زكار ، سهيل (محقق)
اخبار القرامطة في الاحساء ــ الشام ــ العراق ــ اليمن ــ دمشق : نشر عبد الهادي حرصوني ١٩٨٠ .
السجل الارسلاني (مخطوط)
بحوزة السيدة مي ارسلان جنبلاط .

السويدي ، ابو الفوز محمد امين البغدادي
سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

الشدياق ، طنوس
كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان ، (تحقيق فؤاد افرام البستاني) بيروت : منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٠ .

الشهابي ، الامير حيدر احمد
الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان ، بيروت : دار الآثار ١٩٨٠ . نسخة مصورة عن طبعة نعوم مغبغب القاهرة ١٩٠٠ .

الطبري ، محمد بن جرير
تاريخ الامم والملوك ، بيروت : مكتبة خياط ، نسخة مصورة عن طبعة المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٦ هـ.

العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي بن حجر
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، بيروت : دار الجيل ، نسخة مصورة عن طبعة حيدر أباد الدكن ١٣٤٨ ــ ١٣٥٠ هـ .

القلقشندي ، احمد بن علي
نهاية الأرب في معرفة انساب العرب (تحقيق ابراهيم الابياري) القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٥٩ .
صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، مصر : مطبعة دار الكتب ، ١٩١٣ .

المتنبي ، ابو الطيب احمد بن الحسين
ديوان المتنبي ، (شرح عبد الرحمن البرقوقي) بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٥٩ .

المسعودي ، علي بن الحسن بن علي
مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق يوسف داغر) بيروت : دار الاندلس ، ١٩٦٥ .

المقريزي ، احمد بن علي
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، (تحقيق محمد زيادة) ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٧ ــ ١٩٧٠ .

الهمذاني ، ابو محمد الحسن بن احمد
صفة جزيرة العرب ، (تحقيق محمد بن عبدالله بـن بلهيد النجـدي) مصر : مطبعة السعادة ١٩٥٣ .

وصية الامير جمال الدين عبدالله التنوخي
(نشر عارف النكدي) **مجلة الميثاق** ، ايار ١٩٦٥ .

ياقوت ، شهاب الدين ابي عبدالله الحموي
معجم البلدان ، بيروت : دار صادر ١٩٧٧ .

اليعقوبي ، ابن واضح
تاريخ اليعقوبي ، بيروت : دار صادر ١٩٦٠ .
كتاب البلدان ، (تحقيق م. دي غويه) ، ليون : بريل ، ١٨٩١ .

المراجع والمقالات العربية والمترجمة

الأسود ، ابراهيم

كتاب ذخائر لبنان ، بعبدا : المطبعة العثمانية ١٨٩٦ .

ابو اسماعيل ، سليم

الدروز ، وجودهم ومذهبهم وموطنهم ، بيروت : مؤسسة التاريخ الدرزي ، بدون تاريخ .

ابو زكي ، فؤاد

ثلاثة ادباء روحانيين من بني معروف ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بيروت : جامعة القديس يوسف ، ١٩٨٠ .

ابو شقرا ، عارف

ثلاثة علماء من شيوخ بني معروف ، بيروت : دار الغد ١٩٥٧ .

أبو صالح ، عباس ، وسامي مكارم

تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، بيروت: منشورات المجلس الدرزي للبحوث والانماء ، بدون تاريخ .

ابو عز الدين ، سليمان

« اصل الدروز » **مجلة المقتطف** ، عدد ٧٧ (حزيران ١٩٣٠) .

ابي اللمع ، رئيف

« ابو اللمع » **دائرة المعارف** ، المجلد الخامس ، بادارة فؤاد افرام البستاني ، بيروت : ١٩٦٤ .

الاعظمي ، علي ظريف

تاريخ ملوك الحيرة ، مصر : المطبعة السلفية ١٩٢٠ .

البستاني ، بطرس

« أرسلان » **كتاب دائرة المعارف** ، المجلد الثالث ، بيروت : مطبعة المعارف ١٩٧٨ .

البستاني ، فؤاد افرام
« ابلين » **دائرة المعارف** ، المجلد الثاني ، ادارة فؤاد افرام البستاني ، بيروت : ١٩٥٨ .

بدوي ، عبد الرحمن
مذاهب الاسلاميين ، الجزء الثاني ، بيروت : دار العلم للملايين ١٩٧٣ .

بوليـاك أ. ن.
الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان ، (ترجمة عاطف كرم) بيروت : منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ١٩٤٩ .

هشيّ ، سليم (محقق) **تاريخ الامراء الشهابيين بقلم احد امرائهم** ، المديرية العامة للآثار ، بيروت : ١٩٧١ .

تدمري ، عمر عبد السلام
تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ، الجزء الاول ، طرابلس : مطابع دار البلاد ، ١٩٧٨ .

تقي الدين ، حليم
قضاء الموحدين الدروز في ماضيه وحاضره ، كفرمتى : مطابع لبنان الجديد ، ١٩٧٩ .

الجندي ، محمد سليم
تاريخ معرة النعمان ، الجزء الاول (تحقيق عمر رضا كحالة) دمشق : وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ .

جواد علي
المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٦ .

الحتوني ، منصور
نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية ، (نشر يوسف ابراهيم يزبك) بيروت : ١٩٥٦ .

حتى ، فيليب مع أدورد جرجي وجبرايل جبور
تاريخ العرب (مطوّل) الطبعة الرابعة ، بيروت : دار الكشاف للطباعة والنشر ، ١٩٦١ .

الحديثي ، نزار عبد اللطيف
اهل اليمن في صدر الاسلام ، واستقرارهم في الامصار ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨ .

حسين ، محمد كامل
طائفة الدروز ، تاريخها وعقائدها ، مصر : دار المعارف ، بدون تاريخ.

حمزة ، فؤاد
قلب جزيرة العرب ، الرياض : مكتبة النصر الحديثة ١٩٦٨ .

الحياري ، مصطفى
الامارة الطائية في بلاد الشام ، عمان : وزارة الثقافة والشباب ١٩٧٧ .

دروزه ، محمد عزة
العرب والعروبة من القرن الثالث حتى الرابع عشر الهجري ، دمشق : دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٥٩ .

الدوري ، عبد العزيز
مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، بيروت: دار الطليعة ، ١٩٧٨ .

دي خويه ، ميكال يان
القرامطة ، نشأتهم ، دولتهم وعلاقتهم بالفاطميين ، (ترجمة حسني زينه) بيروت : دار ابن خلدون ١٩٧٨ .

ديسو ، رينيه
العرب في سوريا قبل الاسلام (ترجمة محمد زيادة) القاهرة : ١٩٥٩ .

رستم ، أسد
« آل ارسلان » **دائرة المعارف** ، المجلد الاول ، ادارة فؤاد افرام البستاني ، بيروت : ١٩٥٦ .

الرفاعي ، انور
تاريخ الفن عند المسلمين والعرب ، بيروت : دار الفكر ١٩٧٧ .

رنسيمان ، ستيفن
تاريخ الحروب الصليبية (ترجمة السيد الباز العريني) بيروت : دار الثقافة ١٩٦٧ – ١٩٦٨ .

سرور ، محمد جمـــال

النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٦٨ .

شيخــو ، لويس

بيروت ، تاريخها وآثارها ، بيروت : مطبعة الآبـــاء اليسوعيين ١٩٢٠ .

حواشي وتعليقات على **تاريخ بيروت** لصالح بن يحيى، بيروت: المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٧ .

الصليبي ، كمـــال سليمان

منطلق تاريخ لبنان ، بيروت : منشورات كاراڤان ١٩٧٩ .

ضومط ، انطــوان

الدولة المملوكية ، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ، بيروت: دار الحداثـــة ، ١٩٨٠ .

د. طرخان ، ابراهيم

النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ، القـــاهرة : دار الكاتب العربـــي ١٩٦٨ .

الطويل ، محمد امين غالب

تاريخ العلويين ، بيروت : دار الاندلس ١٩٧٩ .

عاشور ، سعيد عبد الفتاح

مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ، بيروت : دار النهضة العربية ١٩٧٢ .

فريحة ، انيس

معجم اسماء المدن والقرى اللبنانية ، بيروت : مكتبة لبنان ١٩٧٢ .

فكري ، احمــد

مساجد القاهرة ومدارسها ، العصر الفاطمي ، مصر : دار المعـــارف ١٩٦٥ .

قـــازان ، فؤاد

لبنان في محيطه العربي ، بيروت : دار الفارابي ، ١٩٧٢ .

القنطار ، يـاسر
الامراء اللمعيون ، دراسة ماجستير غير منشورة ، بيروت : الجـامعة اللبنانية ١٩٨٠ .
كرد علي ، محمد
خطط الشام ، الجزء الاول ، بيروت : دار العلم للملايين ١٩٦٩ .
لامنس ، هنـري
تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من آثار ، الجزء الثاني ، بـيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٤ .
« الحياة في بيروت على عهد الصليبيين » **المشرق** ، مجلد ٣١ ، (عـام ١٩٣٠) .
لويس ، برنـار
الدعوة الاسماعيلية الجديدة (الحشيشية) ، (ترجمة سهيل زكـار) بيروت : دار الفكر ، ١٩٧١ .
مخـزوم ، محمـد .
« جبل عامل في العهدين الصليبي والمملوكي » **صفحات من تاريخ جبل عامل** ، عن المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ، بيروت : دار الفـارابي ، ١٩٧٩ .
المصرف ، ناجي زين الدين
بدائع الخط العربي ، بغداد : ١٩٧٢ .
مفرج ، جان بشـارة
الموسوعة اللبنانية المصورة ، بيروت : مكتبة حبيب ، ١٩٧١ .
المعلوف ، عيسـى
دواني القطوف في تاريخ بني معلوف ، بعبـدا : المطبعـة العثمـانية ١٩٠٧ ــ ١٩٠٨ .
تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني ، بيروت : المطبعـة الكاثوليكية ، ١٩٦٦ .
مكي ، محمد علي
لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني ، بيروت : دار النهار للنشر، ١٩٧٩ .

موسكاتي ، سباتينو
الحضارات السامية القديمة ، (ترجمة السيد يعقوب بكر) ، مصر : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

ناصر الدين ، امين
تاريخ الامراء آل تنوخ ، (مخطوط) **واوراق لبنانية** (عـامي ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧) .

النكدي ، عـارف
« اوقاف التنوخيين » **الميثاق** ، (حزيران ١٩٦٥) .

نولدكه ، ثيودور
أمراء غسان من آل جفنه (ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريـق) بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٣ .

نويهض ، عجـاج
التنوخي ، الامير جمال الدين عبدالله ، والشيخ محمد ابو هلال المعروف بالشيخ الفاضل ، بيروت : دار الصحافة ، ١٩٦٣ .
ابو جعفر المنصور وعروبة لبنان «لخم والمردة» ، بيروت: دار الصحافة، ١٩٦٢ .

يزبك ، يوسف ابراهيم
ولي من لبنان «سيرة العارف بالله الامير جمال الدين عبدالله التنوخي»، بيروت : ١٩٦٠ .

المراجع الاجنبية

Carra de vaux ,

«Druzes» **Encyclopaedia of Islam** ; Ist ed. vol . I.

Churchil , Charles ,

Mount Lebanon ; ATen Years Residence from 1842 - 1852 ; London : Sounders and Otely .

Grousset ; René .

Histoire des Croisades , Paris : Librairie plan, **1934 - 1936** .

Hodgson , M. G. S.

« Duruz » Encyclopedie de L'Islam , new ed. vol . 2.

Kindermann , Hans .

(Tanukh) **Encylopaedia of Islam** ; Ist ed. vol. 5

Makarem, Sami .

The Druze Faith ; (New york): Caravan 1974 .

Richard , Jean .

Le Rayaume Latin De Jerusalem, Paris : Press Universitaires de France, 1953 .

Salibi Kamal .

« The Buhturids of the Garb , Medieval lords of Beirut and southern Lebanon » **Arabica**, vol. 8 (January , 1961).

« The secret of the house of Ma'n »

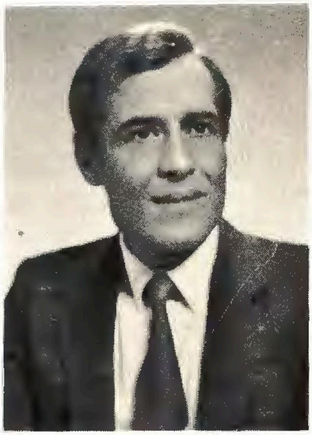
International Jornal of Middle Eastern Studies Vol. 4 (London, 1973).

الفهرس الهجائي

فهرس الاعلام

فهرس المواضيع

التنوخيون



نديم حمزة

- ولد في عبيه عام ١٩٤٣ .
- حائز على اجازة في التاريخ من جامعة بيروت العربية .
- حائز على الماجستير في التاريخ من الجامعة اللبنانية .
- يدرّس مادة التاريخ منذ عام ١٩٧٠

ان حقيقة ماضي ما يعرف بـ « جبل لبنان » في العصور الوسطى ، اي في الحقبة التي تبتدىء مع ظهور الاسلام وتنتهي بزوال الدولة المملوكية على اثر الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر في مطلع القرن السادس عشر ، يكتنفها الكثير من الغموض .

ان هذا الغموض لا يعود الى ضآلة المعلومات الثابتة في المصادر والاصول التاريخية المتوافرة عن الحقبة فحسب ، بل لما نسجه اصحاب الخيال حولها من قصص لا تمت الى الواقع بصلة .

يعالج المؤلف في هذه الدراسة تاريخ المنطقة الوسطى والجنوبية من جبل لبنان، التي كانت تعرف بـ «الاشواف» . ويعطي صورة علمية وواضحة عن الدور الذي قام به التنوخيون ، واسهامهم في تسطير أحداثها على مدى ثمانية قرون .

هذه الدراسة هي اسهام علمي لادراك ماضي الاشواف ، الذي يشكّل الاساس الذي لا يستغنى عنه في فهم تاريخ لبنان الحديث والمعاصر ، وبالتالي في فهم تكوين لبنان الحالي .